

فُضَائِلُ الْأَنَامِ
مِنْ

رِسَائِلُ مُحَبِّ الْإِسْلَامِ
الغَزَالِي

ترجمها على الفارسية مع شرح وتسايق

الدكتور نور الدين آل علي

أستاذ اللغة وآداب الفارسي بجامعة الجزائر

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ



الغـزـلـی

الكتاب :

جزء من الاطروحة التي قدمت إلى جامعة الجزائر
وحصل بها صاحبها على درجة دكتوراه الحلقة الثالثة بمرتبة الشرف الاولى

أَبُو حَاوِلَةَ الْعَزَازِي قَرَعَ الْبَابَ وَفَتَحَ لَنَا

”ابن تومرت“

الْعَزَازِي لَا يَغْفِرُ فَضْلُهُ إِلَّا مَنْ بَلَغَ أَفْكَادَ

يَبْلُغُ السَّكَّالِ فِي عَمَلِهِ

”الأمام محمد بن يحيى“

لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدَ النَّبِيِّ لَكَانَ الْعَزَازِي

”فضله المناوي“

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر في تقديمه كتاب الغزالي للدكتور أحمد فريد الرفاعي بصف الغزالي وتنوع معرفته فقال : « اذا ذكر أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم وشعب المعرفة فإذا ذكر ابن سينا ...

وأما اذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدرته وقيمه .

يخطر بالبال الغزالي ، الأصولي الحاذق الماهر ، والغزالي الفقيه الحرّ ، والغزالي المتكلم امام السنة وحامي حماها ، والغزالي الاجتماعي الخبير باحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب ، والغزالي الفيلسوف ، أو الذي ناهض الفلسفة ، وكشف عما فيها من زخرف وزيف ، والغزالي المربي ، والغزالي الصوفي الزاهد ، وان شئت فقل : إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره » (1) .

وكتب الدكتور أحمد فؤاد الأهواني استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة في تقديمه كتاب سيرة الغزالي لعبد الكريم العثمان بصف الغزالي بقوله : « حجة الاسلام أبو حامد الغزالي من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاسلامي - بل والعالمي - وأعظمها أثراً في حياة المسلمين العقلية والسلوكية على حد سواء » وعلى الرغم من هذه الشهرة وهذا الأثر لم يدرس من المحدثين بما يتفق مع منزلته والكتب التي تناولت جوانب فكره في اللغة العربية قليلة جداً بالإضافة إلى تلك المكانة » (2) .

ولاشك ان نشر رسائل الامام الغزالي لأول مرة باللغة العربية سيكون ذا أثر كبير في الكشف عن كثير من نواحي حياته الشخصية والسلوكية والفلسفية - وقد قيل : ان رسائل كل مفكر هي مفتاح شخصيته - .

خاصة وان معظم هذه الرسائل كتبت في آخريات اعوامه ، أي بعد ما خاض في بحور العلوم ، ونوغل في كل مظلمة ، ونهجم على كل مشكلة ، وتحمم على كل ورطة ، وتخص عقيدة كل

فرقة ، وكشف اسرار مذهب كل طائفة ، ليميز بين المحق والمبطل ، وبين المتسن والمبتدع ، حتى تفرغ من جميع العلوم ، وأقبل بهمته على طريق الصوفية بعد ما علم يقينا أنهم ارباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأنهم السالكون لطريق الله تعالى ، وان سيرتهم من أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق (3) .

فاختار التصوف مسلكا وطريقة علنا ، وأخذ يسلك طريق الزهد والتأله ، في أرض التصوف وموطنه ، وجهد بما كان له من مهارة وتبحر في العلوم والفنون المتداولة ، في تشييد بناء التصوف وعلائقه . وقد طعم الإسلام بالتصوف بعد أن أثبت أنه ينبع من صميم العقيدة الاسلامية ، وأعلى هذا المذهب للانظار بفضل سلوكه ومنطقه المقبول بأحسن صورة ، وافضل وجه ، فجاءت رسائله تحتوي على آخر نظرياته في التصوف والسلوك ، وآرائه الفلسفية على وجه امتياز به هو ، وهو صبغها بالتصوف الذي رأى أنه العلم والعلم كله .

فهذه الوثائق تعتبر من اخطر الوثائق التي تكشف عن موقف الغزالي من الحياة والمجتمع في فترة عجت بالاحداث في العالم الاسلامي وتميزت بالتأزم الحاد بين واقع الحياة الذي تمسك به المتحللون من محبي المتاع والسلطة وبين المثل الاسلامية التي اتخذها الغزالي وأمثاله شعارا لهم كي يرجعوا للمجتمع الاسلامي توازنه الذي فقدته في مضطرب من الخلاف والصراع . ان هذه الرسائل تكشف عن جوانب خفية من حياة الغزالي وعن شعور عميق إلى حد التوتر بهذه الازمة كما تجلوا نفسه وما يموج فيها من نوازع الإصلاح في الفترة الاخيرة من حياته . وإلى ذلك تنجلي اوضاع الدولة السلجوقية وخفايا اخبارها ، واحوال المجتمع وموقف القادة فيه من رجال دين ووزراء وامراء وسلاطين . ونزوعا منا إلى اثراء الدراسات الغزالية في اللغة العربية عربنا هذه الرسائل التي كتبها الغزالي بالفارسية ورأينا أن نشرها محقة مع تراجم وافية لمن ورد ذكرهم فيها حتى يتمكن الباحثون من الاستفادة منها لما يمتاز به من حقائق واخبار لانجدها في مختلف كتبه.وهي تمثل جزءا من الاطروحة التي حصلنا بها على درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر وستنشر في القريب بقيتها ان شاء الله.

ولا بد من الاشارة بأنني شاقيت كثيرا من المصاعب والظروف القاسية من السفر إلى ايران والتفحص في المكتبات العمومية والخصوصية للاطلاع والحصول على هذه الرسائل ، ولولا ارشاد وتشويق الأستاذة العظام وأصحاب الفضل الكرام لما أهتديت لنقلها ووضعها بين يدي القارئ الكريم .

وإنني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما نويت مساهما في نشر التراث الإسلامي العتيق ،
والله ولي التوفيق ، عليه توكلت وإليه أنيب .

نور الدين آل علي

الجزائر 18 ذي الحجة الحرام 1388 الموافق 69/3/7

-
- (1) أحمد فريد الرفاعي : الغزالي ص 9 - 10 .
 - (2) عبد الكريم عثمان : سيرة الغزالي ص 5 .
 - (3) الغزالي : المنقذ من الضلال صفحات 59 و 97 و 103 .

المصادر العربية

- ابو حامد الغزالي :
- لمحمد رضا طبع القاهرة 1924 م .
- احياء علوم الدين :
- للغزالي (ابي حامد) طبع القاهرة 1326 هجرية .
- آثار البلاد واخبار العباد :
- زكريا بن محمد القزويني طبع بيروت 1960 م .
- اعيان الشيعة :
- السيد محسن الامين الطبعة الرابعة بيروت 1960 م .
- تاريخ دولة آل سلجوق (زبدة النضرة ونخبة المعصرة) :
- عماد الدين محمد الكاتب الاصفهاني تلخيص فتح بن علي البنداري الاصفهاني طبع مصر 1955 م .
- تاريخ الشعوب الإسلامية :
- كارل بروكلمان ترجمة امين فارس ومنير البعلبكي الطبعة الثالثة بيروت 1948 .
- التاريخ الكبير :
- ابن عساكر علي ابن الحسن . تصحيح عبد القادر بدران طبع دمشق 1911 م . 7 ج .
- التصوف الإسلامي :
- الدكتور زكي مبارك في مجلدين طبع القاهرة 1954 م .
- التلخيص الشافي :
- شيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي تحقيق السيد حسين بحر العلوم في 7 مجلدات مطبعة الآداب نجف
- الاشرف العراق 1963 م 1383 هـ .
- جامع التواريخ (بالفارسية) :
- رشيد الدين فضل الله الهمداني : ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد بمراجعة
- يحيى الخشاب في مجلدين طبع مصر 1960 م .
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري :
- تأليف آدم مترنقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابوريده في مجلدين الطبعة الثالثة .
- خريدة القصر وجريدة العصر :
- عماد الدين الاصفهاني الكاتب طبع المجمع العلمي العراقي 1955 م .

راحة الصدور وآية السرور :

ألفه بالفارسية محمد بن سليمان الراوندي ونقله إلى العربية الدكتور أمين الشواربي والدكتور عبد النعيم محمد حسنين والدكتور فؤاد عبد المعطي الصبّاد طبع القاهرة 1960 م .

رحلة ابن بطوطة :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله طبع القاهرة 1958 م .

الرسالة القشيرية (في التصوف) :

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري القاهرة 1346 هـ .

سلاجقة إيران والعراق :

الدكتور عبد النعيم حسنين القاهرة 1959 م .

سير اعلام النبلاء :

شمس الدين محمد الذهبي تصدير طه حسين القاهرة 1957 م .

سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه :

جميعه عبد الكريم عثمان . بدون تاريخ طبع دار الفكر بدمشق م .

شرح نهج البلاغة :

أبو أبي الحديد طبع مصر 1329 هـ .

شطحات الصوفية

عبد الرحمن بدوي القاهرة 1949 م .

الصلة بين التشيع والتصوف :

الدكتور كامل مصطفى الشبيبي طبع بغداد 1964 م .

صورة الأرض :

أبو القاسم ابن حوقل النصيبي في مجلدين طبع ليدن 1928 م .

طبقات الشافعية الكبرى :

تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي الطبعة الأولى مطبعة الحسينية القاهرة .

الغزالي :

الدكتور أحمد فريد رفاعي ؛ في مجلدين ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بلا تاريخ .

فوائد اللاكي من رسائل الغزالي :

مجموعة مشتملة على ثلاثة كتب : معراج السالكين - منهاج العارفين - روضة الطالبين . طبع في القاهرة .

فرق الشيعة :

أبو محمد حسن بن موسى النوبختي (المتوفى 317 هـ) طبع جمعية المشرقين الألمانية استانبول 1931 م .

- فهرست ابن النديم :
- محمد ابن اسحق الوراق (وقيل محمد ابن النديم) طبع مصر 1941 م.
- الكامل في التاريخ :
- عز الدين علي بن محمد الشيباني الجزري طبع مصر 1348 هـ. ليدن 1870 م.
- الكشكول :
- الشيخ بهاء الدين العاملي طبع مصر 1288 هـ.
- مجلة الدراسات الادبية
- (الجامعة اللبنانية) السنة السادسة العددان 3 - 4.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان :
- ابو محمد عبد الله الياضي اليمني المالكي الطبعة الاولى حيدرآباد دكن 1338 هـ.
- مؤلفات الغزالي :
- عبد الرحمن بدوي طبع القاهرة 1961 م.
- المعارف العقلية :
- الامام ابو حامد الغزالي تحقيق عبد الكريم عثمان دمشق 1963 م.
- معجم البلدان :
- ابو عبد الله ياقوت الحموي طبع ليزيك 1866 م.
- مقاصد الفلاسفة :
- الامام أبو حامد الغزالي تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف بمصر 1961 م.
- المقدمة :
- ابويزيد عبد الرحمن ابن خلدون طبع بيروت 1956 م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم :
- ابوالفرج عبد الرحمن ابن الجوزي . 10 ج الطبعة الاولى حيدرآباد دكن (هند) (ج 10/281)
- منهاج العابدين وبهامشه بداية الهداية :
- الامام ابو حامد الغزالي مصر بدون تاريخ مطبعة مصطفى محمد .
- الوافي بالوفيات :
- صلاح الدين الصفدي 4 ج.
- وفيات الاعيان :
- ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم الشامي طبع مصر 1949 م.
- مجلة الابحاث : (ج 4 ص 17) .
- حضارة العرب في القرن الثاني عشر (الميلادي) نبيه امين فارس ص 411.
- بحث في الترتيب التاريخي لمؤلفات الغزالي :

Maurice Bouyges : des œuvres de al-Ghazali édité et mis à jour par Michel Allard-Beyrouth 1969

المصادر الفارسية

اسرار التوحيد : (في مقامات الشيخ ابي سعيد) .
محمد بن المنور ابي سعيد بن ابي طاهر بن ابي سعيد بن ابي الخير طبع طهران 1313 هـ ش .
بهارستان جامی :

عبد الرحمن بن احمد الجامي (المتوفى 898 هـ) طبع طهران 1340 هـ ش . (1)

تاريخ الادب في ايران :

ادوارد براون في اجزاء اربعة : الجزء الاول ترجمة على باشا صالح طبع طهران 1335 هـ ش (1). الجزء الثاني ترجمة فتح الله مجتبائي طبع طهران 1341 هـ ش . الجزء الثالث ترجمة علي اصغر حكمت طهران 1339 هـ ش. الجزء الرابع ترجمة رشيد الياسمي الطبعة الثالثة طهران 1345 هـ ش. وقد ترجم الجزء الاول منه إلى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي وطبع بمصر 1954 م .

تاريخ ادبيات ايران :

الاستاذ جلال الدين همائي في مجلدين طبع طهران 1340 هـ ش .

تاريخ ادبيات ايران :

الدكتور رضا زاده شفق طهران 1340 هـ ش وترجمه إلى العربية محمد موسى هندايي نشر دار الفكر العربي 1947 م .

تاريخ ادبيات در ايران :

الدكتور ذبيح الله صفا في ثلاثة مجلدات : الجزء الاول طهران 1342 هـ ش والثاني طهران 1339 هـ ش . الثالث طهران 1341 هـ ش .

تاريخ اسلام .

الدكتور علي أكبر قياض الطبعة الثالثة مشهد ايران 1339 هـ ش .

تاريخ بيهق : او (جوامع التواريخ)

علي بن زيد البيهقي طبع طهران 1317 هـ ش .

تذكرة الاولياء :

الشيخ فريد الدين عطار النيشابوري تحقيق العلامة القزويني الطبعة الثالثة طهران 1336 هـ ش .

تذكرة الشعراء :

الامير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي تحقيق محمد عباسي طهران 1337 هـ ش .

- **ديوان انورى :**
الحكيم حجة الحق اوحيد الدين محمد الانوري تحقيق سعيد نفيسي طهران 1337 هـ ش .
- **ديوان خاقاني :**
افضل الدين بن علي بن علي الخاقاني الشرواني ، تحقيق الدكتور ضياء الدين السجادي طبع
طهران 1338 .
- **راحة الصدور وآية السرور :**
محمد بن علي بن سليمان الراوندي طبع طهران 1333 هـ ش وقد ترجم إلى العربية ترجمه الاساتذة
امين الشواربي وعبد المنعم حسنين وفؤاد الصياد طبع القاهرة 1960 م .
- **سبك شناسي :**
العلامة المرحوم محمد تقى بهار « ملك الشعراء » في ثلاثة مجلدات طبع الثاني طهران 1337 .
- **سفر نامه :**
ابو المعين حميد الدين ناصر خسرو بن خسرو القبادياني المروزي (المتوفى 394 هـ) بتحقيق محمد
ديبر سياقي الطبعة الثانية طهران 1335 هـ ش .
- **سياست نامه :**
أبو علي حسن بن علي الوزير نظام الملك تحقيق العلامة القزويني طهران 1344 هـ ش .
- **شرح كلشن راز :**
الشيخ محمد الالاجي (من اعلام قرن التاسع) بتقديم الاستاذ كيوان السميي طهران 1337 هـ ش .
- **غزالي نامه :**
جلال الدين هماني (استاذ جامعة طهران) الطبعة الثانية طهران 1342 هـ ش .
- **كشف المحجوب :**
ابوالحسن علي بن عثمان الجلابي المجوري الغزنوي حققه والتين زوكوفسكي . طبع طهران باهتمام
محمد العباسي سنة 1336 هـ ش .
- **لباب الالباب :**
محمد بن محمد العوفي البخاري تحقيق البرفسور براون والعلامة القزويني نشر طهران مطبعة ابن
سبنا مع تعليقات جديدة للمرحوم سعيد النفيسي 1335 هـ ش .
- **مجالس المؤمنين :**
للقاضي نور الله البستري طبع حجري طهران 1299 هـ ق .
- **مختلف الأصول :**
العلامة المرحوم محمد عبده البرجردي طبع جامعة طهران 1341 هـ ش .
- **منتخب الفوارىخ :**
الشيخ محمد هاشم الخراساني بلا تاريخ طبع المكتبة الاسلامية طهران .

ملسوب :

الله بن أبي بكر المستوفى القزويني (740 هـ) تحقيق محمد دبیر سیاقی طهران 1336 هـ ش .

عهد سلاطين بزرگ سلجوقي :

ذ المرحوم عباس الإقبال طبع جامعة طهران 1338 هـ ش .

ها ب (هـ ش) يعني التقويم الهجري الشمسي المستعمل في إيران وتبدأ السنة الهجرية الشمسية في أول يوم الربيع
س غالب وعدد أيامها 365 يوماً اذا كانت بسيطة و336 اذا كانت كبيسة ولذلك فإن سنة 1388 هـ تقابل 1347

الرموز والإشارات

ما أشير إليه في هذا الكتاب بعلامة « » كان كذا في الأصل .
وما أشير إليه بين الهلالين (.....) يفيد الزيادات الموجودة في نسخ غير نسخة أياصوفيا .
وحرف (أ) يرمز إلى نسخة أياصوفيا .
وحرف (ب) يرمز إلى نسخة مكتبة الجامعة باسطنبول .
وحرف (ج) يرمز إلى النسخة المقابلة مع نسخة فروزا نقر ونفيسي وطبعة الهند .
وحرف (ع) يرمز إلى نسخة الرسالة التي نقلها الرفاعي في كتاب الغزالي
وحرف (ط) يرمز إلى نسخة الرسالة التي أوردها السبكي في طبقات الشافعية الكبرى
ووضعنا أسفل الصحائف التعاليق التي تشير إلى مختلف نسخ الكتاب وبيان الآيات والسور
القرآنية الواردة في الرسائل وبعض الشروح القصيرة .
أما البيانات المطولة والشروح الضافية فقد جمعناها آخر الكتاب في قسم : التعاليق .
كما ترجمنا لأصحاب الرسائل - الملوك والوزراء والامراء - الوارد ذكرهم في الرسائل أيضا في قسم
خاص : تراجم أصحاب الرسائل .

النسخ المخطوطة المعتمدة

- 1 - نسخة مكتبة جامع أياصوفيا (في إستانبول) توجد في المخطوط رقم 4821 (ورقة 43 أ - 46 ب) ، 4301 ، 4792 (ورقة 692 ب - 726 ب) .
استنسخها أسعد بن أحمد بن محمد الكاتب بخط النسخ في سنة 816 هـ في مدينة شيراز ، وتمتاز هذه النسخة بالتقدم والصحة وعدم تصرف أحد فيها . (انظر رقم 346 مؤلفات الغزالي : لدوي ، ومجلة كلية الآداب جامعة طهران (ديماه سنة 1332 هـ ش) مقالا حول فضائل الأتنام والتعريف به بقلم الاستاذ المرحوم عباس إقبال . ورقم 325 و 346 مؤلفات الغزالي : بويج) وقد رمزنا إليها بـ (أ) .
 - 2 - نسخة مكتبة الجامعة بأستانبول تحت رقم 890 (فارسي خطي) تاريخ استنساخها 1288 هـ . في 134 ورقة بخط فارسي جميل استنسخت لعالي باشا الصدر الأعظم العثماني ، والظاهر أنها مستنسخة من نسخة أياصوفيا . وقد رمزنا إليها بحرف (ب). وتوجد من نسخة أياصوفيا ونسخة مكتبة الجامعة صورة فتوغرافية في مكتبة جامعة طهران .
 - 3 - نسخة يملكها السيد جلال الدين المحدث الأستاذ بكلية اللاهيات والمعارف الاسلامية جامعة طهران . يرجع تاريخ استنساخها لأواسط عهد الدولة الصفوية ، بخط التستعليق وتمتاز بحسن الخط والتذهيب والترتيس .
 - 4 - نسخة المرحوم الاستاذ بديع الزمان فروزانفر عميد كلية اللاهيات والمعارف الاسلامية سابقا ومدير المكتبة الملكية سابقا ، توجد بضمن مجموعة خطية .
 - 5 - نسخة العلامة المرحوم ميرزا محمد طاهر الشكابي وقد اعتمدها غير مرة الاستاذ جلال الدين هماني في مؤلفه الكبير غزالي نامة
 - 6 - نسخة الاستاذ المرحوم سعيد نقبي ، وقد قابلناها بنسخة فروزانفر ونسخة الهند ورمزنا إليها بـ (ج) .
 - 7 - نسخة خطية في ضمن الكتب التي اهداها الاستاذ العلامة السيد محمد المشكاة لجامعة طهران . في 130 ورقة مستنسخة في 1260 هـ وعليها عنوان « أجوبة الغزالي لأسئلة أهل السنة » (انظر فهرست الكتب المهداة من الاستاذ مشكاة إلى مكتبة جامعة طهران . ج 3 ص 190) .
- وقد وردت هذه الرسائل متفرقة في مخطوطات أخرى في المكتبات العالمية : كمخطوطة الرسالة إلى قضاة المغرب (او إلى بعض أهل عصره : على نقل السبكي) توجد بمخطوط رقم 1996 بفيينا . وكذلك رسالة الغزالي إلى الوزير نظام الملك (الثاني) في الورقة 89 ب نفس المخطوطة (انظر رقم 51 مؤلفات الغزالي : لدوي) .

ثل عنها الغزالي في المخطوطة رقم A. 81 I. A. 3 . 297 في مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت

ي . The Theology of al-Ashari, Beyrouth 1953 - pp. 23 - 28 .

المخطوط قديم لا يتجاوز القرن السابع هجري مما يجعل صحتها اوكد (انظر مؤلفات الغزالي .)

شير من المؤلفين بعض هذه الرسائل او خلاصة من بعضها في مؤلفاتهم ونجد عند السبكي في وعند حيدر بن أبي القاسم في مجمع الانشاء (القه في القرن الحادي عشر وتوجد مخطوطته في بطهران) والعقيلي في آثار الوزراء (مخطوط منه في مكتبة مجلس الأمة في طهران) (1) ودولتشاه لمذكرة الشعراء (طبع عدة مرات) والشيخ بهاء الدين العاملي في كشكول (طبع عدة مرات) سالة سريان الوجود (طبع في طهران سنة 1302 هـ) .

ت هذه الرسائل لأول مرة في الهند سنة 1310 هـ تحت عنوان فضائل الامام ونسب تصنيفها إلى بي حجة الإسلام الغزالي .

نفاذ من مقدمة المصنف (2) . أولاً : أن الكاتب اسمه : فضائل الانام من رسائل حجة الإسلام نف هو أحد أقرباء حجة الإسلام وقد قام بجمع هذه الرسائل بعد وفاة الغزالي بمدة ذلك بعد لسالكين وأصحاب حجة الإسلام كما يشير إلى ذلك بقوله : « وتمسكاً بحبل القرابة وصله ا وجدنا من تلك الرسائل وسميتها : « كتاب فضائل الانام من رسائل حجة الإسلام » . ئي في نقل هذه الرسائل إلى العربية أولاً نسخة أباصوفيا ثم النسخة المقابلة بنسخة الاستاذ اذ نفيسي ونسخة الهند .

الزلي تامة ص 235 .

ح . فضائل الانام . المذكورة أعلاه .

فُضَائِلُ الْأَنَامِ
مِنْ

رِسَائِلِ مُحِبِّ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين *

لله الشكر والحمد ، شكرا وحمدا لآحد ولا حصر ولا عدله ، حمداً نهائيه حمد الصّديقين ، وغايته مقصد الطالبين ، ودليل المتحيرين . حمدا لا غاية له ، لله الذي لا بداية له ولا نهاية ، إله حمده طراز جملة الكتابات ، وآخر دعوى أهل الجنان ، إله من فضله الرأفة والرحمة والمغفرة . ومن عدله القوة والعذاب والخزي ، أزيمة الخلق طرأ في قبضة قدرته ، وقضاء أمر جميع السالكين في عنايته ، ومنقبة صاحب الشريعة « صلوات الرحمن عليه » وعظمته من اصطفاؤه ومحبته ، ونجاة العاصين بشفاعته أيضا من خلعتة . وصدق أبي بكر وعدل عمر وحياء عثمان وشجاعة علي وعلمه من مقتضى حكمته ومشيئته . « يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد » (1) .

أمّا بعد لمّا ظهرت العناية الإلهية في حقّ إمام العصر ، (2) ومقتدى الدهر ، الصدر الأجل ، زين الدين ، حجة الإسلام ، إمام الأئمة ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أكرمه الله برضوانه ، ومهد له في أعلى جناته وتعمده بغفرانه ، حتّى صار قلبه بذلك محلاً للأنوار الإلهية « أفمنّ شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » (3) ، وصدره عينا لماء الحكمة وخزانة لأسرار الشريعة ، وأنفاسه صدف جواهر لانظير له ، ودرّ ألفاظه اليتيمة أعذب من ماء الزلال ، ومعانيها أدقّ من السحر الحلال .

[شعر فارسيّ في الأصل - ترجمته] .

« حيث إنّ ألفاظه ألزمت الخضم فلو كان الدهر لاعتق ذلك الإلزام » .

[شعر عربيّ في الأصل] .

معان كالعيون ملئ (4) سحرا وألفاظ مسوّدة الحدود

• مقدمة جامع « فضائل الانام » .

(1) هذه الخطبة غير موجودة في نسخة (ج) .

(2) في (ج) وشيخ ومقتدى الدهر .

(3) القرآن الكريم سورة الزمر الآية 22 .

(4) في (ج) مبین سحرا .

ميع (5) شفاء أمراضهم في كلامه ، وطلبوا دواء العلة من هناك ، وأخذوا الترياق ، السم القتال ، الكفر والشرك والحسد والبخل والرياء والنفاق والعجب وسائر ممة. أخذوه من رموزه وإشاراته ، ومن ألفاظه ومعانيه ووجدوا الكبريت الأحمر السعادة في تصانيفه .

بخ (6) تلك الكيمياء ولباب تلك المعاني في رسائله المكتوبة في كل وقت ، عمل . فلما كانت الحالة على هذه فقي كل حين بالغ السالكون للطريق ، وأصجاب العلة وأرباب الحاجة في طلب رسائله ووصاياه ، واستجدوا حتى ، ويقتدوا بها كي يحصلوا بها السعادة الأبدية ، ويتخلصوا من شهوات النفس ، للبصر الظاهر ونورا لبصيرة الباطن . وكانت تلك الرسائل مبعثرة ومتفرقة ، الحاجة ، وكفاية لمهمة السالكين ، وقضاء لحق الاخوة في الدين ، وتبركا ك الصدر الشهيد (8) .

بجبل القراية وصلة الرحم جمعنا ما وجدنا من تلك الرسائل وسميتها « كتاب رسائل حجة الإسلام » .

ها في خمسة أبواب . والمتوقع من الجود الالهي أن يجعل لنا التوفيق رفيقا ، ، حتى يتم هذا الجمع . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل والحمد لوليّه .

فهرس الأواب

- الباب الأول : في الرسائل التي كتبها للملوك والسلاطين .
- الباب الثاني : في الرسائل التي كتبها للوزراء .
- الباب الثالث : في الرسائل التي كتبها للأمراء وأركان الدولة .
- الباب الرابع : في الرسائل التي كتبها للفقهاء وأئمة الدين .
- الباب الخامس : في فصول ومواظ كتبها في أوقات متفرقة (1) .

(1) هذا التقسيم غير موجود في (ج) .

الباب الأول

في الرسائل التي كتبها للملوك والسلاطين

لَمَّا كَانَ الصِّدْرُ الشَّهِيدَ (1) حِجَّةَ الْإِسْلَامِ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِرُضْوَانِهِ - فِي ابْتِدَاءِ عَهْدِهِ وَمَبْدَأِ
 ارْتِقَاءِ عَمَلِهِ طَالِبًا لِلْعِلْمِ فِي مَدِينَةِ نِيسَابُورِ (2) أَخْرَجَ مِنْ تَعْلِيقِ أَصُولِهِ مَخْتَصَرًا وَرَتَّبَهُ وَسَمَّاهُ
 « الْمُنْخُولُ مِنْ تَعْلِيقِ الْأَصُولِ » (3) وَجَمَعَ فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ فِي قَرَبٍ مِنْ كَاغِذَيْنِ (4)
 مِنْ مِثَالِ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ (5) « رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ » (مِنْ كِتَابِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ
 وَالْفَصْبِ وَالسَّرْقَةِ وَغَيْرِهَا . وَقَدْ جُمِعَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَذْهَبِهِ) (6) . فَلَمَّا رَأَى هَذَا بَعْضُ
 أَصْحَابِ الرَّأْيِ تَحَرَّكَ فِيهِمْ عِرْقُ الْحَسَدِ وَالتَّعَصُّبِ . وَ(قَدْ) (7) وَافَقَتْهُمْ جَمَاعَةٌ أُخْرَى مِنْ
 أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ (8) وَأَصْحَابِ مَالِكٍ (9) - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - فَشَنَعُوهُ عَظِيمَ الشَّنِيعِ ، وَذَهَبُوا
 إِلَى سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ لِإِنْهَاءِ (10) الْأَمْرِ بِأَنْ حِجَّةَ الْإِسْلَامِ يَطْعَنَ وَيَقْدَحَ فِي الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ ،
 وَقَدْ جُمِعَ مِثَالُهُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَيْةٌ عَقِيدَةٌ فِي الْإِسْلَامِ بَلْ يَعْتَقِدُ مَعْتَقِدُ الْفَلَسَفَةِ وَالْمُلْحِدِينَ . وَمَزَجَ
 جَمِيعَ كُتُبِهِ بِأَقْوَالِهِمْ ، وَخَلَطَ الْكُفْرَ وَالْأَبَاطِيلَ مَعَ أَسْرَارِ الشَّرْعِ ، وَيَقُولُ بِأَنْ اللَّهَ نُورٌ حَقِيقِي .
 وَهَذَا مَذْهَبُ الْمَجُوسِ (11) الْقَائِلِينَ بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ . وَغَيَّرُوا وَبَدَّلُوا كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ
 « مُشْكَاةُ الْأَنْوَارِ » (12) وَعَرَضُوهَا عَلَى سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَأَغْرَوْا أَحَدَ الْمَغَارِبَةِ (13) وَقَالُوا لَهُ :

-
- 1 (ج) الصِّدْرُ السَّعِيدُ .
 - 2 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 155 ت رَقْم 1
 - 3 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 155 ت رَقْم 2 .
 - 4 (ج) فِي عَشْرَةِ كَوَاغِذٍ .
 - 5 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 155 ت رَقْم 3 .
 - 6 بَيْنَ الْهَلَالَيْنِ غَيْرِ مُوجُودٍ فِي (ج) .
 - 7 سَقَطَ مِنْ (ج) .
 - 8 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 155 ت رَقْم 4 .
 - 9 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 155 ت رَقْم 5 .
 - 10 الْإِنْهَاءُ : الْإِخْبَارُ .
 - 11 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 155 ت رَقْم 6 .
 - 12 انظر : التَّعَالِيقُ آخِرُ الْكِتَابِ ص : 156 ت رَقْم 7 .
 - 13 (ج) أَحَدُ الْغُرَبَاءِ .

إن حجة الإسلام قد طعن في « مالك والقاضي أبي بكر الباقلاني » (14) وقطع بخطأ القاضي أبي بكر حتى قام يشنع ويوسوس عند أركان الدولة بتخيّلات وتصوّرات فاسدة (« ومن يسمع يخل ») (15) . فلذلك تغيّر سلطان الإسلام عليه وقصد زجره وفي تلك الحالة بعث إلى حجة الإسلام يطلبه للحضور .

قامت حجة الإسلام من المحيّي وكتب له عذر ذلك وبعث إليه بها هي الرسالة (16) :

(14) انظر : التعاليف آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 8 .

(15) سقط من (ج) .

(16) هذه المقدمة من جامع « فضائل الانام » .

رسالة كتبها حجة الاسلام « قدّس سرّه »

للسلطان سنجر (1)

1

(بسم الله الرحمن الرحيم) (2) متّع الله ملك الإسلام من مملكة الدنيا وأعطاه سلطنة في الآخرة (تكون سلطنة الدنيا إلى جانبها حقيرة مختصرة . فإن سلطنة الآخرة تستحق العمل) (3) لأنّ المملكة على وجه الأرض ليست بأكثر من المشرق إلى المغرب . وعمر الإنسان في أغلب الأحوال ليس بأكثر من مائة سنة . وجميع ما على وجه الأرض . بالنسبة إلى سلطنة يعطيها الله يوم الآخرة ، ليست إلاّ كدرة من طين ، وجميع إمارات الأرض كغبرة (4) تلك الممدرة . فما هي قيمة مدرة وغيرها ؟ وما هو عمر مائة سنة عند الأزل والأبد والسلطنة الأبدية ؟ حتى يفرح الإنسان بها . فارفع الهمة كما أتى الاقبال والدولة والنسبة (5) عالية ، ولا تقنع من الله إلاّ بسلطنة الأبدية . وهذا ما يشقّ على الخلق ويسهل على ملك المشرق (6) ، فإنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يوم يعدل فيه سلطان عادل أفضل من عبادة ستين سنة » .

وفيما أعطاك الله هذه الوسيلة والآلة التي تقدّر أن تفعل في يوم واحد ما لا يفعله غيرك في ستين سنة . فأَيّ اقبال ودولة أكثر من هذه ؟

فأدرك الدنيا بحقيقتها حتى تختصر (7) في عينك شأنها ، فإنّ العظماء هكذا قالوا : لو كانت الدنيا كوزا من ذهب غير باق والآخرة كوزا من خزف باق لاختار العاقل كوز خزف باق على كوز ذهب فان ؟ فكيف والدنيا هي كوز خزف فإن والآخرة كوز ذهب باق (8) .

فكيف يكون عاقلا من اختار الدنيا . فليتأمل في هذا المثل جيدا ويضعه (9) أمام العين دائما . واليوم وصل إلى حدّ بأنّ عدل ساعة يعادل عبادة مائة سنة .

(1) هذا العنوان غير موجود في (أ) و (ب) .

(2) سقط من (أ) و (ب) .

(3) سقط من (ج) .

(4) في (ج) جميع ولايات الارض ونعمها .

(5) في (ج) ونبتك عالية .

(6) انظر : التعاليق ص : 156 ت رقم 9 .

(7) في (ج) حتى تحقّر وتختصر

(8) انظر : التعاليق ص : 156 ت رقم 10 .

(9) الضمير يعود إلى الملك . . هذا دأب الغزالي حيث يخاطبهم غالبا بضمير الغائب لا بالمخاطب .

فترحم على أهالي طوس لأتّهم تحمّلوا كثيرا من الظلم وقد فسدت الغلال من البرد وقلة الماء ويست الأشجار مائة سنة من أصلها ولم يبق لأهل القرى سوى فروة وجمع من العيال الجائعين العراة فإن ترضى أن يعرفهم من الفروة حتى يلتجئوا مع الأطفال إلى التنور فلا ترضى أن يسلموهم من جلودهم فإنك إن طالبتهم بشئ سيثردون جميعا ويهلكون في الجبال وهذا كسلخهم (10) . اعلم أنّ هذا الداعي قضى ثلاثا وخمسين سنة من العمر وغاضر أربعين سنة في بحور علوم الدين (11) حتى وصل إلى مكانة مرموقة فَصَّعَبَ على أكثر الناس فهم كلامه .

وقضى عشرين سنة في أيام السلطان الشهيد (12) ورأى منه في اصفهان وبغداد كثيرا من العطف والاقبال وكان (13) عدة مرات رسولا بين السلطان وأمير المؤمنين في الأمور المهمة ، وصنف في العلوم الدينية (14) ما يقرب من سبعين كتابا . فرأى الدنيا على ما هي (عليه) وتركها كلاً وأقام مدة في بيت المقدس وعاهد عند مشهد ابراهيم الخليل - صلوات الله عليه - أن لا يذهب لأي سلطان ولا يأخذ مال السلطان ولا يناظر ولا يتعصب . وقد وفى بهذا العهد مدة اثنتي عشرة سنة وقد عنّره أمير المؤمنين وجميع السلاطين (15) .

والحال أنّي سمعت بصدور إشارة من المجلس العالي لحضوري وبمقتضاها اتيت إلى « مشهد الرضا » (16) ووفاء لعهد الخليل (عليه السلام) (17) لم آت إلى المعسكر . وعلى هذا المشهد أقول يا ابن الرسول كن شفيعا حتى يعلي الله ملك الإسلام في مملكة الدنيا من درجة آباءه ويلحقه في الآخرة إلى درجة (18) سليمان عليه السلام ؛ فإنه كان ملكا ونبيا ووفقه حتى يحفظ حرمة عهد الخليل (ابراهيم عليه السلام) (19) ولا يزر جر قلب من انقطع من الخلق واتجه اليك (20) انت الذي تعالي وعزّ شأنه .

(10) في (ج) إلى وهذا كسلخهم . هي رسالة واحدة وما بعدها رسالة أخرى ، وعنوانها : رسالة كتبها حجة الإسلام إلى سلطان سنجر يتعلّم من عدم مجيئه .

(11) في (ج) في بحور العلوم .

(12) انظر : التاليف آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 11 .

(13) في (ج) وكان هذا الداعي .

(14) في (ج) في علم الدين .

(15) في (ج) اغسروه .

(16) انظر : التاليف آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 11 .

(17) سقط من (ج) .

(18) في (ج) إلى مرتبة .

(19) سقط من (ج) .

(20) في (ج) واتجه إلى الله عز وجل .

وهكذا عرفت بأن هذا أليق وأقرب إلى القبول عند المجلس العالي من مجيئي بنفسي وجسمي ،
فذلك عمل (من المرسوم) (21) بلا فائدة وهذا عمل متوجه وجهه إلى الحق تعالى . فإذا كان
مقبولا فمرحبا . وإذا كان خلافه امرا فليس في ذمتي (22) نقض العهد لأن اطاعة امر السلطان
بالاضطرار لازمة فأكون منقاداً للأمر بالضرورة .
أرجو الله تعالى ان يسوق على لسان وقلب ذلك العزيز ما لا يخل من غذاء في القيامة
ولا يكون اليوم للإسلام منه ضعيف وانكسار والسلام .

(21) مقط من (ج) .

(22) في (ج) في عهنتي .

فصل

فلما عرضوا هذه الرسالة على ملك الإسلام (1) ، تغيرت عقيدته وقال لابدّ من أن نراه وحيث أنه يوجد في مشهد الرضا على « ساكنها السلام » والمعسكر في بروج (2) والمسافة قليلة والمجى سهل ، لابدّ أن يحضر على أي حال حتى نراه (3) ، وأعلم صافي عقيدته وأزجر وأعرك (4) حساده والمتعصبين عليه .

وفي نفس الوقت اجتمع جماعة من فحول الأئمة المتعصبين عليه في المعسكر ، وكانوا يقولون لابدّ من حضوره حتى نأظر معه ونسمع كلامه ويقيم الحجة على كلامه ، فلا تركوه قبل ذلك يدخل إلى السلطان ، فإذا دخل فيسيد السلطان بمنظره وكلامه في الحين .

في هذه الحالة جاءت جماعة من أئمة طوس إلى المعسكر ، وعقدوا مجمعا وأحضروا المتعصبين على حجة الإسلام ، وقال أئمة طوس : نحن تلامذة حجة الإسلام اذا كان لأحد إشكال في كلامه فليلقه حتى يسمع الحلّ والجواب ، فإذا نحن عجزنا ، فلنكتب له ونطلب منه تقرير ذلك وشرحه حتى يرتفع الإشكال . وأما أنتم فليست لكم الأهلية والمكانة بأن تطلبوا منه المناظرة . كيف وانتم لا تقدرّون على مقاومة تلامذته ، فلما سمعوا هذا بهتوا ، وأتوا مرة أخرى إلى السلطان وقالوا : ان هذا رجل ناموسي (5) فإذا ناظرناه أظهر ناموسه . فقال سلطان الإسلام لعين الملك (6) « رحمة الله عليه » : انه لابد من إلزامه بالحضور عند العرش حتى نسمع كلامه ، فإذا كانت الحالة تتطلب المناظرة أمرناه بالمناظرة ونرجعه من بعد ذلك معزّا (7) .

(1) في (ج) زيادة : وعرف الاحوال .

(2) في (ج) والمعسكر في بطروق . وسياتي توضيح ذلك في التعالين ص : 157 ت رقم 12 .

(3) في (ج) ونعلم .

(4) في (ج) وتزجر ونعزر .

(5) في (ج) هذا رجل غيور وناموسي . انظر التعالين آخر الكتاب ص : 157 ت رقم 13 .

(6) انظر التراجم آخر الكتاب ص : 186

(7) في (ج) او نعتفر منه ونرجعه مكرما .

فأرسل معين الملك رسولا إلى « مشهد » يأمره بالحضور ، فإجابة للحكم جاء إلى المعسكر ونزل في وثاق المعين (8) حتى أتى به معين الملك إلى السلطان ، فلما رآه السلطان قام له ، وعانقه وأجلسه بجانبه ، فكان لحجة الإسلام « رحمة الله عليه » استشعارا (9) وكان معه « المقرئ الأسعد » (10) فطلب منه آية من القرآن فقرأ « المقرئ » : « أليس الله يكافئ عبده » (11) فقال حجة الإسلام : بلى . وزال عنه ذلك الخوف تماما وبدأ بالكلام وقال هذا الفصل في حضور السلطان :

8 (ج) في وثاق معين الملك .

9 (ج) استفرارا ما .

10 لم أجد له ترجمة في المصادر الموجودة لدي .

11 القرآن الكريم سورة الزمر الآية 36 .

مقال حجة الإسلام وقت حضوره عند ملك الإسلام (1)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على (2) خير خلقه محمد وآله أجمعين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين . أبقي الله ملك الإسلام . قد جرت عادة علماء الإسلام (3) أن يلقوا في مجلس ملوك الإسلام مقالا يشتمل على أربعة : الدعاء ، والثناء ، والنصيحة ، ورفع الحاجة (4) .

أما الدعاء ، فمذهبي ، أن رفع الأيدي والمناجاة سرًا مع الحق تعالى في ليلة ظلماء ، وخلوة خالية أولى ، فإن كل ما كان على الملأ اختلط بالرياء . وعند حضرة الحق سبحانه وتعالى كل ما لم يكن خالصا وفيه رثاء غير مقبول .

وأما الثناء (5) فهو من لحن الكلام لأن الشمس لا تحتاج مطلقا بأن يشار إلى رفعتها وضئها بالبنان « لقد غنيت ذكاء عن التعريف » (6) . وأن الجمال إذا وصل لغاية الكمال كمد سوق المشاطة ، وأصبحت يد الماشطة عاطلة . والمقصود من الثناء رفع الشأن ، وكيف يمكن ارتفاع شأن الحضرة وكل من له في العالم من علو او تفوق او رفعة فهي خلعة (مأخوذة من عبيد) (7) تلك الحضرة .

أما النصيحة وعرض الحاجة فهما الأهم (8) فقط . فالنصيحة ولاية لا يكتب منشورها الا من حضرة المصطفى (9) عليه افضل الصلوات واكمل التحيات (10) .

-
- 1 (أ) و (ب) فصل من مقاله وقت حضوره عند ملك الإسلام .
 - 2 (ج) والصلاة على رسوله محمد وآله اجمعين .
 - 3 (ج) قد جرت السنة وعادة علماء الإسلام .
 - 4 (ج) ورفع الدرجات .
 - 5 (ج) واما ثناء هذا المجلس .
 - 6 هذه الجملة غير موجودة في (ج) .
 - 7 ما بين الحلالين سقط من (ج) .
 - 8 (ج) المهم .
 - 9 (ج) من حضرة صاحب الرسالة .
 - 10 سقط من (ج) .

وهو القائل « تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا : الصامت الموت ، والناطق القرآن » فانظر إلى الناصح الصامت ماذا يقول بلسان الحال (11). الموت الصامت هكذا يقول : فليعلم كل مخلوق بأنني له بالمرصاد ، وسأفتح المصيدة فجأة ، ولا أبعث من قبل رسولا ، فإذا اردتم ان تتروا ماذا سأفعل بكم ، فليتنظر الملوك إلى الملوك الذين مضوا و (الأمرأ إلى) (12) الأمرأ السابقين .

فهذا سلطان ما كشأ ، وآلب ارسلان ، وطغول (13) يقولون بلسان الحال من تحت الثرى : يا ملك يا قرة العين يا ابن العزيز أيأك أيأك ! : لوتعلم ما حل بنا ، وائي الأهوال رأينا ، لن تنام ليلة شعبان (14) (وفي رعتيك جائع) ، ولن تلبس برغبتك ثوبا وفي رعتيك عريان ، وما تبقى من مال الآ (يعرض عليك) وتساءل عنه يوم القيامة (15) فإن هذه نصيحة القرآن « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (16) فسترى جميع أعمالك ذرة ذرة . وفي الخبر أن ساعات الليل والنهار تعرض على كل عبد (17) بصورة أربعة وعشرين خزينة ، فيجد خزينة مليئة بالضياء والنور فهذه هي ساعة الطاعة والعبادة ، فيدخل في قلبه منها أفراس تكون الجنة (18) عندها حقيرة . وذلك أثر رضى الحق تعالى (19) .

ويعرضون عليه خزانة أخرى ، خالية ، وهي ساعة الغفلة والنسائم والاشتغال بالمباحات (20) ، فيدخل في قلبه منها الحسرة والغبن بدون خد لأن هذه الساعة لم تكن كالأولى . فيعرضون عليه أخرى مليئة بالظلام وتلك ساعة المعصية فيستولي عليه هول وفرع ، ويتمنى لو لم يخلق أبدا .

يا أيها الملك هيأت لهذه الدنيا كثيرا من الجيوش والخزائن ، فاعمل للآخرة ايضا على قدر مقامها وممتتها . فالدنيا مقدارها معلوم - وقد لا يتقى منها غير ايام وانفاس قليلة ولكن الآخرة لانهاية لها ، بحيث لوملت السموات والارضون السبع من حبة الدخن (21) وأمر

(11) في (ج) وإلى الناطق ماذا يقول بلسان المقال .

(12) سقط من (أ) و (ب) .

(13) في (ج) وطغول يك رحمهم الله يقولون وينادون .

(14) في (ج) لن تنسج ليلة أبدا . وما بين الهلالين غير موجود فيها .

(15) في (ج) كما تعرض عليك أعمالك .

(16) القرآن الكريم سورة الزلزلة الآية 6 .

(17) في (ج) بزيادة : حتى يرى أعماله .

(18) في (ج) الجنان الثمانية .

(19) في (ج) الحق عز وجل .

(20) في الأصل الحاجات .

(21) في الأصل « كاورس » وهي حبة تأكلها الطيور .

طير بالاتقاط منها في كل ألف سنة حبة ، فتنفد ولا ينفد من الأبد شيء . فالخزانة يجب أن تكون بمقدار المدة ، كما أن نزل (22) المتزل الذي يكون المقام فيه ليلة واحدة أقلّ منه بالنسبة لمنزل تقطن فيه . واعلم أن ما من عبد الا وهو مارّ على جهنم (23) من ساعة إلى سبعة آلاف سنة (24) (وأخر واحد يخرجونه منها يكون من بعد سبعة آلاف سنة) (25) ، وهذا لمن توفي مع سلامة الإيمان ، وليس هذا بسهل . وفي الخبر : إن شجرة الإيمان تروى من الطاعة ، وأصلها من العدل ورسوخها بدوام ذكر الحق تعالى، وإذا لم يربّ بهذه التريّة فسيقع في سكرات موت لانهاية لها . اقبل مني وصيّة واحدة : اجعل كلمة « لا اله الا الله » ورد لسانك بحيث لا يسمعها غيرك ، واذكرها وإن كنت في الصيد أو على العرش أو في الخلوة ، فلا تنقطع عنك ساعة واحدة ، فإن الإيمان يرسخ بها (26) . فإناك وإن تخلّصت من عذاب الآخرة لن تتخلص من سؤال يوم القيامة « كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته » (27) فإذا أوقفوك في مقام المؤاخذه والسؤال وقالوا لك : ماذا فعلت بعبادنا والذاكرين لكلمة « لا اله الا الله » الذين جعلناهم رعيّتك وأعطيناك عدة مواش (28) فاهتممت بها حتى خصصت لها كل رجة (معلقة) خصبة . وغفلت عن عبادنا ، ولماذا قدمت حرمة مواشيك على أعزّتنا ؟ وقد قلنا إنّ حرمة المؤمن عندنا أعظم من الكعبة ، فما عندك من الجواب على هذا السؤال ؟ . وكانت سيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (29) أنّه ضلّ بعير درويش في ليلة ظلماء فكان يبحث عنه حافي القدمين يقول لو ترك جمل أشقر (30) على ضفة الفرات ولم يطلأ بالدهن لكنت أنا المسؤول عنه (31) يوم القيامة ، فرآه (32) أحد الصحابة في المنام وذلك بعد اثنتي عشرة سنة مغتسلا ولا بسا اللباس الأبيض كن تفرغ من عمل في زمانه ، فقال له : (يا أمير المؤمنين) (33) ما فعل الله بك ؟ قال : حتى الآن كنت في الحساب وكان عمل العمر كثير الخطر لولا أن الله كان كريما . فهذا حال اعدل الناس فقس عليه حالك .

(22) نزل - بضم الاول ومكون الثاني ، وبضمهما ، ويفتحهما . ما يدفع لنا للاقامة في منزل .

(23) اشارة إلى الآية الكريمة (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مفضيا) سورة مريم الآية 71 .

(24) في (ج) في ساعة تعادل سبعة آلاف سنة .

(25) سقط من (ج) .

(26) في (ج) بزيادة : بهذا الذكر الدائم .

(27) حديث شريف . انظر فهرس الاحاديث .

(28) في (أ) بعض الخيل .

(29) سقط من (ج) .

(30) في (أ) لو ترك جريا ، وفي (ج) لو ترك جملا .

(31) في (ج) رضي الله عنه .

(32) في (ج) عنها .

(33) سقط من (ج) .

وبالجملة فإنّ طريق النصيحة طويل ولكن على الملوك وملك الإسلام قصير سأضع أمامك لوحا مكتوبا فانظر فيه ، هذه سيرة أبيك ملكشاه ضعها أمامك . فإذا قالوا لك : إن أباك كان يأخذ من فلان عشرة دراهم فخذ أنت عشرة دراهم ونصف ، قل : لماذا أخذ هذه الزيادة لأنه كان يخاف الله تعالى وأنا لا أخافه ! أوكأن عاقلا يحب السيرة الحسنة ورضى الرعية وأنا لست بعاقل ؟ وإذا قالوا بأن في ولايتك يهوديًا فأخرجه من الولاية فقل : أين ؟

كان هذا في أيام أبي ؟ فإن قالوا : في ولاية أبيك ، فقل : لماذا أهدم قاعدة أسسها أبي ؟ واعلم أن من هدم قاعدة أبيه وسيرته فهو عاق ، والعاق لا يدخل الجنة (ولا يشم رائحة الجنة) (34) ولو أن رائحتها تشمّ من طريق خمسمائة ألف سنة ، (فمن دعاك إلى العقوق فهو عدوك) (35). أيها الملك أدّ الشكر لله تعالى لنعمه عليك ؛ فإنّ النعم أربع (36) : الإيمان والاعتقاد الصحيح ، والوجه الحسن ، والخلق الحسن ، والعمل الحسن ، فهذه النعمة الاخيرة تكون باختيارك أنت وأما تلك الثلاث (37) فهدية من الله تعالى ، فيما أن الله لم يخل عليك بتلك الثلاث (38) أنت أيضا لاتقصر في هذه الرابعة (39) وإلاّ تفسد الثلاث (40) لأنك ما أديت شكر النعمة .

أيها الأمراء القائمون على الدولة الجديدة ، اذا أردتم ان تستمر الدولة وتبقى مباركة لا بدّ أن تميزوا الدولة من عدمها ، وتعلموا بأنّه ليس لكم ملك واحد ، بل الملك اثنان : الأول ملك خراسان ، والثاني ملك السماء والارض الذي هو له ولكم ، فغداً يوم القيامة تقفون معا للحساب فيقال لكم : كيف أدّيتم حقّ النعمة فإنّ قلوب الملوك خزائن الله تعالى ، لأنّ كل ما يستحدثه في عالم الثرى من الرحمة والعقوبة ، هو بواسطة قلوب الملوك ، ويقولون سلمنا المال لكم وجعلنا لسانكم مفتاحا فهل أدّيتم أمانة الخزانة او خنتم الأمانة ؟

فكلّ من حجب على الملك حال مظلوم واحد فقد خان الخزانة ، فاصغوا ، واعتبروا ان الدولة فانية وعار الحياة ليوم القيامة باقٍ .

(34) سقط من (أ) و (ب) .

(35) سقط من (ج) .

(36) في (ج) خمسة .

(37) في (ج) الاربعة .

(38) في (ج) الاربعة .

(39) في (ج) الخامسة .

(40) في (ج) الاربعة .

فجئنا إلى عرض الحاجة . والحاجة اثنتان عامة وخاصة . (فالحاجة) العامة ان أهل طوس في أزمة شديدة ، مشردون (ومصابون في الظلم والقصة (41) وكل ما كان من الزرع والقمح ذهب هباء من الجفاف والبرد كما يست كل الاخشجار المثمر منذ مائة سنة ، فأرحمهم يرحمك الله تعالى فقد انقصت ظهور المؤمنين (42) وانحت أعناقهم من البلاء ومحنة الجوع ، فماذا يكون اذا خفت من ثقل أطواق الذهب التي في أعناق مواشيك ؟ .

وأما الحاجة الخاصة فهي أنني أعرضت عن الخلق وجلست في زاويتي اثنتي عشرة سنة ثم أئزمني « فخر الملك » رحمة الله عليه للمجيء إلى نيسابور ، فقلت له : ان هذه الأيام لتحمل كلامي ، فان كل من ينطق بكلمة حق في هذه الأيام تعاديه حتى الأبواب والحدردان ، وأنا سلمت الدنيا لأهلها ، فقال لي : إن الملك عادل وأقوم أنا بنصرتك ، فاليوم انتهى الأمر إلى حد : أنني أسمع مقولات لو رأيتها في المنام لقلت « أضغاث أحلام » ، فأما ما يتعلق بالعلوم العقلية فليس بعجيب اذا اعترض أحد عليها لأن في كلامي الكثير من الغرابة والعسير على الإدراك ، ولكنني حاضر لشرح وإثبات ما قلت لكل من كان في العالم ، ومن السهل علي إثبات الحجة . وأما ما قيل من طعني في الامام أبي حنيفة - رحمة الله عليه - (43) فلا أتحمّله « بالله الطالب الغالب المدرك المهلك (44) الحّي الذي لا اله الا هو » بأن اعتقادي في أبي حنيفة - رحمة الله عليه - أنه كان أكثر غوصاً من أمة المصطفى - صلى الله عليه - (45) فكل من حكى شيئاً غير هذا من عقيدتي أو خطي أو لفظي فهو كاذب (46) ، والمقصود ان يوضح الحال (47) وان تعفوني من التدريس في نسابور وطوس حتى أعود إلى زاويتي الآمنة فإن الأيام لاتتحمل كلامي (والسلام) (48) .

41 سقط من (ج) وجاء في الأصل : القصة بالسين ، والاصح ان تكون القصة بالصاد .

42 في (ج) ظهور المسلمين .

43 في (ج) رضي الله عنه .

44 في (ج) الضار النافع .

45 في (ج) ان ابا حنيفة باخص امة المصطفى في حقائق المعاني والفقهِ .

46 في (ج) وعقيدتي هي ما شرحتها في اول سيرة العلماء من كتاب الاحياء .

47 في (ج) ان يوضح الكلمة .

48 سقط من (ج) .

تعليق جامع فضائل الإنعام

فلما ألقى (1) هذا الفصل من الكلام . فكان جواب ملك الإسلام : كان من الضرورة لنا حضور جميع علماء العراق وخراسان لسمعوا كلامك ويعلموا اعتقادك ، فالملتص حاليًا ان نكتب ما قلته بخطك حتى يقرأ علينا ونأمر بإرسال نسخ منه إلى اطراف العالم لأن خبر مجيئك الينا قد شاع واشتهر في العالم ، حتى يعلم الناس اعتقادنا بالعلماء . وأما اعفاؤك مد التدريس فغير ممكن . وكان « فخر الملك » من المخلصين الينا حيث استدعاك إلى نيسابور ونحن سنبنّي لك المدارس ونأمر بحضور جميع العلماء (2) والمجيب اليك في كل سنة مرة ليتعلموا كل ما خفي عنهم ، واذا كان من يخالفك : فلتكسر شكيمة (3) بأنّ نحل إشكاله .

(1) في (ج) الامام محمد الغزالي .

(2) في (ج) جميع علماء الإسلام .

(3) في (ج) بقلع القرس .

(فصل) (1)

لما طلب منه ملك الإسلام كتابة هذا الفصل بخطه . جاء حجة الإسلام من المعسكر إلى المدينة (2) فاستقبله جميع أهل طوس واحتفلوا ذلك اليوم احتفالا عظيما بأذلين فيه الكثير من الخيرات . فكتب حجة الإسلام هذا الفصل بخطه وبعثه اليه فأمر ملك الإسلام أن يقرأوه عليه في كل وقت . فلمّا ذهب ملك الإسلام إلى الصيّد بعث صيدا لحجة الإسلام تكريما له (3) فصنف حجة الإسلام كتاب « نصيحة الملوك » (4) في مقابل ذلك وبعثه اليه . وهو كتاب يبلغ في أنواع النصيحة والتحريض على العدل والانصاف . وكتب حجة الإسلام بخطه على ظهر جزء منه : فصل في نصيحة ملك الإسلام على هذا الموجب .

(1) سقط من (ج) .

(2) في (ج) جاء من المعسكر إلى مدينة طوس .

(3) في (أ) و (ب) تقريبا لا يامه .

(4) انظر التعاليف آخر الكتاب ص : 157 ت رقم 14 .

اتفق في شهور سنة تسع وتسعين وأربعمائة [1106/499] أن كلّفوا كاتب هذه الأحرف « الغزالي » بعد ما انعزل ولازم الزاوية اثنتي عشرة سنة بالذهاب إلى نيسابور والاشتغال بإفاضة العلم ونشر الشريعة ، فإنّ نشاط العلم قد أخذهُ الوهن والفتور ، وقد قامت قلوب الأعزّة وأرباب القلوب وأهل البصيرة بتأييد هذا الطلب ، وقد نبّهت في البقطة والمنام بأنّ هذه الحركة مبدأ الخيرات وسبب لإحياء العلم والشريعة (2) . فلم استجيب الدعوة واستمرّ عمل التدريس ناشطاً وأخذ طلبة العلم من أطراف العالم يقدون ، هاج حسد الحساد ولم يجدوا أي طعن مقبول غير أنّهم لبسوا الحقّ بالباطل وغيروا كلمات من كتاب « المنقذ من الضلال » (3) « وكتاب « مشكاة الأنوار » وأدخلوا فيها كلمات كفر وأرسلوا اليّ حتى أكتب على ظهرهما « خطّ الإجازة » ولكن الله سبحانه وتعالى قد ألهمني بفضلِهِ وكرمه حتّى طالعت ووقفت على تليّسهم ، واطلع رئيس خراسان (4) على هذه الحالة وأمر بحبس ذلك الزور ، وأخيراً نفاه عن نيسابور (5) ، فذهب إلى المعسكر عند ملك الإسلام وأطال لسان الطعن ، وقد عجز عنه ، ثم أخذ تعليقا صنفته في أيام الصغر مكتوبا على ظهره « المنخول من تعليق الأصول » وقد زاد عليه جماعة بحكم الحسد من قبل ثلاثين سنة بكلمات (تطعن في الإمام) « أبي حنيفة » . لكن جماعة من أهل الدين أخذوا يشنون على هذا الداعي ، وشرحوا الحال عند ملك الإسلام وبالغوا بحيث قال ملك الإسلام : تمنّينا أن نراه ونسمع كلامه ونتبرك بدعائه ، ففي هذا الوقت (6) بحكم الإشارة إلى « مشهد » بلّغْتُ بأنّ له رغبة في زيارتي ، فذهبت إلى المعسكر « تروغ » إلى عرش الملك وقبلت دعوته فكان الأمر أن أكتب بخطّي ما مرّ من مقالتي ، فامتثالا للأمر أثبت ما ألقيته .

-
- (1) في خصوص هذا الفصل يقول الاستاذ هامي : أظنّ أن هذا الفصل كان في الأصل مقدمة لكتاب نصيحة الملوك ، ثم وقع في ضمن مكاتب الغزالي . (جلال الدين هامي : غزالي نامه ص 195) .
 - (2) انظر التعاليف ص : 157 ت رقم 16 .
 - (3) في (ج) واطلع عميد خراسان .
 - (4) في (ج) وفي الآخر فر من نيسابور .
 - (5) في (ج) ففي ذلك الوقت .

فصل (1)

فلمّا جاء حجة الإسلام - رحمة الله عليه - معزّزا مكرّماً إلى طوس وخجل المتعتون وتشاوروا ، فأثى اليه جماعة طوس وكان جالساً في الخانقاه (2) فسأله (3) أنت على مذهب من ؟ قال : أمّا في المعقولات فعلى مذهب البرهان ، وما يقتضيه دليل العقل . وأمّا في الشرعيات فعلى مذهب القرآن ، ولا أقلّد أحداً من الأئمة ، فلا للشافعي عليّ خطّ ولا لأبي حنيفة عليّ سند .

فلمّا سمعوا منه هذا الكلام لم يبق لهم مجال للانتقاد فقاموا وذهبوا ، فكتبوا عدّة مقاطع من كتبه كانت محلّاً للاعتراض وأرسلوها لحجة الإسلام ، فكتب حجة الإسلام الاجوبة بالبداهة (4) وهذه هي الأسئلة والأجوبة .

(السؤال) (5) :

ماذا يقول إمام الأئمة حجة الإسلام في جواب الذين يعترضون على بعض أقواله المندرجة في كتاب « المشكاة » (6) و « الكيمياء » (7) مثل هذا الكلام : « لا اله الاّ الله توحيد العوالم ولا هو الاّ هو توحيد الخواص » ؟

وهذا الكلام : النور الحقيقي هو الله ؟

وهذا الكلام : « ان روح الإنسان في هذا العالم غريب وهو من العالم العلوي وشوقه إلى ذلك العالم » ، فإنّ هذا كلام الفلاسفة (8) وأمثال هذا مما يحتاج إلى الشرح ، حتى ينقطع اعتراض المتعتين (9) ويظهر معنى هذا الكلام .

(الجواب) (10) :

- 1) هذا الفصل من انشاء جامع فضائل الانام .
- 2) في (ج) زيادة : وقالوا لنا : سؤال اذا سمحت سألنا ، فأمرهم حجة الإسلام بالسؤال ...
- 3) انظر التالي آخر الكتاب ص : 158 ت رقم 17 .
- 4) في (ج) زيادة : وأرسلها لهم .
- 5) سقط سن (ج) .
- 6) في (ج) في كتاب مشكاة الأنوار .
- 7) انظر التالي آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 18 .
- 8) في (ج) كلام الفلاسفة والنصارى . -
- 9) في (ج) اعتراض المتعتين .
- 10) سقط من (أ) و (ب) .

فكان جواب حجة الإسلام - رحمة الله عليه -

اعلم أن السؤال عن المشكلات هو استعراض مرض القلب وعلته على الطبيب . والجواب هو السعي في شفاء المريض ، والجهل بالمرضى « في قلوبهم مرض » (11) ، والعلماء هم الأطباء ولا يصح التطيب من العالم الناقص ، والعالم الكامل لا يعالج إلا إذا كان أمل الشفاء ظاهرا ، فإذا كانت العلة مزمنة والمريض بلا عقل فمهارة الطبيب في أن يقول : ان هذا المريض لا يقبل العلاج ، ولا اشتغال بمعالجته ليس إلا تضييعا للوقت .

وهذا المريض أربعة (12) : واحد منها يقبل العلاج ، وأما الثلاثة الباقية فلا .
المريض الأول : من كان اعتراضه من الحسد ، والحسد مرض مزمن ولا طريق لعلاجه ، فكل جواب لاعتراضه مهما كان أوضح وأحسن يزيد في غضبه ويشعل نار الحسد في قلبه ، فلا بد أن لا يشتغل بجوابه .

(كما قال الشاعر) (13) :

كلّ العداوة قد ترجى (14) إمانتها (15) إلاّ عداوة من عاداك من حسد
فتدبره أن يترك مع علته وأن يعرض عنه « فأعرض عمن تولى » عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا « (16) والحمود بكل ما يقول يوقد النار في حصاد مزمرته « فالحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » فهو يستوجب الرحمة لا الخصومة (17) . ثم يعترض على من صرف العمر في العلوم العقلية .

المريض الثاني : من كانت علته من حماقة وعدم العقل ، وهذا أيضا لا يقبل العلاج ، فإن عيسى - عليه السلام - أحيا الميت وعجز عن معالجة الأحقق ، فهذا من لم يصرف العمر في العلوم

(11) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 10 .

(12) في (ج) ومرض الجهل على أربعة .

(13) سقط من (ج) .

(14) في (ج) قد يرجى .

(15) جاء هذا البيت في كتاب فيصل الفارقة بين الإسلام والزندقة من مؤلفات الغزالي : كل العداوة قد ترجى سلاتها

(16) القرآن الكريم سورة النجم الآية 29 .

(17) في (ج) لا الخصومة والمجادلة .

العقلية ثم يعترض على من صرف العمر فيها ، فلا يعلم هذا المدبر (18) بأن الاعتراض الذي ظهر على العاوي قد ظهر أيضا على العالم ، فهذا كلام له غور عرفه العالم وجهله العاوي .

وجميع الفقهاء (والأدباء والمفسرين) (19) والمحدثين والمشتغلين بأنواع العلوم عوام في العلوم العقلية ، وأكثر المتكلمين كذلك فإنهم درسوا ظاهرا من علم الكلام ولم يعرفوا غوره وحقيقته ، فاعتراض هؤلاء القوم إذا لا يستحق الالتفات ، فكيف يستحق الجواب اعتراض الذين لم يخوضوا في (20) علم ابدا ؟ ! . وقصة موسى والخضر - عليهما السلام - (21) في القرآن (22) تنبيه على هذه الدقيقة ، فإنه لو حرق السفينة أحد من العوام لاستوجب الاعتراض ، وأما إذا خرقتها العالم الكامل فلا يمكن الاعتراض عليه ، فإن الكل يعرف وجوب حفظ مال الأيتام . فالعالم أيضا يعلم هذا ومع علمه حرق السفينة فلا بد أنه يعرف وراء ذلك شيئا يكون هذا الفعل بالإضافة إلى ذلك فعلا غير منكر . بل معرفة الحق تعالى ومعرفة حضرة الربوبية وملكوته السموات والأرض ليست بأقل من معرفة النسخ ، فلو أن أحدا قرأ جميع العلوم على وجه الأرض وتعلم جميع الصناعات ولكنه لم يسع لتعلم النسخ والحياكة ، فلا يحق له أن يعترض على النسيج ، وإذا تعب في تعليمه فلا يحق له أن ينكره (23) على من هو أعلم منه ، بل كَلِمَا يظهر له منكرا يحمله على قصور فهمه ، فحيث لم يكن له هذا المقدار من العقل فلا بد أن يعرض عنه دون الاشتغال بجوابه .

المريض الثالث : المسترشد الذي يحمل كل ما لا يفهمه على قصور فهمه وعقله ولا يكون معترضا بل يكون طالبا للعلم وسؤالا للاسترشاد (ولكنه بليد) (24) وفهمه عن إدراك دقائق العلوم قاصر ، فهذا أيضا لا يشتغل بجوابه . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (25) « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس (26) على قدر عقولهم » فليس معنى هذا أن يكلموهم على خلاف الواقع ولكن معناه أن يكلموهم على مقدار ما يطبقون فهمه وما لا يطبقون فهمه فلا

(18) في (ج) فلا يعلم هذا المقدار .

(19) سقط من (ج) .

(20) في (ج) أي علم ابدا .

(21) في (ج) صلاة الله وسلامه عليهما .

(22) قال تعالى : (قال له موسى هل أتيتك على أن تعلمني مما علمت رشدا - إلى - ذلك تأويل ما لم تنطع عليه صبرا) الآيات

المباركات 60 - 82 سورة الكهف .

(23) سقط من (ج) .

(24) في (ج) صلى الله عليه وآله وسلم .

(25) في (ج) ان نكلم الناس .

(26) من الآية 11 : القرآن الكريم سورة الاحقاف .

يقولونه . وينبّهون بأنّ ذلك ليس من عملهم فإنّه إذا قيل لم يزد إلّا إنكارا وتكديبا « وإذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إفاك قديم » بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه « (27) إشارة لهؤلاء القوم .

المرضى الرابع : هو المسترشد والظن والذكي ، والعقل غالب عليه ، يعني أنّه لم يكن مغلوبا للغضب والشهوة وحجّ الجاه والمال ، فهذا المرض (28) قابل للعلاج ولأجله سنأتي هذه الاجوبة إن شاء الله تعالى . فإذا رأيت أحدا لم يحصل شفاؤه من هذا الجواب فلا تعجب فإنّه من الثلاثة الأولين . وأكثر الخلق من هؤلاء الثلاثة ، وأمّا الذي من الرابعة فعزيز ونادر .

المسألة الاولى : سألت : ما معنى كلمة « لا إله إلّا الله » توحيد العوام « ولا هو إلّا هو » توحيد الخواص . وعليها اعتراضان :

الأول أنّه طعن في كلمة « لا إله إلّا الله » وإشارة نقصانها وكيف هذا وهي سبب سعادة جميع الخلق وقاعدة جميع الملل وأصلها .

الثاني : أن « لا هو إلّا هو » يظهر متناقضا لأنّ المستثنى هو عين المستثنى منه وكيف يمكن أن يكون شيئا هو المستثنى والمستثنى منه ؟ .

اعلم ان الاعتراض الأول الذي ظننت بأنّ هذا الكلام في معرض الطعن والنقص في كلمة « لا إله إلّا الله » خطأ ، بل معناه أنّ مجرد معنى كلمة « لا إله إلّا الله » عامّة ويشترك فيها الناقص والكامل والعالم والخاصّ بل اليهود والنصارى ، والنصارى حين يقولون « ثالث ثلاثة » لا يقصدون بأنّ الله ثلاثة بل يقولون : إنّ الله واحد بذاته وثلاثة باعتبار صفاته وهذا لفظ قولهم : « واحد بالجواهر وثلاثة بالاقنومية » (29) يقصدون من الاقنوم الصفات ، وأمّا « لا هو إلّا هو » فمعنى « لا إله إلّا الله » بتمامه مضمّر فيه ولكن فيه زيادة ولا يعلم تلك الزيادة ولا يصل إليها إلّا الخواص وليست على قدر عقل العوام ، وأمّا كلمة « لا إله إلّا الله » فيفهمها جميع العوام . فإذا عرفت بأنّ معنى هذا الكلام هو اختلاف درجات التوحيد :

فاعلم أنّ للتوحيد درجات ، وله ظاهر يدركه الجميع . وهذا كقشر له . وله حقيقة هي كاللبّ ، ولهذا اللبّ لبّ آخر ، يمكن تشبيهه بالجوز فإنّ له قشرا ولقشره قشرا وله لبّ وللبّ لبّ وذلك الدهن . فإذا أردت أن تعلم تفاوت درجات التوحيد ، فاعلم بأنّ أولى درجاته قول « لا إله إلّا الله » باللسان دون اعتقاد القلب ، وكلّ المنافقين يشتركون في ذلك ، ولهذا التوحيد أيضا حرمة ، فإنّ سعادة هذا العالم تحصل به ويعصم ماله ودمه ، ويأمن أهله وأولاده .

(27) الآية 39 : القرآن الكريم سورة يونس . وفي (ج) ولا ياتهم تاويله ، وهو خطأ .

(28) في (ج) فهذا المريض .

(29) انظر : التعاليم آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 19

الدرجة الثانية (30) : اعتقاد معنى هذه الكلمة على سبيل التقليد دون المعرفة الحقيقية فجميع عوام الخلق قد انتهوا إلى هذه الدرجة ، بل اليهود والنصارى يشتركون فيها . وحيث كانت هذه أقرب إلى التحقيق تكون من ثمرتها (أمن) (31) كلا العالمين . وحيث إن تصديق جميع الأنبياء جعلهم في هذه الدرجة فهم من أهل النجاة في هذا العالم ، ولو أنهم لم ينتهوا إلى كمال سعادة أهل المعرفة .

الدرجة الثالثة (32) : هي أن تكشف معنى هذه الكلمة ببرهان محقق حتى يعرفها ، كمن يعرف ببرهان الحساب أن عدد الثلاث عشرة ثلث عدد تسعة وثلاثين ، فيعلم وحدانية الله تعالى بهذه الصورة ، لا كمن لا يعرف الحساب بشخصه ولكن سمع بأن عدد الثلاث عشرة ثلث تسعة وثلاثين واعتقد به وصدق تقليدا . فهذه الدرجات الثلاث متفاوتة .

فالأولى : صاحب مقالة ، والثانية : صاحب عقيدة ، والثالثة : صاحب معرفة . وليس أحد من هذه الثلاث صاحب حالة (33) ، وأرباب الحالة غير أرباب المعارف والأقوال .

الدرجة الرابعة : ان يكون مع المعرفة صاحب حالة بان لا يكون له معبود إلا واحد . وكل من غلب عليه هواه فمعبوده هواه . « فأرأيت من اتخذ الهه هواه » (34) . وكل شيء يعبدونه ويعتقدون في قيده فهم عباد ذلك الشيء ، ولذلك يقال (35) فلان عبد البغال وفلان عبد البطن . وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - (36) « تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار » فسمّاهم عبيدا ، لأنهم عبيد لما يطلبون ، فكل من كان هواه وشهوته بيده ويكون تحت طاعة الحق وأمره فكلمة « لا إله إلا الله » منه صدق ، وإذا لم يكن كذلك فهو محروم من مقصود هذه الكلمة ونصيه منها قول اللسان وتفكير القلب ، ولو ان هذه الكلمة صدق الا انه هو كاذب . قال النبي - عليه الصلاة والسلام - (37) : « لا يزال لا إله إلا الله دافعا عن الخلق عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على صفقة دينهم » فإذا أثروا ثم قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى « كذبتم صادقين فيها » .

(30) في (ج) الدرجة الثانية من التوحيد .

(31) سقط من (ج) .

(32) في (ج) الدرجة الثالثة من التوحيد .

(33) الحال عند المتصوفة : معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتناب ولا اكتساب ؛ من طرب او حزن او قبض او بسط ، ويزول الحال بظهور صفات النفس ، فإذا دام وصار ملكا يسمى مقاما . فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب ؛ فالاولى تأتي من عين الجود ، والثانية ببذل المجهود .

(34) القرآن الكريم سورة البجائية الآية 23 .

(35) في (ج) يقولون .

(36) في (ج) صلى الله عليه وآله .

(37) في (ج) صلى الله عليه وآله وسلم .

فهذا الشخص ولو أنه يلفظ هذه الكلمة ويعلم معناها ، ولكن وجه قلبه إلى الدنيا وشهواتها وليس في كامل احواله مطيعا لأمر الله . فإنه كاذب في هذه الكلمة بل أوّل كذبه قيامه إلى الصلاة وقوله « الله أكبر » يقولون له : لا تكذب ، إذا كان الله عزّ وجلّ في قلبك هو الأكبر لكنت تطيعه ولا تطيع الشيطان ولا الدنيا وشهواتها . وحين يقول : « وجهت وجهي الذي فطر السموات والأرض (38) ، يقولون له : لا تكذب ، إنك إن أردت بوجهك الظاهر لم تكن موليا وجهك اليه لأنّ (الله) ليس في هذه الجهة ، (بل إنّه غير محدود في جهة) (39) وإذا كنت قصدت وجه قلبك فإنه أيضا بكامله متوجه إلى الدنيا والجاه والمال والشهوات ، لماذا تكذب مع من يعلم سرّك ويعلم أن وجه قلبك بأيّ جانب هو ؟ . وحين يقول « اياك نعبد » (40) يكذبونه أيضا ويقولون : أنت (41) « عبد الدرهم والدينار وعبد الجاه والابهة فيّاته تعبد » فليست العبادة ما نقوله بلسانك ، بل معبودك هو الذي تكون أنت عبده ، فهذا الرجل من أهل « لا إله الا الله » ولكن حاله ودرجته هذه ، فكيف يعادل هذا مع الذي ألجم جميع شهواته بلجام التقوى ولم يفعل سوى ما يوافق أمر الله تعالى .

اعلم أنّ مثال التوحيد والمعرفة كالمسهل ، الغرض منه تنظيف الداخل من الأخلاط ، فإذا أكل المسهل ولم يفعل عمله لم يحصل الشفاء والسلامة ، بل يحتمل فيه خطر الهلاك فإنّ مسهل التوحيد إذا نزل في القلب ولم يهدم غلبة الهواء والشهوة ، ولم يقلب الشهوة التي كانت أميرا عليك أسيرا لك فحينئذ يكون كالمسهل الذي لم يفعل فعله ، فهذا الشخص كيف يقابل من أخرجه التوحيد من جميع القيود وجعله صاحب صفة واحدة وهمّة واحدة ومعبود واحد ، وكلاهما من جملة أهل « لا إله الا الله » ولكن ما بينهما كما بين السماء والأرض .

الدرجة الخامسة : (42) ما لم يقتصر مسهل التوحيد في باطنه في الغلبة على الشهوة وجعله الهواء متبعا ، بل قضى على الهواء والشهوة بالكلية ، بحيث لم يكن يتبع الشهوة في أيّ عمل لا في ما يوافق الشرع ولا في ما يخالفه ، بل يصبح صاحب عزم وهمّة واحدة بحيث « لا يتحرك الاّ الله ولا يسكن الاّ الله ولا يتكلم الاّ الله » فهذا الرجل اذا أكل شيئا (43) لا يأكله ليستلذ من لذة الطعام

38 القرآن الكريم سورة الانعام الآية 79 . وفي (ج) (وجهت وجهي لله فاطر السموات) وهو خطأ .

39 سقط من (ج) .

40 القرآن الكريم سورة الفاتحة الآية 4 .

41 في (ج) ويقولون : هذا عبد الدرهم وعبد الدينار . انظر فهرس الاحاديث .

42 في (ج) الدرجة الخامسة من التوحيد .

43 في (ج) إذا أكل الخبز .

ولكن يأكله للضرورة وبمقدارها ليتقوى به على الطاعة والعبادة ، وإذا ذهب لقضاء الحاجة (44) فذلك للتفرغ للعبادة حتى يذهب بالمانع عن نفسه ، ولا فرق بين إيصال الطعام إلى المعدة أو إخراجه عنها . بل يفعلهما ضرورة للتفرغ والقوة على العبادة ، وإذا نام لاينام ليستربح بل ليجد قواه للعبادة ، وإذا نكح لاينكح للشهوة ولكن يفعله رعاية للسنة وتكثيرا للأمة حتى يباهي بهم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - (45) . فجميع أحواله تكون هكذا : إذا قال أو سمع أو أخذ (46) فكلمتها للحق تعالى ، والفرق بين هذه الدرجة والدرجة الرابعة كبير ، لأن التوحيد يخرج ذلك الرجل من يد الشهوات التي تخالف الشرع ، وأما هذا فقد أخرجه مطلقا من جميع الشهوات .

الدرجة السادسة : هي ما أخرج التوحيد صاحبه من يده بالكليّة ويخرجه مما في العالم (47) بل وأخرجه من يد الآخرة (48) كما أخرجه من قيود الدنيا فلم يبق له إلا الحق تعالى ، وينسى نفسه ولا يذكر سوى الحق تعالى ، فيغيب عنه الجميع ويغيب عن الجميع فلا يبقى لا هو ولا العالم فيبقى الحق (49) فقط ، ويكون حاله : « قل الله ثم ذرهم » (الآية) ، ويكون قد وقته : « كل شيء هالك إلا وجهه » (50) فأهل البصيرة يسمّون هذه الحالة : « الفناء في التوحيد » (51) لأن من غير الحق يكون فانيا من الجميع (وقفاؤه يكون فانيا من الفناء) (52) بمعنى أنّه إذا التفت إلى فئاته ، فهذا يشغله عن الحق تعالى . وكل من لم تكن له طاقة للفهم وإدراك هذا المعنى يظن انها هموم كبيرة ولكن كمال (53) التوحيد هو هذا ومصداق الحديث القدسي : « لا يزال العبد يتقرب (54) إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به » .

(44) بقصد التخلي .

(45) في (ج) : تكثيرا لأمة محمد المصطفى (ص) حتى يباهي بهم . وهذا ناظر إلى الحديث الشريف « تناكحوا ، ناسلوا فاني أباهي بكم الاسم يوم القيامة » .

(46) في (ج) بزيادة : أوراى .

(47) كذا في الأصل .

(48) في (ج) : من يد الآخرة ايضا .

(49) في (ج) : الحق تعالى .

(50) القرآن الكريم : الآية الاولى سورة الانعام من الآية 91 ، والثانية سورة القصص من الآية 88 .

(51) انظر التعليقات آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 20 - 21 - 22 .

(52) سقط من (ج) .

(53) في (ج) : ولكن كمال مراتب التوحيد .

(54) في (ج) : مقربا الي .

فصاحب الدرجة الخامسة يكون مع نفسه ويقول بنفسه ويسمع بنفسه ويرى بنفسه ، ولكن للحق لا لنفسه وهواه ، وأمّا هذا الرجل فلم يكن مع نفسه ولا يرى بنفسه ولا يسمع ولا يقول ، ولكن يقول به ويسمع منه ويراه في كلّ ما ينظر ، بينما ذلك الرجل يرى كلّ شيء ولكن يرى الله مع كلّ شيء ويقول : « ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله (55) معه » وهذا الرجل لا يرى إلّا الله ويقول : « لا موجود إلّا الله » .

فتوحيد الرجل الذي نفى معبودا غيره يكون جزءا لتوحيد الرجل الذي نفى موجودا غيره لأنّ في نفى الوجود نفى المعبود ، فكما ان جميع درجات التوحيد كانت منظوية وحاصلة في توحيد من نفى معبودا غيره ، فتوحيد هذا وجميع مراتب التوحيد حاصلة في طي توحيد من نفى وجودا غيره ، فأصبح صاحب الدرجة الخامسة من العامة في مقابل هذا الاخير وهذا هو « خاص الخواص » ، وكما ان أرباب سائر درجات التوحيد كانوا من العوام عند صاحب الدرجة الخامسة وكما ان درجة (56) التوحيد هي هذه الدرجة السادسة . وأرباب هذا المقام يظهر عليهم شبه سكر عند غلبة هذه الحالة عليهم ، وفي ذلك السكر يغلطون غلطين : الأول يظنون أنه قد حصل لهم اتصال . ويعبرون عنه (57) « بالحلل » ، والآخر : يظنون أنه قد حصل اتحاد (58) فصار هو وكلاهما واحدا والذي يعلم أن الاتحاد محال يظن أنه قد حصل الاتصال ، فهذا قول صاحب ظنّ الاتحاد حيث يقول : « أنا الحق وسبحاني » (59) وإذا تبدّل السكر إلى الصحو ، عرف انه غلط : حيث إن الحلل عرض على جوهر او جسم في باطن جسم مجوف آخر وكلاهما على الحق تعالى محال ، واتحاد الشئين ايضا محال ولو كانا محدثين فاذا اتحدا لا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال : إمّا كلاهما موجود ، فحينئذ ليسا متّحدين لأنّ كلّ واحد منهما موجود بوجوده ؛ وإمّا معلوم ، فحينئذ ليس لهما وجود فليسا بمتّحدين ، وإمّا أن يكون الواحد موجودا والآخر معدوما ، فليس هناك اتحاد ايضا . فكما التوحيد هو أن لا يكون موجود إلّا واحدا ، ولو أنه صحيح أيضا بأن لا معبود إلّا واحد ، ولكن هذا يشمل هذه الاخرة وغيرها ، وفيه زيادة (60) ولكن يبدو أن هذا محال وليس بمعقول لوجود السماء والأرض والملائكة والكواكب والشياطين وكلّ الموجودات ، فما معنى لا موجود إلّا الله تعالى ؟ (61) .

(55) في (ج) : ورأيت الله عز وجل .

(56) في (ج) : وكما درجات التوحيد هي الدرجة السادسة .

(57 - 58) انظر التاليف آخر الكتاب ص : 159 ت رقم 20 - 21 - 22 .

(59) في (ج) : أنا الحق وسبحاني ما أعظم شاني . انظر التاليف آخر الكتاب ص : 160 ت رقم 23 .

(60) في (ج) : سوال تلك تقول . نعم ان فيها شمولا أكثر ولكنها محال وغير معقول .

(61) في (ج) لا موجود الا واحد .

اسمع جواب هذا واعلم لو خرج ملك مع غلمانة إلى الصحراء في يوم عيد وأعطى لغلمانة الخيل وجهزهم بأحسن تجهيز بمثل ما عليه ، فلو رآهم أحد وقال : هؤلاء كلهم متساوون في التمكن أو كلهم متمكنون ، فكلامه صحيح وصدق عند من لا يعرف سرّ الخبير . وأما من يعرف سرّ الخبير فيقول : إنّ هذا الملك والتمعة ليسا غير عارية وسوف يؤخذان منهم من بعد صلاة العيد ويقول : لا غنيّ إلاّ الملك ، فمقاله هذا في الحقيقة هو الصدق ، حيث إنّ إضافة العارية إلى المستعير أمر مجازي ، وفي الحقيقة المستعير هو الدرويش (62) والغني لا ينقطع عن غناه بهذا المال المستعار منه .

اعلم (63) ان الوجود لكلّ الاشياء عارية (64) وليس من ذاتها بل من الحقّ تعالى . ووجود الحقّ تعالى ذاتي وليس يأتي من مكان آخر ، بل الوجود الحقيقي هو لاغير ، وسائر الاشياء (65) تبدو موجودة عند من لا يعلم انها عارية . فمن عرف حقيقة الامور يظهر له « كل شيء هالك الاّ وجهه » (66) أزلا وأبداً لا أنه في وقت خاص يكون كذا ، بل جميع الاشياء في جميع الاوقات معدومة امام من كانت ذاته هي عين الوجود ، لأن نسبة الوجود والعدم إلى الأشياء ليست بذاتية بل من ذات الحقّ تعالى ، فهذا الوجود مجازي لاجل حقيقي وهذا الكلام : « لا موجود الاّ هو » صدق ، فلذلك يصحّ « لا هو الاّ هو » لأن هوالاشياء إلى موجود لا موجود غيره ، (فضمير) (67) هو لا يصحّ الاّ في حقّه والاشارة لاتصحّ الاّ اليه فهذا معنى « لا هو الاّ هو » ، واذا لم يفهمه شخص فهو معذور ، اذ ان هذا المعنى ليس على قدر فهم كلّ أحد .

وسألت : (68) ما معنى « الله هو النور » لأن النور هو ما كان له شعاع ضياء (69) ؟
 اعلم : بأن معنى هذا معلوم في ذلك الكتاب . بحيث من تأمله ظهر له وادرك معناه ، واذا كان لا يصحّ اطلاق النور الاّ على المحسوس (70) الذي له شعاع ، فلماذا أطلق الله تعالى كلمة

(62) المقصود من كلمة الدرويش هنا هو المعدم والفقير .

(63) في (ج) فالآن اعلم .

(64) في (ج) مستعارة وليست من ذاتها .

(65) في (ج) : وسائر الاشياء تكون العدم المتظاهر بالوجود وهو وجود عند ...

(66) القرآن الكريم سورة القصص الآية 88 .

(67) ما بين المثلين سقط من (أ) و (ب) .

(68) في (ج) بزيادة : مسألة أخرى .

(69) في (ج) : شعاع وضياء .

(70) في (أ) و (ب) : واذا ما كان النور الاّ المحسوس .

« النور » على القرآن والرسول ، كقوله : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ، (71) فإنّ هذا ليس له أيّ معنى . وكذلك الآية « الله نور السموات والأرض » (72) .

فاعلم ان النور عبارة عما يرى وترى به الاشياء (73) ، وان هذه الاضافة بالعين الظاهرة التي يسمونها « البصر » . وللقب عين وتلك العين نور يكون بصيرا باضافته كالنور مع العين الظاهرة ، ولهذا يقال للعقل نور (74) وللقرآن نور وللرسول - عليه الصلاة والسلام - نور ، كما يقال لقوة البصر نور ويقال للعقل نور لانه يمكن أن يرى بعين القلب وترى سائر الاشياء به ، وهو أيضا يرى شخصه ، فإطلاق اسم النور عليه أولى من اطلاقه على نور عين الظاهر - فقوة الإبصار تسمى نورا لأنها ترى الاشياء مع أنها لا ترى نفسها ، والعقل يرى نفسه ويرى سائر الاشياء فشعاع وضياء عين الظاهر شيء وضياء عين الباطن شيء آخر ، فالقرآن نور ، والرسول (عليه الصلاة والسلام) (75) نور بالاضافة إلى عين الباطن .

فكما يصح إطلاق النور على العقل ، وذلك لأنه يرى الاشياء بإطلاقه على ما يكون العقل والرؤية منه وكلّ عيون الظاهر والباطن منه وكل ظهور ونور في العالم منه فإطلاق هذا الاسم عليه أصدق ، فلما كان المعنى صحيحا وجاء هذا اللفظ في الكتاب والسنة فما المانع منه ، وجاء شرح هذا في كتاب « المشكاة » (76) أوفى من هذا .

فلا اعتراض اذا كان على اللفظ فإنّ هذا اللفظ جاء في القرآن « الله نور السموات والأرض » (77) وجاء في الخبر : سألو الرسول « عليه الصلاة والسلام » عن ليلة المعراج . هل رأيت الله ؟ قال : نورا رأيته . واذا كان الاعتراض على المعنى فهذا قد مرّ ذكره ، ولم يبق فيه شك والاعتراض بعد هذا جهل . وسألت أيضا : ما معنى هذا الكلام : « ان روح الإنسان في هذا العالم غريب وشوقه إلى العالم العلوي ؟ » فإنّ هذا كلام الفلاسفة والنصارى .

اعلم بأن كلمة « لا إله الا الله عيسى روح الله » تقولها النصارى ومع ذلك هي كلمة حق ولا يبطل كلام الحق إذا قاله المبطل . وهذا من غاية الجهل اذا ظن أحد فيمن تكلم مرة بباطل انه كلما يقول مرة أخرى سيكون باطلا . فإذا كان كذلك فالكفار والمبتدعة قادرون

(71) القرآن الكريم سورة النساء الآية 174 .

(72) القرآن الكريم سورة النور الآية 35

(73) في (ج) : النور عبارة عما يرى وترى به الاشياء وهذه الاضافة بالعين الظاهرة .

(74) في (ج) : يقولون للعقل نور .

(75) في (ج) وللرسول صلى الله عليه .

(76) انظر التعاليف آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 7 .

(77) القرآن الكريم سورة النور الآية 35 .

على الاعتراف بكل ما هو الحقّ إلاّ بالذي يكفرون ويبتدعون ، فبذلك يعطلّ كلّ حقّ (78) ولكن طريقة العقلاء هي كما قال امير المؤمنين علي (بن أبي طالب كرم الله وجهه) (79) : « لاتعرف الحقّ بالرجال ، اعرف الحقّ تعرف أهله (80) .

فهذا الكلام : « انّ روح الإنسان غريب هنا ، واصله من الجنة ، وعمله مرافقة الملائ الأعلى ، ومقرّه وموطنه ذلك العالم الذي سمى بالجنة وبالعالم العلوي » . فكلّ القرآن والكتاب دليل عليه ولا يبطل بإقرار فلسفيّ أو نصرانيّ ، وهذا ظاهر من الآيات والاخبار .

وأما على حسب البصيرة ، فكلّ من عرف حقيقة الروح علم ان خاصته معرفة الحضرة الالهية ، وهي غذاؤه ، وكلّ ما يخصّ هذا العالم فغريب عن ذاته وعارض عليه ، لا بد أن يتفنى ، ولا يبقى معه إلاّ معرفة حضرة الربوبية (81) وهو حيّ بها وباق ومنعم (82) . وجاء شرح هذا في كتاب « الاحياء » ، « والكيمياء » و « جواهر القرآن » وسائر الكتب ، فكلّ من اراد أن يعلم فليتأمل في هذه الكتب . ومن ينظر فيها بعين العناد والتعنّت فلا تشفيه (83) ، فكيف يشفيه هذا المختصر ، ولا ينقطع لسانه العنود والحسود ، والالتفات اليه ليس بصحيح (84) ، وإذا كان أحد طالبا لحقيقة هذا العلم ولم يحصل له من الكتب ولم يكن له استقلال الفهم فليأت وليتقرّ ، « والعلم ما يؤخذ من افواه الرجال ، وما ذكرت في كتاب من كتبني كلاما لا أقدر على اثباته ببرهان قاطع لمن له الفهم اتخالي من مرض العناد والحسد ، لا مع من نزل في حقّه « إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا » (85) . وأما طلبه هذا ، فإذا كان من المعاني المستعصية فهمها ، فليقدّمه حتى ينتهي الإشكال . واعلم أنه ليس في كتاب من كتبني كلام لم يكن شرحه معه بلبه الفهم ، وأما من لم يفهم فعليه أن يأتي ويتعلّم ويسمع مشافهة وليس له تدبير آخر ، واعتراض الجاهل ليس محصورا في مورد حتى ينظر فيه (86) ، وأن أسباب الجهل وأمراض القلب مختلفة لاتدخل تحت حصر ، فلا يمكن أن تركز

(78) انظر التعاليق ص : 160 ت رقم 24 .

(79) سقط من (ج) .

(80) في (ج) : لاتعرف الحقّ بالرجال بل اعرف الرجال بالحق ، الحقّ تعرف أهله . انظر التعاليق آخر الكتاب ص :

(81) في (ج) : صاحب الربوبية .

(82) في (ج) : وباق ومنعم بها .

(83) في (ج) : ولا تشفيه الكتب فموف لا يشفيه هذا المختصر .

(84) في (ج) : والالتفات اليه ، بالقلب ليس بصحيح .

(85) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 57 .

(86) في (ج) : ليس بمحصور في مورد حتى يجاب عنه .

إليه لأنك إذا صنت كلاما من الاعتراض فكأنك حفظت القرآن ، لأن الجهال لم يقطعوا اعتراضهم عن القرآن (87) حتى أبقوا مائة ألف شبهة في قلوب العالمين لاتقبل العلاج ، فهذا الأسفل في غير القرآن محال .

ومن يك ذا قسم سرّ مريض نجد (88) مرا به الماء الزلالا (89) وسالت : ما معنى هذا الكلام « إفتاء سرّ الربويّة كفر » ؟ لأنه إذا كان هذا السرّ صدقا فلماذا يكون كفرا ، وإذا كان كذبا فكيف يكون كذبا في سرّ الربويّة ؟ اعلم بأنّ هذا الكلام حكاه « أبو طالب » (90) في « قوت القلوب » عن بعض السلف وأنا ذكرته في كتاب قبل هذا . قال بعض العارفين : « إفتاء سرّ الربويّة كفر » .

ومعنى هذا : أنّ في أسرار الربويّة أشياء لاتحملها أكثر الأفهام ولذلك لايطبق المستمع ذلك الحق ويكون الحقّ في شأنه باطلا . وهذا معنى ما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « نحن معاصر الأنبياء أمرنا ان نكلّم الناس على قدر عقولهم » ، فعلى هذا المثال : سرّ الروح وسرّ القدر من أسرار الربويّة . وأما العلماء الراسخون فيعلمونها ولا يقولونها ، لأنّ الخلق ليس هم فهم ذلك وبهذا قد يقعون في الكفر . وجاء في الخبر : « القدر سرّ الله فلا نقشوه » ، وعلى مذهب جمع آخر مثال تزريه الباري لايمكن ذكره عند كلّ أحد لأنك إذا قلت هذا السرّ : بأنّ الله ليس في جهة وليس متصلا بالعالم وليس بمنفصل عنه ولا داخلا في العالم ولا خارجا عنه والجهات الست خالية عنه قال الله تعالى « أينما تولّوا فثمّ وجه الله » .

فأكثر الخلق لايطبقون سماع هذا وسيكفّرون قائله وسيقولون : إذا كان كذلك فليس بموجود ، لأن كلّ ما لم يكن في داخل العالم ولا خارجه فمعدوم ، أو يقولون : إنّ هذا باطل ولا يصحّ أن يكون هكذا . ويقعون في تشبيه الباري ، وهذا من أسرار الله . ومنها (91) « التّقيديس » فإنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصّحابة لم يصرّحوا أبدا مع ما كانوا يعلمون أنّه هكذا ، كان هذا مثالا « لهذه المسألة على مذهب جماعة ومن هو على مذهب السلف . وأمّا المثال الآخر عند بعض آخر ، هو أنّ لاتقول : إنّ كلّ ما نفعله ونقوله من الذّكر والطاعة والمعصية سيكون موجبا إمّا لرضى الله أو لسخطه ، بل كلاهما عنده سواء ، لأنه ليس له

(87) في (ج) : لأن اعتراض الجاهل لم يقطع من القرآن .

(88) في (ج) يجد مرا .

(89) هذا البيت نهاية الرسالة في التسخين (أ) و(ب) وما بعدها ساقطة منها ونحن اثبتناه من نسخة (ج) .

(90) انظر التعاليق ص : 161 ت رقم 25 .

(91) أي ومن الاسرار سرّ التّقيديس .

لا الغضب ولا السرور ، فلماذا نتعب أنفسنا ، ثم يقولون : لا يصح تأويل الرضا والغضب أيضا حيث إنه من المعلوم بأن الله لا يغضب لأنه نقصان ، ويصح الغضب ممن يُتعدى عليه ، وأما من لا فاعل إلا هو فكيف يغضب وعلى من يكون غضبه ؟

ويفرح الذي ينال مراده ، وأما هو فليس له غرض حتى يكون حصوله أولى من عدمه ، ففرحه حالة ، وإظهار هذا للخلق يمنهم من الطاعة ويؤدي بهم إلى الكفر والإباحة ، ولهذا أمثلة كثيرة . ولا أنكلم عن سرّ القدر ولا سرّ الروح ، لأنّ رسوله الله (ص) لم يؤمر أن يقول أكثر من هذا « الروح من أمر ربي » . وأما البليد من يظنّ أنّ الرسول (ص) ما كان يعرف حقيقة الروح لأنّ كلّ من لا يعرف حقيقة الروح لم يعرف الله أو عرفه بصعوبة .

الباب الثاني

في الرسائل التي كتبها لـ «سوزراء»

وهي اثنتا عشرة رسالة :

- خمس منها للصاحب الشهيد « فخر الملك » - سقاه الله غوادي المغفرة
 - وواحدة جوابا لـ «صبر الوزراء» أحمد بن نظام الملك - تغمد الله بغيرانه -
 - وثلاث لـ « شهاب الإسلام » قبل وزارته .
 - وثلاث للوزير الشهيد « مجير الدين » - برد الله مضجعه -
- وكل رسالة من هذه الرسائل كتبت من كنوز الحكمة ، وصدف مشحون بأسرار الشريعة .

(بسم الله الرحمن الرحيم) (1)

الأمير والحسام والنظام وما أشبه فلك كَلَمَ من الألقاب والخطاب ، ومن جملة الرسوم (2)
والتكلف « وأنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف » فهم معنى الأمير وطلب حقيقة أهم ، فكل
من كان ظاهره وباطنه متلبسا معنى الأمير فهو أمير ولو لم يناد به أحد بالإمارة ، وكل من هو
عار عن هذا المعنى فهو أسير ولو خاطبه العالمون بالأمير .

ومعنى الأمير أن يكون أمره نافذا في جيوشه وأول جيش جعلوه تحت ولاية الإنسان
هو جنود باطنه ، وهذه الجنود أصناف كثيرة « وما يعلم جنود ربك إلا هو » (3) ، ورؤساؤهم
ثلاثة : الأول الشهرة وهي التي تميل إلى القاذورات والمستقبحات . الثاني الغضب وهو الذي
يقتل ويضرب ويهجم . والثالث : الدهاء أي الحيلة والمكر اللذان يسلكان طرق المكر والحيلة
والتلبس . وإذا لبسوا هذه المعاني لباسا من عالم الشكل والصورة حقاً لكان الأول ختيراً والثاني كلباً
والثالث شيطانا . فالخلق صنفان : صنف سخرُوا هذه الثلاثة وقهروها وتحكوا فيها ، فهؤلاء هم
الأمراء والسلطين ؛ وصنف : استعدوا لخدمة هذه الثلاثة ، وقاموا الليل والنهار في طاعتها والانقياد
لها ، فهؤلاء هم الأسراء والعبيان في هذا العالم حيث سموا الأمير والسلطان بالفقير والمسكين
والعاجز ، ولقبوا الأسير الصّال أميراً وسلطاناً . وأهل البصيرة يعلمون بأنّ هذا كتسمية الزنجي
بالكافور ، وكتسمية البادية المهلكة بالمفازة ، ولا يتعجبون منها لأنهم يعلمون بأنّ هذا العالم
عالم الالتباس والانعكاس ، وهذا ليس بعجيب إذا كان أصل خلقه العالمين ، أي عالم الحقائق
والمعاني الذي يقال له : « عالم الملوّكوت » وعالم الصورة الذي يقال له « عالم الشهادة » مبنياً على

(1) سقط من (أ) و (ب) .

(2) في (ج) الرسم والتكلف .

(3) القرآن الكريم سورة المدثر الآية 31 .

الالتباس (4) فكلّ ما هو في عالم الشهادة ، عدم يظهر بالوجود ، ليس غير ، ولا شيء في صورة الشيء ، وكلّ ما في عالم الحقيقة (5) وجود يظهر كالعدم ، وهذا بالإضافة إلى هذه العين الظاهرة التي يظنها الخلق هي النظر فقط ، فحين الموت إذا فاته هذا البصر وظهرت له غشاوة من ذلك العالم فالقضية تقلب ، فحينئذ كلّ ما كان يظنه هو الوجود يظهر له كالعدم ، وكلّ ما كان يظن أنه العدم يراه موجودا ، فيقول : إلهي ما هذه الحالة . انقلبت الأعمال ؟ ! « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (6) ويقول : آه ما علمت أن يكون هكذا ، ويقول : « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا » (7) يجاب « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » (8) .

يقول : إلهي ما قالوا لنا : كيف يكون حالة العدم المتظاهر بالوجود ؟ يجاب : أو ما سمعت القرآن يقول : « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه » (9) . فلنأت بمثال لمن يقول : إن الوجود المتظاهر بالعدم ، والعدم المتظاهر بالوجود ليس بمفهوم ، ولتقريب فهم حقائق المعاني للأفهام الضعيفة نسوق المثال : كزروعة جرت وارتفعت من الأرض في جو صاف وظهرت كثارة مستطيلة ملتوية تدور حول نفسها ، فمن نظرها ظن أن الهباء (10) يدور بنفسه هكذا ، ولكنه في الحقيقة ليس هكذا ، بل مع كل ذرة من التراب هناك ذرة أيضا من الهواء تحرك التراب وإن لم يمكن رؤية الهواء (بل يمكن رؤية التراب) (11) ، فكذلك التراب في حالة الحركة هو كالعدم المتظاهر بالوجود والهباء هو الوجود المتظاهر بالعدم حيث له الحركة والقدرة ، وأما التراب فهو عاجز مسخر في يد الهواء . فلهواء السلطة والقدرة ، ولكن قدرته غير مرئية . بل المثال الأقرب إلى التحقيق هو روحك وقالبك : فالروح هو الوجود المتظاهر كالعدم ، وليس لأحد إليه طريق ، ويكون هو السلطان القاهر والمتصرف : والقالب هو أسيره وذليله : ولكن كل ما يرى ينسب إلى القالب ظاهرا بينما القالب في الحقيقة لا تأثير له .

(4) في (ج) بناؤهما على الالتباس .

(5) في (ج) وكلّ ما هو في عالم الملكوت الذي هو عالم الحقيقة .

(6) القرآن الكريم سورة في الآية 22 .

(7) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 12 .

(8) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 37 .

(9) القرآن الكريم سورة النور الآية 39 .

(10) الهباء الغبار المتطاير مع الهواء .

(11) سقط من (ج) .

فنسبة العالم إلى قيوم العالم ايضا هكذا ، فإن قيوم العالم هو الوجود المتظاهر بالعدم عند كثير من الخلق ، وليست هناك أية ذرة من العالم قائمة بنفسها بل يكون قيامها بقيومها ، وقيوم كل شيء بالضرورة يكون معه ، وحقيقة الوجود للقيوم ، ووجود المقوم مأخوذ منه على سبيل الاستعارة « وهو معكم أينما كنتم » (12). ولكن من لا يعرف معنى المعية الا معية الجسم مع الجسم ، او معية العرض مع العرض ، او معية العرض بالجسم ، التي كلتها محالة مع القيوم لا يفهم معنى هذه المعية ، وأما معية القيومية فقسم رابع بل هي حقيقة المعية فهي ايضا الوجود المتظاهر بالعدم فالذين لا يعرفون هذه المعية يطلبون قيوما ولا يجدونه ، كالمسك القاطن في الماء يطلب الماء ولا يجده ، والذين عرفوا هذا (13) الرابع يطلبون أنفسهم ولا يجدونها بل كلما يرون يرون الله (14) ويقولون : « ليس في الوجود الا القيوم » . وفرق كبير بين من يطلب نفسه ولا يجدها ومن يطلب القيوم ولا يجده وهذا الكلام خارج عن إطار الرسالة أيضا ولكن هذا ما جرى بنا القلم اليه بدون تدبير .

هذا والسبب أنه سمعت بان له (15) كياسة أكثر من أبناء جنسه ، حذار ! حذار ! استعذ بالله من قصور كياستك ، فإن هلاك أكثر الناس من قصور الكياسة « وأكثر أهل الجنة البله ، وأهل العليين ذوو الألباب » .

والخلق ثلاثة أصناف (16) : العوام وهم الذين قنعوا بالتقليد ، ولا يعلمون طريق التصرف في أعمالهم بل يأخذونه من غيرهم ، فإن هؤلاء وإن لم يكونوا في مرتبة عظيمة فهم من أهل النجاة . وصنف (17) ذوو ألباب . وهؤلاء من أهل عليين ، وإذا وجد كل عصر واحد أو اثنان فهذا كثير .

والثالث هم أهل التصرف بكياسة أنفسهم . وهؤلاء هم الهلكة . لأن الطبيب الكامل قريب من الشفاء ، والمريض أيضا ، لتقليده للطبيب بدون تصرف . وأما نصف الطبيب فهو من المرضى ، فالتصرف بكياسته الناقصة يكون كنصف الطبيب . ورأس هؤلاء الكيئين إبليس لأن نوعا من التصرف والفطنة حثه على المخالفة واشتغل بالقياس والبرهان وقال : « أنا خير منه خلقتني من

(12) القرآن الكريم سورة الحديد الآية 4 .

(13) في (ج) هذه المعية .

(14) في (ج) يرون الحق .

(15) الضمير يعود إلى الوزير « فخر الملك » وهذا من دأب الغزالي حيث يخاطبهم بضمير الغائب .

(16) في (ج) الأول السوام .

(17) في (ج) وواحد ذوو الألباب .

نار وخلقته من طين» (18) وسألوا الحسن البصري (19) - رضي الله عنه - : هل كان إبليس فقيها وفطنا ؟ قال : نعم فلو لم يكن كذلك لما قدر أن يحيد الفقهاء والقطناء عن سواء السبيل .
ومن علامات أولي الألباب ان ليس للشيطان عليهم من سبيل كما قال « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » (20) وكل من ساقه الكسل او الشهوة لعصيان أمر الحق فهو من تلامذة الشيطان ونوابه « فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » (21) . إذا أردت سعادة الآخرة فأطع أوامر الله ، ولا تسأل ولا تنفحص ، ولا تتصرف الا بأمر الله تعالى ، وإذا لم يستقر قلبك على هذا وترتد معرفة حقيقة من حقائق الأمور فعليك بكتاب « كيميائي سعادتي » والتزم صحبة من تخلص من يد الشيطان حتى يجعلك أيضا منطلقا منه . (والسلام) (22) .

(18) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 12 .

(19) انظر التعاليف آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 35 .

(20) القرآن الكريم سورة الحجر الآية 42 .

(21) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 6 .

(22) سقط من (أ) و (ب) .

رسالة أخرى بعثها إلى « فخر الملك » في معنى القضاء والتحريض
لغرضه إلى من له الاهلية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (1) زين الله المجلس العالمي بالتوفيق حتى لا ينسى نصيبه مع مشغلة الدنيا . قال الله تعالى « ولاتنس نصيبك من الدنيا » (2) ونصيب كل واحد من الدنيا ما حمل من زاد الآخرة ، لأن كل الخلق مسافرون للحضرة الالهية ، والدنيا كمتزل في سير البادية ، فمثل الغافلين عن أخذ زاد الآخرة كمثل حاج وصل في طريقه (الحجج) (3) إلى بغداد واشتغل بالنظارة حتى أتى وقت الرحيل ، فوضع رجله في الطريق بدون زاد ولا راحلة ولا ماء ، وظن أنه في طريق الكعبة دون أن يعلم أنه يتوجه إلى الهلاك .

وزاد الآخرة التقوى وأساسه اثنان : التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله . فإذا فوّض سلطان ما الرئاسة والعمل إلى من لا يلبق بهما فليس في ذلك كبير خطر ، أما إذا ولى منصب القضاء من ليس أهلاً له فذلك الخطر كل الخطر ، لأن منصب القضاء مقام النبوة ومنصب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) (4) « وليحكم بينهم بما أنزل الله » (5) فمن كان للرسول في قلبه مترلة فلا يرفع لمنصبه إلا من يعرف حقه ، ومن لم يعتبر هذا فقد تجاوز تعظيم أمر الله ، لأن تعظيمه سبحانه في تعظيم منصب النبوة ، وفاته (أيضا) « الشفقة على خلق الله » لأنه وضع دماء المسلمين و فروجهم وأموالهم وأملاكهم في خطر . فما بال من فعل هذا وماذا هيباً لجواب الآخرة ؟ ! أليس من اعظم أخطار القضاء مال الايتام ؟ ! فإذا لم يكن صاحب تقوى أعطى مال الأيتام للأفطاع ، وقد قال الله تعالى « الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون

(1) سقط من (أ) و (ب) .

(2) القرآن الكريم سورة القصص الآية 77 .

(3) سقط من (ج) .

(4) سقط من (ج) .

(5) كذا بالأصل ، والصواب « فاحكم بينهم ... » من الآية 48 من سورة المائدة - أو « وأن احكم بينهم ... » من الآية 49 من الآية 49 من السورة نفسها .

سعيًا « (6) ، ومن لم يخف من هذا الوعيد لن يحذر من سائر الأعمال . ولا يختصّ هذا الوعيد في القرآن بمن يباشر الفعل ، بل معه شريكان أحدهما ذلك الشخص الذي مكّنه من الفعل ووثانيهما الذي بإمكانه أن يردعه ولم يفعل .

وأما إذا فوضّه المتدينّ فقد جعل دماء المسلمين وفروجهم وأملأهم وأمواهم في حصن حصين . وهكذا تظهر حسن السيرة والديانة . وصلاحيته لهذا المنصب لاتخفى على صدر الوزارة فإنّ ناحية جرجان (7) حيّة بوجوده ، والرأى العالي بما تعلق صائب ، والخير فيما يصنع الله تعالى . والسلام .

(6) القرآن الكريم سورة النساء الآية 10 والآية مبدوءة بـ «إنّ الذين» .

(7) انظر التعليل آخر الكتاب ص : 161 ت رقم 26 .

رسالة اخرى كتبها « لفخر الملك »

تشمل الزجر والردع البليغ على ارتكاب المحظورات والحث والتحريض الكامل على الانصاف والعدل وتخفيف المؤنة على أهل طوس والسير على سيرة أبيه نظام الملك .

وكان قد كتب على فاتحة الرسالة : بعثت لك شراباً مرّاً له منافع كثيرة . فتأمل فيه في خلوة خالية من الغير ، واسمع بسمع الدين ، فإنّ الشراب المرّ النافع يأتي على يد الاصدقاء الصادقين والشراب الحلو الضار يأتي على يد الاصدقاء المتظاهرين والاعداء الحقيقيين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف » . إن وضع الألقاب والخطابات إنما تنشأ عن التكلف ، والكلام إذا كان مبعثه الديانة لا بدّ أن يكون بعيداً عن العادات ، وعلى غرار العادة ايضاً إذا ارتفع منصب إلى حدّ الكمال فيسغني عن الألقاب ، كالجمال في غايته يعطل الماشطة عن العمل . وإذا قال أحد : الخواجة الإمام الشافعي ، او الخواجة الامام أبو حنيفة فهذا قدح ووصمة إلى من له الكمال لأن « الزيادة على الكمال نقصان » وأنت ايضاً في ملكك الدنيا وصلت إلى مقام لاتنقصك المخاطبة بلا خطاب ولا ألقاب ، فلنأت إلى السيادة في أمر الدين فإنّها مما لا بدّ منه .

اعلم أن هذه أيام الفترة وآخر الزمان ومنتهى اعمال الدنيا للآخرة « اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون » (1) . فلا بدّ لكل أحد (2) وقت الفترة من حصن ؛ فقوم جعلوا حصونهم من الخيل والجيش ، والرماح والسيوف ؛ وقوم من النعم والأموال وإقامة الجدران الرفيعة والابواب الحديدية ؛ وقوم تحصنوا بقلوب الدراويش ودعاء الفقراء (3) وإنّ الله تعالى يرهن على خطأ الفرقة الأولى بأحوال « بزغش » و « برستى » و « ارعش » و « قشمش » (4) وغيرهم حتى علموا ان الخيل والجيش لاتدفع بلاء السماء .

(1) القرآن الكريم سورة الانبياء الآية 1 .

(2) في (ج) البتة .

(3) في (ج) ودعاء المسلمين .

(4) انظر التاليف ص : 161 ت رقم 27 .

وبرهن على خطأ الفريق الثاني بحال « عميد طوس » وغيره ليعلموا أن الجدار الرفيع والباب الحديد وجمع التعمة لا يدفع البلاء ، بل يكون سببا للبلاء ، حتى يفهموا ويفهموا هذا المعنى من الآيات القرآنية حيث قال : « جمع مالا وعدّه ، يحسب أن ماله أخذه . كلاّ لينذن في الخطمة » إلى آخر السورة « (5) و « ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » الآية (6) و « ما يغني عنه ماله اذا تردى » (7) .

ومن حال « عميد خراسان » جعل برهانا لصواب الفريق الثالث ، حتى علموا ان اعطاء إناء من الشربة ورغيف من الشعير إلى « درويش » يفعل ما لم يفعل مائة ألف دينار ومائة ألف رآكب ، فإنه يردع السيوف والسهام ، وليعلم الناس أنه لا بد من تعبئة جيش من سهام الليل ، لامن سهام الخيل ، وبهذه المعجزة يعرف صدق ما قاله المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : « الدعاء يرد البلاء » وقال : « الدعاء والبلاء يتعاجلان » . فالولد الصالح هو الذي يمنح مناصب دولته للمخلصين الصالحين . إن أباك الشهيد قدّس الله روحه ووفقك للاقضاء به لمّا سمع أن صاحب اليكرمان أخذ يعمل بالخيرات تزلزلت اركانه السبعة ، لا لأتته كان يكره الخيرات ، ولكن كان يقول : لا يكون من الشرق حتى الغرب من يسبقني في الخيرات ، « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » (8) .

إن الحمد حرام في كل شيء إلا في الدين فإنه واجب قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا (9) ينفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويدعو الخلق إليه » .

اعلم ان هذه المدينة أشرفت على الخراب بسبب الظلم والقحط ، وحينما كنت في « اسفراین » (10) و « دامغان » (11) كان يخافك الناس ، فالدهاقين كانوا يبيعون الحصاد ، والظالمون كانوا يعتنرون للمظلومين ، وحسن الحال بعد وصولك إلى هنا وزال عنهم الخوف والروع ، فالدهاقين والخبّازون أغلقوا الدكاكين واحتكروا الغلال وتجاسر الظالمون وقصدوا في

(5) القرآن الكريم سورة الهزّة الآيات 2-9 .

(6) القرآن الكريم سورة الحاقة الآيات 28-29 .

(7) القرآن الكريم سورة الليل الآية 11 .

(8) القرآن الكريم سورة المصطفين الآية 26 .

(9) في (ج) فهو ينفقه .

(10) انظر التاليف ص : 161 ت رقم 28 .

(11) انظر التاليف ص : 162 ت رقم 29 .

الليل بعض الدكاكين والبيوت للسرقة ، فادخروا البضائع لفائدتهم ، واعتقلوا الرجال الأبرياء المصلحين (12) ، بتهمة السرقة ، ومن يحكي لك حالة هذه المدينة خلاف هذه فهو عدو دينك ، فأغث فأغث رعيك لابل أغث نفسك وارحم هرمك ولا تضيق رعيك ، وخف من دعاء الدراويش في جوف الليل ، فإذا أمكن لك اصلاح الامور بنفسك ، فأصلحها ، وإلا فأقم المصيبة والمأثم لأن الله تعالى يقول : « خلقت الخير و خلقت له اهلا (13) فطوبى لمن خلقت له الخير وسيرت الخير على يديه و خلقت الشر و خلقت له أهلا فويل لمن خلقت له الشر وسيرت الشر على يديه . فعلاج هذه المصيبة ماء العين لاماء العنب ، وجميع محبي البيت « النظامي » مشغلون بهذه المصيبة ، فليس من الانصاف أن يكون صاحب المصيبة غافلا عن مصيبته ومنصرفا إلى ملذاته وإفراحه . واعلم أن دعاء أهل طوس مجرب في الخير والبلاء ، ونصحت « العميد » بهذا مرارا ولم يقبل النصيحة حتى صار حاله موجبا لحيرة الناس اجمعين ، « وما ظالم الا وبيلي بظالم » ، ثم ينتقم الله منهما جميعا » (14) .

اعلم انه ليس احد من ملوك المال والولاية لا يكون في طريقه هذا قطعا ويقينا ، فإن من أحرق قلبه في عشق المال والولاية بالضرورة سيحرق في فراقه أيضا ، ولكن هذا على ثلاث درجات : احدها درجة السعداء . والسعيد هومن تخلص عن المال والولاية بالاختيار فتصدق وأعطى ردًا للمظالم ، فإن هذه التوبة والتفرقة للمال ، ولو أنها بالاختيار ولكنها تحرق القلب ، وهو صابر وهذا معنى « ومنهم سابق بالخيرات » (15) .

والدرجة الثانية : ما سلط عليه أحد فأخذ منه بالقهر ، فهذا من وجه يكون للعقوبة والنكال ومن وجه يكون للكفارة والطهارة وهذا معنى : « ومنهم مقتصد » (16) .

والثالثة : درجة الأشقياء حيث لا ينفك المال عنهم لبالقهر ولا بالاختيار وينجر الامر إلى (ضربة) (17) ملك الموت والعاذ بالله . وهذا أعظمهم خطرا وهذا معنى : « ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » (18) و « منهم ظالم لنفسه » (19) و « من عجلت عقوبته في الدنيا فهو

(12) في (ج) الانبياء الزاهدين المصلحين .

(13) في (ج) « و خلقت له بدا فطوبى لمن خلقت له الخير وسيرت الخير على يديه » .

(14) في (ج) وما ظالم الا وبيلي ثم ينتقم الله منهما جميعا .

(15) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

(16) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

(17) سقط من (ج) .

(18) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

(19) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

سعيد ، فاجتهد أن تكون من السابقين في الخيرات فالدرجتان الأخيرتان من درجات الشقاء ، والشرب من احد هذه الكؤوس الثلاثة ضروري ، وبالقطع واليقين اسمع هذه الكلم المرة النافعة ممن وسم اولاً مطعمه من عطيات السلاطين ، حتى يقدر أن يقول مثل هذا الكلام ، واعرف قدر هذا الكلام حق قدره ، فأنتك لاتسمع مثله من غيري .

واعلم أن كل من يقول غير هذا قطعاً هو الحجاب بينه وبين كلمة الحق ، وبحق الله عز وجل وبحق ابيك الشهيد عليك أن تقوم في قلب هذا الليل حينما ينام الخلق والبس وتظهر طهارة طيبة واطلب مكاناً خاليا وصل ركعتين وضع وجهك بعد السلام على الأرض واطلب من الله سبحانه وتعالى متضرعاً وبأكما أن يفتح عليك طريق السعادة وقل في ذلك السجود : « يا ملكا لا يزل ملكه ارحم ملكا قارب زوال ملكه وأيقظه من غفلته ووفقه لإصلاح رعيته » ثم من بعد هذا الدعاء تأمل ساعة في حال الرعيّة عند القحط والظلم وحتى ترى كيف ستفتح لك طرق الإصلاح وتستمد منها الخيرات (20) وصلى الله على نبيه محمد وآله .

رسالة اخرى كتبها لضياء الملك (1)

في حق الإمام السعيد الشهيد « إبراهيم السباك » (2)

بسم الله الرحمن الرحيم : زين الله المجلس العالي النظامي الضيائي بالسعادة والسيادة الاخروية ، ونور الله قلب ذلك العزيز بضياء انواره بنور وضياء يكون سبباً لانشرار الصدر كما قال الله تعالى « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام » (3) وقال تعالى في آية أخرى « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » (4) وعلامة هذا النور والضياء انه اذا نظر في الدنيا حينما يرى جميع الخلق منها ظاهراً مزينا صالحاً يرى هو باطننا سيئاً . واذا نظر في العمر فتمام الخلق يرون فيه طراوة البداية وهو يرى خطر النهاية وحسرتها و« يعلم ان ما هو آت قريب وأن الموت أقرب إلى كل احد من شرك نعله » . واذا نظر في الأقرب والامثال يرى مسرح انظارهم انواع التوقع والمتنع ولكن مطمئح نظره وهمته يكون انواع التحسر والتفجع من خوف الختام ويقول مع نفسه « أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون » . (5) واذا أنعم بهذا الضياء على « صدر الوزارة » فعلامته ان يصنع لوحاً من قلبه وينقش فيه عاقبة الوزراء وخاتمة امرهم من الذين يذكروهم في عمره ويطالع في هذا اللوح : « نظام الملك » « ناج الملك » « فخر الملك » (6) « أفلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لا يأتى الا بالى النهى » (7) « ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين » (8) . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ايها الناس كأن الموت فينا على غيرنا كتب وكأن الحق فينا على غيرنا وجب وكأن الذين نشيع من الأموات سافروا وعمّا قليل الينا راجعون نبؤوهم اجدائهم وتأكل ترائهم كأننا مخلصون بعدهم قد نسينا كل عظة وامناً كل جائحة » .

(1) انظر التعاليف آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 30 .

(2) انظر التعاليف آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 31 .

(3) القرآن الكريم سورة الانعام الآية 25 .

(4) القرآن الكريم سورة الزمر الآية 22 .

(5) القرآن الكريم سورة الشعراء الآيات 205 - 207 .

(6) انظر شرح احوالهم في تراجم أصحاب الرسائل .

(7) القرآن الكريم سورة طه الآية 128 .

(8) القرآن الكريم سورة المرسلات الآيات 16 - 18 .

فكل واحد من الوزراء كان غافلا عن خاتمة الآخرين ورأى عظمة امره وولايته وما عرف أن من اضعف الاعمال ما يفسد بعمل آخر « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » (9) .

زين الله تعالى « صدر الوزارة » بضياء هذا النور حتى يرى من الاعمال سرها وحقيقتها لآثارها وصورتها وأصل هذا النور ومنبعه خصلتان العدل والعدالة .

فالعدالة ان يكون في إطاعة ربه بمثل ما يحب هو ان تكون رعيته في طاعته . والعدل ان يفعل في رعيته بمثل ما اذا كان هو احد الرعية وكان صاحب الولاية غيره وفعل مثل هذا به كان راضيا . فيجعل هاتين الكلمتين قلبه ويرجع اليهما (10) في كل معاملة مع الخالق والخلق ، ويدعو مخدومه السلطان العادل بهاتين الكلمتين ولا يسمح ان يخفوا عن نظره الميمون حاجة الولايات وما عليها من الخراب وإلا فيكون مأخوذا بهذه المداينة . ولو انني اخذت طريق الاختصار في المخاطلة والمكاتبه الا انني كتبت بقدر الحاجة والضرورة هذه الكلمات لتهنئة الوزارة وانهاء عيش اهل الدين بهذه النعمة ولا بد بان أنبئه بشيء آخر حتى لا يخلو تهنئتي من الاتحاف « انما تحفة العلماء بعد وظيفة الدعاء الارشاد إلى مصالح العباد » .

ان مدينة « كركان » (11) منذ زمن كانت خالية من عالم يحسن الاقتداء به حتى عاد اليوم إلى موطنه ناصح المسلمين « ابراهيم السبك » (12) واحيا هذه الناحية بعمله وورعه وشاعت فائدته في التدريس والتذكير وانتعش اهل السنة بالحياة من جديد . وهذا العالم قضى في صحبتي قرابة عشرين سنة في طوس ونيسابور وبغداد وفي سفر الشام والحجاز وقد مرّ على اكثر من الف طالب من طلبة العلم قلّما رأيت مثله في الجمع بين وفور العلم والصدق والورع والتقوى واذا وجد في مدينة مثل هذا تكون تلك المدينة كمعمورة وقد ظهر له من اعداء الدين والسنة المعتنقون ويمكن ان يلتمسوا ويتوسلوا بنوع من الحيلة والتلبيس حتى يوردوا وهنا في عمله ، فدين « صدر الوزارة » يفرض عليه ان يجعله في كنف حمايته وعنايته وان يدّخر دعاءه ليوم قيامته وان يبذل كل ما يتوقّر لإتمام أعماله .

زين الله تعالى البداية والنهاية من اعماله على سعادة الدين والدنيا وصرف الله تعالى آفات الدهر ونوائبه عن حواشي ذلك المجلس بمحمد وآله اجمعين (13) .

(9) القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية 41 .

(10) في (ج) ويرجع إلى هذين الأصلين .

(11) انظر التعليقات آخر الكتاب ص : 161 ت رقم 26 .

(12) انظر التعليقات آخر الكتاب ص : 162 ت رقم 31 .

(13) في (ج) بنه وفضله والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ان الله عبادا اختصهم بالنعيم لمنافع العباد ما بذلوا فهم وكلاء الرحمن طوبى لهم وحسن مآب » .
 إن غرض الله تعالى (1) من إفاضة الرحمة على الأشقياء هو المكر والاستدراج كما قال :
 « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملئ لهم ان كيدي متين » (2) فليس أحد من اهل النعمة كائنا من كان خارجا عن هاتين الحالتين « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » (3) .
 وأما الشكر على نعمة الولاية والتأييد ونصرة الدنيا والآخرة هو إفاضة العدل والاقامة على الحق وامانة الظلم العطية والرحمة والشفقة على الرعية . وبهذا أمر الانبياء - عليهم السلام - « ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض » (4) .

وعلاوة من كانت النعمة في حقه شقاوة أنه كلما ارتفع وانتصر وزادت دولته ونعمته تماهى على عدم الشفقة وازداد في عدم الرحمة للخلق ، جاء في القرآن المجيد « ألم نهلك الاولين ثم ننبعهم الآخرين كذلك تفعل بالمجرمين » (5). ولكن قد ازدادت الغفلة وكفران النعمة في صدره بحيث يقول مع نفسه « ما أظن ان تبيد هذه ابدا » (6) .
 وعلاوة من كانت النعمة في حقه سعادة (7) هي ان يوفقه الله للاحسان مع خلقه ويعطيه كمال العقل والتدبير إلى درجة يقلع معها عن كل ما يرى من دعاوي فاسدة واطماع كاذبة ، وظلم وعسف .

-
- (1) في (ج) الله عز وجل .
 - (2) القرآن الكريم سورة الأعراف الآيات 182 - 183 .
 - (3) القرآن الكريم سورة الإنسان (الدمر) الآية 3 .
 - (4) القرآن الكريم سورة ص الآية 26 .
 - (5) القرآن الكريم سورة المراتل الآيات 16 - 18 .
 - (6) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 35 .
 - (7) في (ج) عين السعادة .

ويدفع شوائب البدعة من اكشاف الدين (8) ، وكلّما ارتقت درجته ازدادت رحمته وشفقته على خلق الله تعالى حتى يصل إلى مرتبة يجمع فيها بين عزّة هذه الدار وسعادة تلك الدار ويجد هذه الخلعة « عطاء غير مجذوذ » (9) وهذه المثوبة والعطية مدخرة للمجلس السامي لأزال منيعا .

--- --

(8) في (ج) من اكشاف الدين والدنيا .

(9) القرآن الكريم سورة هود الآية 108 .

« رسالة أخرى كتبها في جواب صدر الوزراء أحمد بن نظام الملك »

وزير العراق - سقاه الله صوب المغفرة والرضوان - »

10

انه بعث بمثال في آخر عهد حجة الإسلام « أكرمه الله برضوانه » إلى وزير خراسان « صدر الدين محمد بن فخر الملك » مشتمل على انواع التبجيل والاكرام والاعزاز ، الذي لاحد له ، كما سيأتي ان شاء الله تعالى ، وأمره أن يضم اليه مثالا آخر ويبعثهما إلى حجة الإسلام في موضوع تدريس نظامية بغداد ، حتى ينهض بسرعة لهذه المهمة الدينية ، ولا يعتذر بأي عذر ، فقد صدرت اوامر مشددة من حضرة الخليفة المقدس (1) المستظهر - أنار الله برهانه - لصدر الوزراء لتخصيص هذا المنصب الذي هو منصب صاحب الشريعة لحجة الإسلام (وجعل التأخير والتوقف عليه محرما محظورا) (2) . فلما وصلت إلى الامام الغزالي الرسالتان المجبرتان بانواع التبجيل والاكرام ، والمفصحتان عن مناقبه ، والموشحتان بتوقعات الوزراء والسلاطين المكرمين ومع ما كان من الانتظار وعد الساعات لأئمة العراق وبغداد والامام المقدس النبوي المستظهري قال بعدما وقف على الرسالتين : « هذا وقت فراق الدنيا لازمان السفر إلى العراق » . واجاب على الرسالة معتذرا عن القبول ، (وهي رسالة فريدة بديعة ، مشتملة على انواع الظرف والتحف ، والموعظة والتذكير والنصيحة والتحذير ، « كأنه الدرّ اليتيم اذ الخاطر بمثله عقيم » (3) .

• هذه مقدمة من جامع رسائل الإمام الغزالي .

(1) في (ج) المقدس النبوي .

(2) سقط من (ج) .

(3) سقط من (ج) .

نسخة الكتاب الذي كتبه نظام الدين احمد بن الصاحب الشهيد
نظام الملك حسن بن علي بن ابي بن ابي ، إلى الامام حجة الإسلام محمد
الغزالي فدعاه إلى التدريس بنظامية بغداد وذلك بعد وفاة الامام
كيا المراسي رحمهم الله (1)

11

(بسم الله الرحمن الرحيم) (2) فليعلم الخواجة الإمام (زين الدين) حجة الإسلام (فريد
الزمان) (3) اطال الله (تعالى) بقاءه (وادام تأييده وتسديده) (4) ان معرفة نعم الله عز ذكره ، واداء
شكره فرض على جميع العباد ولا يمكن استدامة فيض شكره الا بالشكر كما قال الله تعالى في محكم
التنزيل: «لئن شكرتم لأزيدنكم» الآية (5).

حيث ان أشرف نعم الله ومواهبه التي أنعمها على عباده : العلم ، وليس شيء أشرف وأعظم
منه كما قال الله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » (6)
فالمختص بهذه الكرامة ، والمحل بدرابة العلم يتعين عليه (7) إقامة الشكر ، وليس شكره الا بإفادة
المستعدين ، وإفاضة العلم على المسلمين ، وأن الله تعالى قد أفاض من هذه النعمة قدراً وافراً لحجة
الإسلام اديب الله أيامه ، وخصه بمزيد هذا الفضل ، ورفع في العلم إلى درجة أصبح بها قدوة
العالم ووحيد العصر فيما انه في هذه المنزلة عديم المثل ومنقطع النظر فيتعين عليه ان يقصر
اوقاته على تركية علمه ، وهذه الزكاة لا تكون الا بنشر العلم وإرشاد المتعلمين (8) وبالرغم

(1) هذه الرسالة غير موجودة في نسخة « اياصوفيا » ولا في (ج) وعنوانها في نسخة (ب) كما يلي « نسخة كتاب وصل من العراق
إلى الشيخ الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه » . ومن المعلوم ان هذه الرسائل الثلاث ليست
من انشاء الإمام الغزالي وقد أتى بها المصنف مناسبة او مقدمة لجواب حجة الإسلام لهذه الرسائل والدعوة للتدريس بنظامية بغداد .

(2) سقط من (ج) .

(3) سقط من (ج) .

(4) سقط من (ج) .

(5) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية 7 .

(6) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 269 .

(7) في (ج) اشدّ فرضاً عليه .

(8) في (ج) وإرشاد المقننين .

من أن أيامه كانت دائماً مزداة بهذا الخير وأنه أينما يكون لا يعدم المسلمون فوائد انفاسه . وبما انه فريد زمانه كما هو معلوم فلا بد ان يكون مقامه في أقدم ديار الإسلام وأعظمها ، حتى يكون مقصداً لجميع المتعلمين على وجه الأرض ، ويستقر في واسطة عقد بلاد المسلمين لأن أجمل الجواهر يجعل في وسط القلادة ، وقد اتفق المسلمون بان « مدينة السلام » (بغداد) (9) - حماها الله - هي مركز العالم وقطب الممالك المحروسة (10) ، لأنها مقرأً للخلافة العظيمة ومأواها المقدسة المكرمة « ضاعف الله جلالها » ، والمدرسة النظامية « قدسها الله » الكائنة بها هي من أعظم المشاريع التي بناها الصدر الشهيد (نظام الملك) « قدس الله روحه » في جميع البلاد الاسلامية . وبحكم جوارها للبيت العزيز المقدس النبوي - ظاهر الله مجده - تكون تلك البقعة المباركة مرتحل علماء العصر ومحط رحالهم ، ومقصد المتعلمين . وقبله المستفيدين . فكما أنها من أعظم الأماكن قدرا ، فلا بد ان يكون مدرستها وناظمها من أعظم علماء الدهر وأقدمهم وأبرز أئمة الدين ، وهذه صفات لاتليق الا « بحجة الاسلام » أدام الله أيامه .

فاليوم هذه المدرسة أصبحت خالية من أي مدرّس بعد وفاة الأمام « هراسي » - نور الله ضريحه - حيث كان موسوما بهذه السمة ، وبوجوده كانت البقعة بارزة متجلية ، وسوق العلم بتوفيق الحكيم الآلهي « جلّ ذكره » رائجة ، ولكنه مضى إلى رحمة الله فانقطع الآمد وأصبح العراق من مثله خاليا . والمتفقهة وأصحاب المدرسة لا يتقادون الا « بحجة الاسلام » - أدام الله أيامه - وقد صدر الأمر الأشرف الاعلى للمجد النبوي - اعلاه الله شرقا وغربا وامضاه في هذا الشأن ووصلنا ، وإنه قد حرّم عليك أي توقف في المسارعة إلى الأجابة ، فهذا الملبى المسرع قد أرسل اليك بهذا الخطاب حتى تشرع في الرحيل في الحال بدون أي تعلل ، حيث ان المدرسة عاطلة ولا بد من تدارك هذا الخلل وامتنال امر دار (الخلافة) . (11) العريزة « حرس الله أيامها » .

9 (سقط من (ج) .

10 (ج) زيادة نصها : وهذه الامنية كشت افكر فيها منذ زمان ووجدت فيها عين الصواب فني اجابة هذا الالتماس نحفيق فرحي ومرضاتي علاوة على سعيكم في كسب الفضيلة ومزيد المثوبة . وتكون هذه الحركة والتهضة موجبة للتواب الجزيل والمحامد والثناء الجميل إن شاء الله تعالى .

11 (سقط من (ج) .

وليعلم حقاً بأن أيامه من أكرم الأيام وأنفاسه من أعزّ الأنفاس ، فقضاء هذه الأيام ونشر الخير في غير هذا المكان الذي هو قبلة للعالمين ليس شرطاً (12) ، فإذا تعذر بأيّ عنبر ستركونه مع نفسه ، فالأولى أن يسرع مهما أمكن في أقرب الأوقات ، وإن يَرَيْن هذا المكان الشريف ويقتنم هذا التوفيق ورضاء امير المؤمنين - أعز الله انصاره - ، ويحصل ثناء المسلمين ومحمدتنا ، وقد صدر الأمر بأن يستعين بالأسباب التي لنا بخراسان حتى تكون عوناً له على سفره .

ومن جانبنا وجانب الصدر (و) (13) النظامي « حرسه الله » ستقدم كزّ اسباب الرعاية والاقتضاء ، وحين يصل بالسلامة إلى هنا ، ستقام في حقه كلّ العناية الواجبة ، وتبذل في سبيله جميع أسباب الاحسان والضيافة وستكون مترلته في التقرب أقدم جميع المنازل ، وسيدّخر لنفسه المناقب الدينية والدنيوية المخلّدة بصيت جميل مؤبد ، وفي انتظار مقدمه تعدّ الساعات ، وليست أية مهمة تخطر على القلب تقابل هذا .

فليعمل ما يكون هو بنفسه الجواب عن هذا الخطاب ان شاء الله تعالى .

(12) في (ب) ليس من الانصاف .

(13) سقط من (ا) و (ب) .

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله عمر الحاجة الأجل ، صدر الدين ، نظام الإسلام ،
 ظهير الدولة ونصير الملة ، وبهاء الأئمة ، قوام الملك ، شمس الوزراء ، في عزّة ونعمة وسعادة ورفعة
 وبسطة مع رضى الله تعالى .

من المعلوم عند رأيكم الكريم بأن أجلّ توفيق وأعظم غنيمة وجدت هي تجديد أثار
 الأسلاف « رضوان الله عليهم أجمعين » وأحياء ما فعلوا من الخيرات ، والسير على سيرهم المحموده ،
 وتحكيم دواعي الدين والصالح التي تعمّ جميع المسلمين ، وخاصة اذا كانت تلك المكرمة تمهيدا
 لقواعد الدين ، وتشييدا لأركان الإسلام ، ودعما لعلم الشريعة ، قعواندها ومنافعها حاصله
 مدخرة للعالمين ، ولا يخفى بأنّ المدرسة النظامية ببغداد جامع كبير بناه الوزير الشهيد « قدس
 الله روحه » لتكون هذه المدرسة في مقرّ الخلافة المعظمة وجوار الامامة المقدسة مكانا ومصدرا
 لعلم الدين ومنبعا للفضل ، وموضعا للتدريس ، ومأوى للأئمة والعلماء ومقصدا للمستفيدين ،
 وطلبة العلم . ولو أن آثار الوزير الشهيد بردّ الله مضجعه متبشرة في جميع أنحاء العالم ، ولكن
 ليس هناك أثر أقرب بموضعه من هذا ، وذلك بحكم جواره لدار العزيز المقدس النبوي - ضاعف
 الله جلّاله - ، ويكون هذا الخير مخلدا ، وهذه المنفعة مؤبدة ما دامت الدنيا باقية ، فيجب علينا وعلى
 جملة أهل البيت (النظامي) الاجتهاد في تشييد مباني هذا المسجد وتنظيمه وصيانته ، ومن الواجب
 على « صدر الدين » امتدنا الله بالتمتع ببقائه ، الامداد بكلّ ما ينتهي بتعظيم هذه البقعة المقدّمة
 وإن يهتّر اهتزازا صادقا لما هو قرة عين لنا ولأهل بيتنا ، وفرع قوى من الدوحة العليا ومقتديا
 بسلفه الصالح في بثّ الخيرات ونيل المكرمات .

ومعلوم ان من أول الاسباب التي تحتاج اليها المدرسة هي : المدرّس العالم الفاضل المستعد
 لإفادة العلم والافاضة ، وسائر الاسباب المحتاجة اليها تكون فرعا بالنسبة إلى ذلك ، لأن رواج
 سوق العلم ، وحرارة سوق الدرس قائمان بالمدرّس ، فإذا أصبحت المدرسة خالية منه فباب
 الفوائد مسدود وجميع المعدّات والاسباب الموجودة فيها معطلة . فمع وجود الامام كيا هراسي

(1) هذه الرسالة غير موجودة في (ج) وتوجد في (ا) و (ب) .

الطبري رحمه الله ، كانت هذه الغاية حاصلة ، والدروس متواترة ، والانظمة قائمة ، بحيث ان كثيرا من المستفيدين منه أصبحوا في درجة الافادة وتخرج على يده فقهاء مناظرون ، وكانت سوق العلم رائجة ، بحيث أصبح محسوداً ولكن فجعا بغتة بوفاة الشخص « واصلا إلى رحمة الله عزّ ذكره » ، فموته تهدمت القاعدة ، وكسدت سوق الافادة والاستفادة ، ولم يبق في العراق أحد يقدر أن يقوم مقام ذلك الشهيد السعيد رحمه الله ، ويمضي على ذلك المتوال في التدريس وافاضة العلم ، ويحكم أنه ما كان في بالنا أمر مهمّ يهتمّ كتدارك هذا الخلل ، ونظرا للأمر الأكيد الصادر من دار العزيز المقدّس النبوي - زاد الله انواره - في استدراك التدابير في هذا الخصوص صدرنا بهذا الخطاب حتّى يهتمّ « صدر الدين » أبقاءه الله بحفظ نظام هذا الخير اهتماما صادقا . وليعلم حقاً أنّه لا يتم تنظيم هذا الآ بوجوه الخواجة الامام الاجل ، زين الدّين حجة الإسلام ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ادام الله تأييده ، لأنّه فريد الزمان ، وقُدوة العالم ، والمشار اليه بالبان ، وتقديمه عليهم وزعامته في زمرة أئمة الدين « كثرهم الله » ملّم بهما ، وجميع الالسنه تهتف بالاوصاف المتشرة عنه ، فقد فوّض اليه هذا المنصب من « حضرة المقدّس النبوي الامامي » ظاهر الله جلالها . وخصّص له ، وجعل الامتناع والتعذر عن المبادرة بهذا العمل ، والاعتناق والتصدي لهذا الخير كان محظورا ومحرمّا عليه بأي عذر .

والموقع من جانب الكريم « الصدي » - أدام الله علوه - ان لا يقدّم أي مهمّ على هذا الامر وان يستحضر حجة الإسلام - أدام الله تأييده - ويعلموه بهذا الحال حتّى يهيئ نفسه للرحيل الينا بدون أي توقف ، لأن هذه البقعة المباركة معظلة ، والمستفيدون منتظرون لاستدراك فوائده ، وان الفقهاء وأصحاب المدرسة وفتحهم الله لا يقتنعون الآ بمتابعته ، والأمر الاشرف النبوي (الخليفة) « لازال جلاله » الذي امتاله فرض واجب وحتم لازم قد تواتر باستدعائه فلا فسحة للتواني .

فلذا اعتذر حجة الإسلام « أدام الله تأييده » بعذر أوامتنع امتناعا ، لا يقبل منه ذلك ولا يوافق فيه بل يكلفه ويزيح عنه العلات ، ويهيئ اسباب سفره من عنده ومن مال عين في رسالة مؤيد الدين « معين الملك » أدام الله اقباله ، ويبحث مع مصاحب مأمون في أسرع ما يمكن ، اذ ينتظر قدومه ساعة فساعة ، حتّى يزاح هذا الكساد الحاصل بفقد المدرّس وتتجدد حياتها بمكان حجة الإسلام « أدام الله تأييده » وهذه المنقبة تأخذ نشاطها التام . ولا يحسب أي سعى وجدّ في احياء سير السلف والمضي على طريقهم في بسط الخير معادلا لهذا العمل على جملة ما ذكر ، وليعلنوا بأسرع وقت حقيقة العمل والحال حتّى يعتمد على ذلك « ورأى الشيخ الأجل السيد صدر الدين نظام الإسلام شمس الوزراء أدام الله تأييده (تمهيد) في تحقيق هذه الجملة وبمثلا أمضي ان شاء الله تعالى » .

« توقيع وزير العراق »

فلم تكن تخفى احوال مدرسة بغداد والمشقة التي تحملها الوزير الشهيد فيها فكان قلبه العزيز (1) منصرفا لترتيب امورها (2) ، لأنها أسست في جوار دار العزيز النبوي الامامي ، وحتى زماننا هذا كان لها رواجها بوجود المتوفى « نور الله ضريحه » والآن يفقده أخذها الخلل ، ومتعين (3) علينا التفكير في أمرها ، وترتيب أمور هذا المسجد الذي بناه الوزير الشهيد « أنار الله برهانه » ، وجميع علماء العراق وفقهائها ينتظرون بلهفة قدوم حجة الإسلام ليزين المدرسة بمكانه فيها ، فواجب على « صدر الدين » ان يتحمس ويجد في تحقيق هذا الامر باستقدام هذا العظيم اليه ويعتبر من جملة المهمات ارضائه والزامه بالمجي . والسلام .

(1) في (ج) بزيادة : رحمة الله عليه .

(2) في (ج) بزيادة : دائما .

(3) في (أ) و (ب) وأنه متيقن .

الرسالة التي كتبها الخواجة الإمام الأجل حجة الإسلام محمد بن
ابن محمد بن محمد الغزالي - برد الله مضجعه - إلى الأجل نظام الدين
احمد بن قوام الدين الحسن بن علي بن اسحاق بعدما دعاه للتدريس
في المدرسة النظامية ببغداد وذلك بعد وفاة فخر الإسلام « كياهراسي »
الطبري - رحمة الله عليهم - في تاريخ سنة أربع وخمسمائة
(1110/504) (1) .

13

بسم الله الرحمن الرحيم رب العالمين والصلوات والسلام على سيد المرسلين محمد وآله
اجمعين. قال الله سبحانه وتعالى « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » (2) تنافسوا إلى ما هو
الخير ، وسابقوا وسارعوا اليه .

فانخلق فيما جعلوه قبلتهم انقسموا على ثلاثة : الأول العوام . الذين هم اهل الغفلة ،
والثاني الخواص ، الذين هم اهل الكياسة ، والثالث : خاص الخواص الذين هم اهل البصيرة .
فأما اهل الغفلة فأنظارهم قاصرة على الخيرات العاجلة ، اذ يتصورون ان الخير العاجل أكبر
نعيم (3) في الدنيا ، ونعيم الدنيا متبعه الجاه والمال (4) فأقبلوا عليهما وظنوا قرّة العين (5)
(وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما ذئبان ضاريان أرسلتا في زريبة غنم (6) أكثر
فساداً فيها من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم » . فهؤلاء الغافلون لم يميزوا الذئب من
الخروف ولم يعرفوا قرّة العين من سخنة العين) فاختاروا طريق الانحطاط ظناً بأنّه الرفعة .
(والرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر عن انحطاطهم بقوله « تعس عبد الدينار وعبد

1 (عنوان هذه الرسالة في (ج) « جواب الإمام الغزالي لرسالة الفوق » والرسالة مبدوءة هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله
تعالى : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » اعلم يا عزيزي بان الله تعالى وقّده يقول : ليس من احد يوجه وجهه إلى
عمل لا يكون ذلك العمل قبله « فاستبقوا الخيرات » فهذا امر حضرة العزة على اهل العلم بأن يستقبلوا إلى ما هو الخير والحسن .
وسابقوا وسارعوا في ذلك فخلق العالم انقسموا على ثلاث فرق ...

2 (القرآن الكريم سورة البقرة الآية 148 .

3 (في (ج) أكبر نعيم الدنيا .

4 (في (ج) ثمرته الجاه والمال فلا محالة استقبلوا اليهما .

5 (ومن هنا حتى سخنة العين لا توجد في (ج) .

6 (في (ج) غنيم .

الدرهم » (7) فاخلواص بحكم الكياسة قد قارنوا الدنيا بالآخرة وتيقنوا برجحان الآخرة ، وقد كشف لهم معنى هذه الآية « والآخرة خير وأبقى » (8) فلا يحتاج أي شخص لفتنة كي يدرك ان الباقي خير من الفاني ، فقد عزفوا عن الدنيا وأقبلوا نحو الآخرة ، وهؤلاء القوم ايضا كانوا مقصرين حيث إنهم لم يطلبوا الخير المطلق ولكنهم اقتنعوا بما هو خير من الدنيا .

واما خاص الخواص الذين هم أهل البصيرة فقد عرفوا (9) ان كل ذلك آفل ، و « العاقل لا يجب الآفلين » ، فأروا الدنيا والآخرة كلتيهما مخلوقتين ، وأعظم ما فيهما الشهوة (10) والبهائم تشاركهم فيها ، وليس هذا بكبير مرتبة . إن الله عزّ وعلا هو الملك والخالق للدنيا والآخرة وهو خير منهما وأكبر وقد كشف لهم معنى هذه الآية « والله خير وأبقى » (11) فأثروا المقام « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (12) على مقام « ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون » (13) . بل قد كشفت هؤلاء حقيقة « لا إله الا الله » وعرفوا ان الإنسان اذا ما تقيد بشئ أصبح عبدا له حتى لكأن ذلك الشئ إلهه ومعبوده « أفأريت من أتخذ الله هواه » (14) والمقصود منها كل من كان معبودا له (15) . فكل من كان مقصوده غير الله سبحانه وتعالى فتوحده ناقص ولا يخلو من الشرك الخفي .

فهؤلاء القوم قسموا كل ما في الوجود إلى قسمين متقابلين : الله ، وما سواه ، وصنعوا منه كفتين متعادلتين ككفتي الميزان ، وجعلوا لسان الميزان من قلوبهم فإذا وجدوا القلب يميل طبعاً وطوعاً إلى كفة الخير حكموا بأنه : « قد ثقلت كفة الحسنات » (وإذا وجدوه يميل إلى الاخرى حكموا بأنه « قد ثقلت كفة السيئات ») (16) وعلموا أن كل من لم يفر عند هذا الميزان لن يفوز عند ميزان القيامة .

-
- (7) سفت من (ج) .
 - (8) القرآن الكريم سورة الأعلى الآية 17 .
 - (9) في (ج) فقد عرفوا بأن الدنيا والآخرة وكل ما وراءهما من الآفلين .
 - (10) في (ج) ومعظمهما المنكح والمشرّب .
 - (11) القرآن الكريم سورة طه الآية 73 .
 - (12) القرآن الكريم سورة القمر الآية 55 .
 - (13) القرآن الكريم سورة يس الآية 55 .
 - (14) القرآن الكريم سورة التاجية الآية 23 .
 - (15) في (ج) وفي هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام « تعس عبد الدينار ... » .
 - (16) بين الهالئين سفت من (أ) و (ب) .

كما أنّ أصحاب الطبقة الاولى كانوا عواما في جنب الطبقة الثانية ، فالثانية ايضا عوام بالنظر إلى الطبقة الثالثة ، فلم يفهموا كلام هؤلاء ولا علموا ان هذه الطبقة من جملة « من نظر إلى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه » وذلك بالرغم من قولهم (17) .

وحيث ان صدر الوزراء - بلغه الله تعالى اعلى المقامات - يدعوني من الخفيض إلى العلى فأنا ايضا ادعوه من اسفل السافلين مقام طبقة الاولى إلى أعلى عليين مقام الطبقة الثالثة ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « من أحسن اليكم فكافئوه » (18) وبما انني كنت عاجزا عن التلبية لم أجد بدا من هذه المكافأة ، فليهيئ نفسه للانتقال من خفيض درجة العوام إلى بقاع درجة الخواص (19) فإن الطريق إلى الله تعالى من طوس وبغداد وكل البلاد سواء ليس بعضها بأقرب من بعض ، ولكن الطريق إلى الله من هذه الثلاثة ليست بسواء . وليعلم حقاً أنه اذا ترك فرضاً من فرائض الله تعالى او ارتكب كبيرة من محظورات الشرع ، او رقد ليلة بكامل الراحة ويوجد في جميع ولاياته مظلوم متعب ، فدرجته ليست الا خفيض مقام الأول ، وهو حيثئذ من جملة أهل الغفلة « واولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون » (20) (أسأل الله تعالى أن يوقظه من نوم الغفلة لينظر في يومه لغده قبل أن يخرج الامر من يده) (21) .

فلنعد إلى حديث مدرسة بغداد ، وعذر التقاعد من امتثال اشارة صدر الوزارة ، والعذر انه لايتيسر مفارقة الوطن الا في طلب زيادة الدين او زيادة الدنيا ؛ أما زيادة الدنيا والاقبال لطلبها « بحمد الله تعالى » قد تخلص القلب منهما (22) فلو أتوا ببغداد إلى طوس بدون اتعاب وهيء للغزالي الملك والمملكة صافية مسلمة لم يكن مني أي حركة ولا التفات قلب إليها (23) فإذا التف القلب إليها كان ذلك من مصيبة ضعف الإيمان لأن من نتائجه الالتفات إلى الدنيا فينغص الوقت ويذهب بالحزم والتقوى في جميع الامور .

(17) في (ج) « لم يفهموا كلام هؤلاء وما علموا ما هي حقيقة النظر إلى وجه الله » .

(18) انظر فهرس الاحاديث .

(19) في (ج) إلى درجة خاص الخواص .

(20) القرآن الكريم سورة النحل الآيات 108 - 109 .

(21) بين الملايين سقط من (أ) و (ب) .

(22) في (ج) قد قام من عندي .

(23) بين الملايين سقط من (أ) و (ب) .

(وأما زيادة الدين فلمعري تستحق الحركة والطلب) (24) ولاشك أن إفاضة العلم هناك أيسر ، والاسباب أهياً ، وطلبة العلم أكثر ، ولكن في مقابل هذه الزيادة في اعداد دينية ، فإنّ هذه الزيادة من العسير ان تجبر تلك الأعداد .

العذر الأول : انّ هنا يحضر قريب من مائة وخمسين طالباً ورعاً ، منشغلين بالاستفادة ، فنقلهم إلى تلك المدرسة ، ونهضة أسباب سفرهم متعذّر ، واهمالهم والتفريط فيهم على أمل الحصول على زيادة العدد غير جائز . انّ هذا يشبه حالة عشرة ايتام كانوا في كفالة شخص تركهم ضائعين ليتعهد عشرين آخرين في بلد آخر . والموت والبلاء من القفا .

العذر الثاني : أنه حينما دعاني الصدر الشهيد نظام الملك « قدس الله روحه » إلى بغداد ، كنت وحيداً دون علائق وبدون أهل ولا أولاد (25) واليوم لي علائق وابناء فلا رخصة في تركهم وانجراح قلوب الجميع بأيّ عنوان كان .

العذر الثالث : أنّه لمّا وقفت على تربة الخليل - عليه السلام - (26) في سنة تسع وثمانين وأربعمائة [1096/489] ، وقد مرّ إلى يومنا هذا خمسة عشر سنة ، نذرت ثلاثة : الأول أن لا أقبل من أي سلطان أيّ مال ، والثاني أن لا أذهب إلى سلام أي سلطان ، والثالث ان لا أنظر أحداً أبداً ؛ فإذا نقضت هذه النذر شوشت حالي ووقتي وسوف لا يتيسّر لي أي عمل من أمور الدنيا ، وأما في بغداد فليس من المناظرة مفرّ (بدّ) (27) ولا يمكن الامتناع من سلام دار الاخلافة . وعندما رجعت من الشام إلى بغداد ما سلمت على أحد (28) وسلمت لذلك . وبحكم انه لم أكن مرتبطاً بأيّ وظيفة فكنت متروياً باختياري ، فلو كنت شاغل بعمل لم أقدر أن أعيش سالماً البتّة (29) فإنّ الباطن نفسه لا يخلو من الانتكار لهذا الانزواء ؛ ولذلك الباطن اغراض .

وأعظم الاعذار المعينة والمعتبرة انّي لا أقبض من السلطان شيئاً . ولم يكن لي ببغداد ضيعة ، فيكون طريق المعيشة عليّ مسدوداً . والدخل القليل من الضيعة التي لي بطوس يكفي معيشة هذا الضعيف والأطفال مع المبالغة في الاقتصاد والقناعة ، أما في الغيبة (30) فيقصر عن هذا . فهذه

(24) بين الملايين سقط من (أ) و (ب) .

(25) في (ج) والنسل .

(26) في (ج) صلوات الله عليه .

(27) في (ج) يد .

(28) في (ج) فلما وصلت من الشام إلى بغداد ما أدب هذا السلام وكنت مسلماً بحكم انه ما كنت في شغل وهذا هو الاحسن .

(29) مسلماً أي منقطعاً عن الخلق وسليم البال .

(30) في (ج) وفي الغياب من هنا .

كلّتها اعدار دينيّة ، وهي عندي عظيمة ، ولو أن أكثر الخلق يهون عليهم مثل هذه الأعمال ، وفي الجملة فقد تقدم بي العمر وحان وقت الوداع والفراق لا وقت السفر إلى العراق . والمتنظر من مكارم الاخلاق قبول العذر (31) .

فليتصور ان الغزالي وصل إلى بغداد ولبي داعي الله تعالى ، أفلا يجب بعد هذا تدبير أمر المدرسة ؟ فليتصور (32) اليوم أن ذلك الغرض قد حصل ، ويسرّح هذا الضعيف (والسلام) (33) ارجو الله تعالى أن يزيت صدر العالم بحقيقة الإيمان التي هي وراء صورة الايمان حتى يصلح (ويعمر) العالم بذلك الإيمان (34) . والحمد لله حق حمده وصلواته على نبيه محمد وآله الظاهرين أجمعين .

(31) في (ج) قبول الاعذار .

(32) في (ج) فليقتدر .

(33) كنا في الأصل .

(34) في (ج) وللّسلام (انتهى) .

الرسائل التي كتبتها إلى "شهاب الإسلام"

الرسالة التي كتبها له . ارشده فيها إلى معالجة القلب والاحتراز من
مرضه والسعي في طلب شفاء القلب من الاطباء الالهيين وأرباب القلوب

14

بسم الله الرحمن الرحيم : حَفَّ الله المجلس السامي بسعادة الدين والدنيا ، وصرف الله
نواب الخدثان ودواعي الخذلان ، ومخادعات الشيطان من تلك الساحة الكبيرة والخطر الغزيز ،
قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « داووا مرضاكم بالصدقة » والسابق إلى أفهام العوام من معنى
هذا هو مداواة القلوب ، وإلى أفهام الخوَّاص مداواة القلوب « وابن مرض القوال من مرض القلوب »
قال الله تعالى « في قلوبهم مرض » (1) . ومرض القلب مع خطورته هو الغالب (2) لأن
المريض في القالب واحد من الألف « ولا ينجو الا بقلب سليم » (3) فكما ان
علامة مرض القالب هي سقوط شهوة الغذاء من المشروب والمطعم فعلامة مرض القلب ايضا هي
سقوط شهوة غذائه « وهو ذكر الحي القيوم » . فكما انه ليس للقلب ثبوت وحياة الا بقوة
غذائه ، فالقلب ليس له حياة الا بمحبة الله تعالى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (4) . وكل من
عاش بغير ذكر الله فقلبه ميت « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (5) وليس كل واحد
مطلع على القلب او يعرف غذاءه وسمه « ان الله يحول بين المرء وقلبه » (6) .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « لاتجالسوا الموتى قيل : من هم يارسول الله ؟ قال :
الاغنياء » (7) والغني عبارة عمن يبخل عن صرف ماله لمداواة مرض قلبه . والمقصود من المداواة

(1) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 10 .

(2) في (ج) مع انه اكثر .

(3) إشارة إلى الآية 89 « الا من أتى الله بقلب سليم » من سورة الشعراء .

(4) القرآن الكريم سورة الرعد الآية 28 .

(5) القرآن الكريم سورة في الآية 37 .

(6) القرآن الكريم سورة الانفال الآية 24 .

(7) في (ج) وليس الغني من كثر ماله بل من امسك عن مداواة قلبه بماله .

بصرف المال ليس عين المال ، بل بتلك الوسيلة يمكن له أن يدخل في حماية طبيب يعرف علاج القلب ولا يكون مريضاً ، وطبيب كهذا عزّ وجوده في هذا العصر ، وفلان من جملة أطباء القلب وأرباب القلوب .

وأعلى مقامات القلب درجة التوحيد لا باللسان ولكن بالمعرفة والحال وهو في هذا المعنى صاحب معرفة وصاحب حال « والكامل الذي لا يطفى نور معرفته نور روعه » وهو موصوف بهذا . وبسبب ضرورة الحال كثرة العيال قام بمسعى ودلته إلى ذلك المجلس .

ومن أسرار الحقّ تسليط الحاجة والفقر على أوليائه ، حتى يقودهم بزمام الحاجة إلى الاغنياء وايصال الاغنياء إلى درجة السعادة ببركة مشاهدتهم والسعي في استقرار بهم « الله لطيف بعباده » (8) فيصنع لهم من عين الفقر بوتقة حتى يحرق اوليائه بنار المذلة ليظهرهم من جميع العلائق ، ويصنع من سؤالهم لطيفة يسوق بها الاغنياء إلى حمايتهم ويسعدهم في كنف شفاعتهم .

فاللائق من المجلس السامي القيام بشرح خاطره وأن يسمع كلامه في خلوة فلان نفعه كبير وبركاته وافرة (والسلام) (9) .

٨ القرآن الكريم سورة الشورى الآية 19 .

٩ بين الهالين سقط من (أ) و (ب) .

رسالة أخرى كتبها إلى « شهاب الإسلام »
 في حق أحد الأشخاص ، قصد العناية به ، مشتملة على معان دقيقة
 ولباب اسرار الشريعة

15

أسأل الله تعالى أن يحضى المجلس السامي بتمام النعمة (1) ، والشكر على النعمة ، ومعرفة حقيقة النعمة (وتمام النعمة) (2) أن يكون وهو بعد في هذه الحياة « في مقعد صدق عند ملك مقتدر » (3) فإن استمرت هذه الحالة فهو دوام النعمة (4) (وان لم يلتفت قلبه بعد ذلك إلى غير الله فهو الشكر على النعمة ، فإن لم ير ذلك إلا من الله بل لا يرى إلا الله فهو معرفة حقيقة النعمة) (5) .

والمقاعد قسمان : مقعد صدق ، ومقعد زور ، فمن قصر لحاظه على الحضرة الإلهية فهو في مقعد صدق ، وأما من أقام مع ما سوى الله فهو في مقعد زور ، قال الله تعالى : « أنا جليس من ذكرني » وقوله عزّ وجلّ (6) « ومن يعيش عن ذكر الرحمن تنقيض له شيطاناً فهو له قرين » (7) . وفي حق جلساء الله (تعالى) (8) قيل « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا » (9) وفي حق المغترين (10) بغيره قيل « كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء » (11) ولا يليق (12) بعلوّ الأهمية استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

(1) في (ج) ودوام النعمة .

(2) سقط من (أ) و (ب) .

(3) القرآن الكريم سورة القمر الآية 55 .

(4) في (ج) فإن لم يرد ذلك إلا من الله تعالى فهو معرفة حقيقة النعمة .

(5) بين الهلالين سقط من (ج) .

(6) في (ج) وقال تعالى .

(7) القرآن الكريم سورة الزخرف الآية 36 .

(8) سقط من (أ) و (ب) .

(9) القرآن الكريم سورة الإنسان الآية 20 .

(10) في (ج) في حق المغترين .

(11) القرآن الكريم سورة التور الآية 39 .

(12) في (ج) ولا يلقى .

قال الشاعر :

ولم أر من عبوب الناس شيئاً (13) كنعص القادرين على التمام
وعن عمر بن عبد العزيز (14) انه كان (15) يشتري له الثوب قبل الخلافة بألف دينار
فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، وكان يشتري له الثوب بعد الخلافة بخمسائة دينار فيقول :
ما أحسنه لولا لين فيه ، ففيل له في ذلك ، فقال : ان لي نفساً توافقه ذواقته ماذاقت شيئاً الا تاققت
إلى ما فوقه ، حتى ذاققت الخلافة وهي أجل مراتبها فتاقت إلى ما عند الله تعالى . وقد اذاق الله سبحانه
وتعالى المجلس السامي أعلى المناصب في الدنيا وحن (16) له أن يتوق إلى ما فوقها مغتتما خمسا
قبل خمس كما ورد به الخير . وليس بدعا على فضل الله تعالى أن يجمع بين نعيم الدنيا ونعيم
الآخرة إنه جواد كريم .

وسبب الاختصار في الكتابة - الا- بقدر التماس مستحقّي الاثارة - هو التخفيف ، والملمتس
هذه الكتابة هو هذا الشيخ الكبير العزيز قد عمر طويلا وخدم الشيوخ العظام ، وحصل على
نصيب من بركات صحبتهم وقد تداعت احواله في آخر العمر وأدركه العجز والهرم ، وضعف
عن الكسب . وقد أرشده الشيخ أبو بكر بن عبد الله الذي هو من جملة أوتاد الارض والجميع
ينبركون باتباع إشارته ، أن يستعين من ذلك المجلس الكبير . وطلب مني ايضا ان اعرف هذا
الشيخ ففعلت تيمنا بإشارته ، وتقربا إلى ذلك المجلس الكبير في التنبه على هذه المكرمة والقربة
أسأل الله تعالى أن يصغر في عينه الدنيا وأن يفتح له ابواب ملكوت السماء ليرى الارض وما عليها
مدرة بالاضافة اليها ، ويرى كل ولاية على ظهرها غيرة تدور حوليها . والسلام .

(13) في (ج) ولم ار في عبوب الناس عيبا .

(14) في (ج) زيادة رحمه الله .

(15) في (ج) كان كلما يشتري .

(16) في (ج) وحن آلان .

بسم الله الرحمن الرحيم (2)

قرن الله قدوم العزيز وركاب الرفيع الإمام الأجلّ « شهاب الإسلام » بيمين النصرة ، وإقبال الدولة والتوفيق في الانكباب على الإخلاص في العبادة بكنهه همته ، وصرف الله آفات الأيام ومكابد الاشقياء عن تلك الساحة العالية . وبارك الله في الخروج من صروف الزمان ، والوصول إلى وسط الاتباع والاقارب ، وجعل الله ما مرّ من الحوادث آخر آفة ، والانجلاء من الظلمات مستمر بدوامه ، والقلوب واثقة بتمامها بأن همم أعزة الدين قد أعانته في الحفاظ من ذلك الخطر ، والحال في كنف حفظ الله تعالى وكلأته أوصلك بمقرّ العزّ وفي المستقبل ايضاً فليستعن حتى يصل إلى منصب تكون فيه أيدي نوايب الايام قاصرة عن نيله ، ولا يكون ذلك الا ان يعرض كلياً عن مراسم الدنيا ويجعل كلّ مشغله العبادة ، وحرفته نشر العلم ، واتكّال الباطن كلّهُ على فضل الله تعالى « قل بفضل الله وبرحمته » (الآية) (3) لأن الاعتماد على حماية المخلوق ظهرت نتيجته « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » (4) فإذا حصلت هذه الحالة في الاخلاص لله تعالى والاقبال عليه ، وقع في حماية « لا اله الا الله » وقهر الخلائق . واذا كان الاعتماد على حماية « العمرو » و « الزيد » فهذا بناء بني على أمواج البحر لأن التقلب والتغيّر جبلتان لقلب الإنسان ، وخاصة في هذه الايام ، فإن ما كان يوجد من الثبات ملازماً لقلوب الوزراء (5) قد زال الآن .

اللهم لاتكل ذلك المحتشم الكبير إلى الخلق واحمه ، وأعطه منصبا يكون إعراض الخلق وإقبالهم فيه حقيرين ومختصرين ، والله ولي الاجابة بمنّه وفضله وسعة جوده (6) .

(1) ترمذ : يفتح التاء وكسر الميم ، مدينة مشهورة من أمهات المدن الواقعة على نهر جيحون من جانبه الشرقي . وينسب اليها ، ابو

عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الفرير صاحب الصحيح ، أحد الائمة . (معجم البلدان : ياقوت الحموي 1 ص 844)

(2) سقط من (ج) .

(3) القرآن الكريم سورة يونس الآية 58 .

(4) القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية 41 .

(5) في (ج) صدور الاوائل .

(6) في (ج) والله ولي الاجابة بفضله واحسانه .

الرسالة (1) التي يعنها إلى « مجير الدين » (2)
في تهنته بالوزارة والحث على تخفيف المؤونة ، وازدياد النظر في
حق الرعية والنبه إلى معرفة قدر هذه النعمة . تشتمل على انواع من
التحذير والموعظة .

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله سبحانه وتعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .
ولاتنس نصيبك من الدنيا . وأحسن كما أحسن الله اليك » (ولاتبغ الفساد في الأرض) (3) . متعين
على رأى « المجيري » أن يتأمل في معنى هذه الكلمات الثلاث الالهية ، فإن كل واحدة منها
بحر ، وفي مضمونها فوائد لانهاية لها . ولا يمكن الغوص في هذه البحار الا ببصرة الدين ، وكل
من همته مستغرقة بعاجل الدنيا ، او اغلبها منصرف اليها ، فهو محروم من سر هذه الكلمة حيث قال
« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة » . وقال في حقه « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف
اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار » (الآية) (4) .
وكل منصرف إلى الكثر (والاكتناز) (5) والادخار والاستظهار والاستكثار فهو محبوب عن
سر هذه الكلمة حيث قال « ولاتنس نصيبك من الدنيا » (6) فإن في شرح النصيب قال المصطفى
« صلى الله عليه وسلم » : « ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت
فأمضيت » . وكل من جعل أمام همته شيئاً غير الله ولو كان الفردوس الأعلى فهو محروم من هذه
الآية ، « وأحسن كما أحسن الله اليك » فالمصطفى « صلى الله عليه وسلم » (7) شرح الاحسان

(1) في (ا) و (ب) الرسائل التي ..

(2) جاء عنوان هذه الرسالة ورسالتين بعدها : إلى « مجير الدين » ولكن هذا الاسم تحريف عن « مجير الدولة » وهو لقب الوزير
على بن حسين الارستاني . ويدل على هذا محاطة الغزالي آياه بلفظ « مجير الدولة » في الرسالة الثالثة ، ولزيادة الايضاح انظر
احواله في تراجم أصحاب الرسائل ص : 169 فما بعد .

(3) القرآن الكريم سورة القصص الآية 77 وبين الهلالين سقط من (ا) و (ب) .

(4) القرآن الكريم سورة هود الآيات 15 - 16 .

(5) سقط من (ج) .

(6) القرآن الكريم سورة القصص الآية 77 .

(7) في (ج) عليه السلام .

هكذا : « لَمَّا قَالَ لَهُ جبرئيل عليه السلام : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه » فكل من أفاض الله سبحانه وتعالى عليه هذه النعم ، التي انعمها على ذلك الشخص الكريم ، يكون شكره لنعمة الله واجباً . والشكر هو معرفة درجات النعم ، وإن لا يقتنع بنعمة تكون وراءها نعمة أخرى ، ويكون تشوق همة إلى اقصى درجات النعم وتكون معرفته ووسيلته في ازدياد مطرد حتى يكون عمله كل يوم في رقي ، فذلك حقيقة الشكر لأنّ كل ما هو زائد عن طريق الادراك ليس بشكر ، وفي المصحف المجيد حدّد الشكر على هذا النسق « لئن شكرتم لأزيدنكم » (8) ومثل هذا الشكر فعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : « كان يشتري الثوب قبل الخلافة بألف ويقول ما أحسنه لولا الخشونة (9) فيه و (كان) (10) يشتري بعد خلافته الثوب بخمسة دراهم ويقول ما أحسنه لولا لين فيه . فقيل له في ذلك ، فقال : ان لي نفساً تواقّة ذواقّة ما ذاق شيئاً إلاّ تاقّت إلى ما فوقه حتى ذاقّت الخلافة وهي أعلى المراتب في الدنيا فتاقّت إلى ما عند الله ، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا » (11) .

وما أدى حقيقة شكر نعمة الدنيا إلاّ من عرف الدنيا ، وما عرف الدنيا بالحقّ إلاّ من أعرض عنها ، وعرف بالحقّ ان ليس في الدنيا منصبا عظيما إلاّ والاستغناء والترفع عنه أعظم ، المعرضون عنها ثلاث : فرقة منهم لم يروا من الدنيا إلاّ العيوب والآفات ، فهؤلاء قالوا : « تركنا الدنيا لسرعة فوائدها وكثرة عوائدها وخسة شركائهم » فإنّ هذه ولو كانت من أدنى الدرجات ، ولكنها بالإضافة إلى الذين هم غافلون عنها درجة كمال .

وفرقة أخرى كانت بصيرتهم أنفذ من هذه ، حيث وقعت أبصارهم على كمال مملكة الآخرة فقالوا : ولو كانت الدنيا مهنة خالية من الآفات الحتمية فلا تطلبها لأنها حجاب عن مملكة الآخرة وتلك اقرب إلى الكمال ، والقناعة بالتناقص عين النقصان ، وقد كشف لهم سرّ هذه الآية : « والآخرة خير وأبقى » (12) فاعتبروا وقالوا « لو كانت الدنيا من ذهب لا يبقى ، والآخرة من خزف يبقى لوجب على العاقل أن يؤثر خزفاً يبقى على ذهب لا يبقى ، فكيف والدنيا من خزف لا يبقى والآخرة من ذهب يبقى » .

(8) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية 7 .

(9) في (ج) لولا خشونة فيه وكان يشتري اليه الثوب بعد الخلافة بخمس ...

(10) سقط من (ج) .

(11) القرآن الكريم سورة الإنسان (الدهر) الآية 22 .

(12) القرآن الكريم سورة الأعلى الآية 17 .

وفرة سبقت هذه الدرجة وأزالت الدنيا والآخرة من همتها ، وقد كشفت لهم هذه الآية : « والله خير وأبقى » (13) وقد رأوا جلال هذا المنصب حيث قال : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » (14) فاعتبروا منها وقالوا كل ما هو في الجنة موصوف فهو حظّ الخواص ولا يخلو من الشروب والمطعوم والمشوم ، والمنظور والملموس ، وهذا ما تشترك فيه البهائم ، والرضى بما ترضاه البهائم نوع من البهيمية ، فتوجهوا من حضيض درجة البهائم إلى أفق مملكة الملائكة الذين من خواص مرتبتهم ملازمة حضرة الجلال : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (15) . هذه هي النهاية « وإن إلى ربك المنتهى » (16) . ووراءها أسرار لارخصة للقلم واللسان في شرحها . أيد الله سبحانه وتعالى رأي الثاقب « المجيري » بتوفيقه حتى لا يقتنع من هذه الدرجات إلا بالمجد الأقصى ، ويتأمل في هذه الكلمات ، ولا يظنّها من جملة الكلمات الملققة المعتادة فإن في كل فصل من هذه القاعدة والاساس سرّاً من أسرار الدين ، الذي عين العلماء العادين عن ملاحظة مبادئه قاصرة « فضلاً عن أقاصيه » (17) .

ان هذا الداعي من بعد تلك المدّة التي كنت سعيدا بمشاهدة الكريم في بغداد ، ما كنت تاركا عن أتيت في سفر الشام والعراق والحجاز (18) الدعاء والثناء ، وافاضة شكر الابادي التي كانت لذلك الجنب الرفيع ، وفي هذه المدّة اخترت الزاوية ، واجتنبت مخالطة السلاطين ومكاتبهم ، وقيدت اللسان والقلم « إلا ما شاء الله » .

الباعث على مخالفة المعتاد في هذه المفاتيح شيان :

الأول هيجان الشرق بسبب قرب المزار ، والاستبشار بهذا الفتح الميمون ، والفرح بسعادة تيسرت لأهل هذا الاقليم بإشراق أنوار نظر « المجيري » الذي اعطى للقلم واللسان حركة طبيعية (19) لا اختيارية .

والثاني انه قد طرق إلى هذه الناحية خلل كثير في هذا الوقت ، وكل واحد من الأكابر قصد مكانا غير هذا بسبب استعثار (20) غالب في هذا الوقت .

(13) القرآن الكريم سورة طه الآية 73 .

(14) القرآن الكريم سورة القمر الآية 55 .

(15) القرآن الكريم سورة الانبياء الآية 20 .

(16) القرآن الكريم سورة النجم الآية 42 .

(17) في (ج) فضلا عن إفاضته .

(18) في (ج) إلى الشام والحجاز والعراق . وهذا أقرب إلى الصواب .

(19) في (ج) طبعي لا اختياري .

(20) في (ج) استبشار .

وفلان بسبب الإخلاص والاختصاص الذي له في مولاتكم قصد أن يسرع إلى ذلك الجانب الكبير ويعرض نفسه ، ويؤدّي عادة التهمة في الإقامة ، وخروجه كان سببا لازدياد الاضطراب بسبب خلط المدينة ، ولكن شاور الداعي ، وكان من الصواب ان يتوقف في هذا الوقت ويتشر أمر العالي وهذا الداعي بحكم اعتمادي على رأيكم الثاقب ، ودينكم المتين ، وكرم عهدكم ، ضمنت وقوع هذا الطلب بمحل الاعتماد ، لأن مصالح الرعية على ذلك المجلس الكبير أولى من إقامة المراسم .

وبحكم ارتباطه بجملته أتراب بيت « النظامي » ، وغزارة الفضل ، وحسن السيرة ، ورفع اليد ، والشفقة على الرعية ، والرجوع من حدة الشباب إلى الوقار والسكون في بداية الأمور ، وحسن التدبير الذي كان نتيجة للتجربة والممارسة ، اعتمدوا عليه في رئاسة هذه الناحية من الحضرة العليا فالتوقع من المجلس العالي الاستمرار في تقريره وتأييده وأصدار الاوامر حتى يظهر أثر اختصاصه في الاخلاص .

وحيث ان منصب الرئاسة بحاجة النائب مع الكفاية والحصافة ، وفي هذه المدة التي اعتمدوا فيها على فلان ، الذي ما كان له نظير في النسب والعلم والكفاية والديانة في أبناء جنسه ، وبدون استدعائه فوض له الحكم ولكن توقف هوفي قبوله حيث ان الايام كانت مضطربة ، وهذا الداعي قد رغبه كثيرا ، مصلحة للرعية ، وكان وما زال متوقفا ومترددا ، ولم يكن له ملاسة تامة في هذا العمل ولكن الآن الرجاء أن تنتظم الأمور ويحصل التوافق بين أكابر الايام ، فيتعين على رأى العالي الأمر بهذا المعنى ، حتى يزيل التوقف والتردد اذ لو كان من ذلك الجانب الكبير اشارة حصلت بها للقلوب الطمأنينة والاعتماد .

وبالجملته ينتظر التأمل الخاص في أمر طوس لأنها مدينة متحلية باهل الدين والورع ، ويكون دعاؤهم حصنا حصينا ، وآفة الناحية أن تغلب على أعيانها الاقوال المتفاوتة والمغرضة ، بحكم الحسد والتعصب للذين هما سجية أكثر الخلق في كل الظروف ، وليكن له في هذا المعنى توقف وثبت (21) تامان ، وسبقدم فلان الذي هو بمحل الاعتماد (من مجلس فلان ومن سائر الجوانب) (22) تفصيل هذه الاحوال ، وأعين أهل الناحية في الطريق حتى يتم رجوعه في أقرب وقت متضمنا للفرامين الميمونة حتى تهدأ قلوب أهل الناحية ، ويستمر مدد الدعاء (والله تعالى يستجيب ادعية المسلمين في الجانب العالي المجير الذي هو كهف الدنيا والدين) (23) والسلام (24) .

(21) في (ج) تلبسا .

(22) سقط من (ج) .

(23) بين الهلايين سقط من (ج) .

(24) سقط من (أ) و (ب) .

رسالة أخرى كتبها « لمجير الدين » (1)

مشحونة بالأسرار والتحذير والانتذار ، كأنها رموز واستار لا بل هي غمز الأسرار

18

بسم الله الرحمن الرحيم - قال الله تعالى : « استجبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ، فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك إلاّ البلاغ » . (2) « يوم لا مرد له » هو يوم الموت الذي لاتنفع فيه الندامة والتحصن « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » (3) . والبلاغ هو ما قاله (الرسول - صلى الله عليه وسلم -) : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » . والاستجابة أن يشتغل بتدبير زاد الآخرة « ولا يأخذ من الدنيا إلاّ قدر زاد الرأكب » . وزاد الآخرة هو أن يغيب نفسه (4) ويغيث خلق الله الأسرى في يد الظالمين ، وكل من يغيب هؤلاء يكون لقبه في السماء « مجير الدولة » و « الالقاب تنزل من السماء » كما قال عيسى - صلوات الله وسلامه عليه - « إن من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء » . وكل من لقبه في السماء يوافق حاله يخلص نفسه من الشر والغضب والشهوة والشره والكبر والرعونة .

فإن هؤلاء الظالمين جنود الشياطين . والعقل الذي هو من حيزب الله تعالى ومن جنوده أسير في يد هؤلاء قائم بخدمتهم ، وبأذل جميع مساعيه لاستنباط الحيلة لإتيان الشهوة والغضب كيف ما كان وأين ما كان ، فكل عقل أطلق سراحه من رق عبودية هذه الصفات يليق لمطالعة حضرة الربوبية . قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - (5) « لولا الشياطين يحرمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات » . فكل من خلص عقله من هذه الصفات وجعله لائقا لحضرة الربوبية . يكون لقبه في السماء « مجير الحضرة » .

(1) انظرت (2) على الرسالة (17) أعلاه .

(2) القرآن الكريم سورة الشورى الآيات 47 - 48 .

(3) القرآن الكريم سورة غافر الآية 85 .

(4) في (ج) ثم يغيب .

(5) في (ج) عليه السلام .

المنتظر من كمال عقل « الوزير الذي هو أبصر وأشد تميزاً من جميع وزراء هذا الوقت أن يعرض نفسه على هذه المعاني ويحقق نفسه لقبه ويطلبه (6) » من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله « (7) فإن ما هو آت قريب ، والبعد ما ليس بآت .

وأما اغاثة الخلق فواجبة على العموم ، حيث ان الظلم قد جاوز حدّه ، وقد مضى ما يقرب من سنة منذ هجرت طوس حتى أتخلص من مشاهدة الظالمين الذين لارحمة ولاحرمة (8) لهم ، وبحكم الضرورة أتبيح لي الرجوع فوجدت الظلم متواتراً كما كان وعذاب الخلق باقياً ومتزايداً .

وأما الوجه الآخر الذي ينبغي التخلص منه (هو الصفات البشرية) (9) حيث إنه سبب مذلة الدنيا وعذاب الآخرة ، « وذلك هو الجهاد الأكبر » . وعلامة الظفر والتوفيق في هذا الجهاد المعنوي هي السلطة الحقيقية والسلطنة الواقعية ، فإن ملوك الارض بعد تحمل المشاق يترفعون حتى يستخدمون الغلمان الاتراك لئيل شهواتهم ، وحفظ سيادتهم فإذا كان اجتهد الإنسان في تهئية الالبسة الطريفة والجلباب الطريفة الغالية ، ظل أسيراً للظرافة والرغوة ، وفي الحقيقة ما هو إلا امرأة في صورة رجل .

وان جدّ واجتهد حتى يخدمه السوقه والاعوان فهو أسير الكبر والاستكبار ، فهو في الحقيقة جاهل في صورة عاقل . فهذا الانسان لا يدري أن في خدمة الترك له (10) مائة ألف عيب ومعرفة (11) في الدين والدنيا ، وان في خدمة السوقه والاعوان وغيرهم لا يكون مزيد شرف أو فضيلة له . وإذا تأمل عرف بأنهم لا يخدمونه بل يخدمون أطماعهم وشهواتهم ، وان ثناءهم ومدحهم واطهار مودتهم غير خالصة له وفي الحقيقة صداقتهم ليست الا لتلك الدراهم الخسيسة المأخوذة منه ، فهي مسخرة وواسطة لأطماعهم يخدمونه بالخدمة واطهار الصداقة ، فإذا سمعوا ارجافاً بان المخدم يفكر في عزهم وتولية الآخرين ، أعرضوا عنه واتخذوا عداه (12) أضعاف تلك الخدمة ، فإذا تأمل يكون فرحه بتعزيز (13) الناس ومضاحكتهم ، وبناء شرفه في الترفع عن خدمة الغلمان الترك « وهم في خدمتهم يقلّبون عليه العالم ضيقاً وظلماً كجهنم » .

(6) في (ج) زيادة : من نفسه .

(7) القرآن الكريم سورة الروم الآية : 43 ، وسورة الشورى الآية 47 .

(8) في (ج) حركة .

(9) سقط من (ا) و (ب) .

(10) يشير الغزالي إلى العادة السيئة التي كانت منتشرة لدى السلاطين والخلفاء والأمراء ، وهي استخدام الغلمان الترك لمقاصد غير مشروعة . يشير إلى كثير منها عماد الاصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق انظر ص 243 و 248 من تاريخه .

(11) في (ج) مضرة .

(12) في (ج) خدمة عدوه .

(13) في (ج) بتعذير .

وقلب الإنسان أشد قلباً من القدر في غليانه ، وضعيف الشرف يكون رهنا لميل قلب المخدم ، وانه لأوهن من بيت العنكبوت « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء » (14) . والشرف الثابت ما يكون بناؤه على المعرفة والحرية « والباقيات الصالحات » . والمعرفة هي أن يرى غرور الدنيا وغورها وشرف الآخرة وحريرتها ، حتى يتخلص من رق صفاته بحيث لو أن جميع ملوك الدنيا ارادوا خدمته لترفع عن ذلك ، وإذا رأى في باطنه الثغرات واعتادا إلى ذلك وجب عليه أن يواسي هذه المصيبة بأنه ما زال عبداً فقيراً عاجزاً ويكون فرحه وحزنه متعلقين بغيره وبمن لا يحتمل عليه ، وما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعليّ رضي الله عنه : « إذا تقرب الناس إلى الله بأعمال البر فتقرب أنت إلى الله بعقلك » قال لهذا ، فمثل المتقرب بعقله كن له الكيمياء ، ومثل المتقرب بأعماله كن له دراهم معدودة غايتها صدقة عدة أيام لأن المتقرب بعقله ، يتفكر بدقة في حقيقة الأمور حتى تكشف له حقارة الدنيا ويزول قدرها من قلبه ، ويقول « طلقت الدنيا ثلاثاً » (15) كما قال علي - رضي الله عنه - (16) . وإذا لم يظهر هذا العقل لن تتكشف حقارة الدنيا ، ولا تنعدم علاقات عبودية الدنيا ، وما بقيت عبودية الدنيا لا يتجلى جمال الربوبية . ومعنى سعادة الآخرة مشاهدة جمال الربوبية التي نعبّر عنها في لسان الشرع « بالروية » . وكل من كان سعيه مقصوراً على الجنة والحدور والقصور لا يكون من زمرة أولياء الله تعالى ، فإن تقربه كتنقرب اعوان الملوك والوزراء ، فإن محبوبيهم ومطلوبهم الغرض الحاصل منهم . ومن أحب شيئاً لغيره فإنما محبوه ذلك الغير فقط . « وحيث إن الله تعالى قد أنعم بالعقل الكامل على ذلك (الوزير) (17) الكبير فلا أرضى (له) » (18) إلا أن يتقرب إلى الله بعقله ليلتحق (19) بذوي الألباب ولا ينخدع بلامع السراب » .

وأما إقبال الخلق على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة فيسبب الغفلة وقلة العقل ، فإن الشهوات قد أخذت بخناقهم بحيث لا يجدون فراغاً للتفكير في هذه المعاني . والذي صرفه عقله عن سلوك طريق الآخرة فله سببان لاغير : الأول ان يكون أسير صفة من صفات النفس بحيث لا يمكن له ترك المقام والمال وتحمل شمانة الاعداء « ولا علاج له إلا عزمة من عز مات الرجال ،

(14) القرآن الكريم سورة العنكبوت الآية 41 .

(15) في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام : يادنيا غري غيري فاني طلقك ثلاثاً لارجعة فيه .

(16) في (ج) كرم الله وجهه .

(17) سقط من (ج) .

(18) الزيادة من (ج) .

(19) في (ج) ليلحق .

والنظر إلى النفس الفاجرة (20) بعين الاستحقاق ، والترفع بعلو الهمة عن مضاهاة الأردال .
ويكفي صارفا عن الدنيا كثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها . والسبب الآخر أن يكون
متوقفا في أمر الآخرة بحكم شبهة أو قصور بصيرة ، وليس بعجيب إذا قاس أحد أمر الآخرة
على قياس المحسوسات والتخييلات ولم يطابق ، ثم بقي متوقفا ، فإن فرقة ايضا توقفت في مدبر
العالم ، تفحصت بقياس الحس والتخييل ولم تتمكن فتوقفت في الأصل . فعلاج هذا الشخص
أن يتهم نفسه ولا يظن أن بصيرته محيطة بجميع الغوامض ، ويشغل بالسؤال والاستكشاف ،
« فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » (21) . فكما انه يتحقق للطبيب بالبرهان بان الروح
باقية إلى مدّة ، والأطعمة أكله والسموم هلاكه ، فكذلك قد تحقق لنا بالبرهان لا بطريق تقليد
الأخبار والآثار ، بأن حقيقة الانسان البقاء الأبدى وليس للعدم اليه سبيل أصلا ، ونجاته في التحرر
من الصفات البشرية ، وسعادته في حقيقة المعرفة لحضرة الربوبية « على ما هي عليه من الجلال
والعظمة » ، فالتجاة شيء والسعادة شيء آخر وقد تيسر شرحهما لا بطريق الطامات التي أكثرها
تخييلات شاعرية تفيد طعمة العوام ، ولا بطريق خطائية تفيد قوة الخاص والعلم ، بل ببرهان
حقيقي عقلي ، هودواء لخواص المحققين .

فالواجب على صدر العقلاء أن يحاسب نفسه حتى يعرف ما هو صارفه ، ويشغل بعلاجه
حتى يكون قد أغاث نفسه اذا لم يغث الخلق ، (والسلام) .

(20) في (ج) إلى النفس العاجزة .

(21) القرآن الكريم سورة التحل الآية 43 .

رسالة أخرى كتبها « لمجير الدين »

في معنى رعاية الإنصاف والعدل وحسم مواد الظلم من الرعيّة

بسم الله الرحمن الرحيم - قال النبي - عليه الصلاة والسلام والرضوان - (1) « من أحسن اليكم فكافئوه » (الحديث) الصبر على سماع كلمة الحق إحسان تام (2) ولذلك فإنّ المجلس العالي يستوجب الدعاء « وأنا أسأل الله تعالى أن يرزقه معرفة حقيقة السعادة وإن يخصه بها وأقول (3) إن السعيد من وعظ بغيره » .

وأول من حرم من هذه السعادة هو « تاج الملك » (4) حيث إن خاتمة حال « نظام الملك » قالت له بلسان الحال : « إنّ أمرا هذا آخره لجدير أن يترك أوله » ولم يتعظ بهذا فجعل الآمال الطويلة أمامه ، وقال مع نفسه : إن نظام الملك كان شيخا كبيرا ، وعمر طويلا ، وأما نحن فما زال العمر أمامنا ، فالتقدير السماوي قد كشف غروره في أسرع زمان ، فكان لابد أن يعتبر من هذا « مجد الملك » (5) متيقظا (6) ، لكن غرته نفسه ، وقال : إن للنظامي غلمانا كانوا خصوما له ، وهو منسوب إلى المخالفة والنحاية ، وأما نحن ففارغون عن مثله ، فلننتقم من الأيام ونسوق الولاية على ما نريد ، ولكن الأيام في مدة قريبة كشفت غروره ، وقالت له « او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير » (7) .

(1) في (ج) قال عليه الصلاة والسلام .

(2) في (ج) احتساب تمام .

(3) في (ج) ويقول .

(4) تاج الملك هو أبو الغنائم مرزبان ابن نخرو فيروز القمي المعروف بابن دارست (438-486هـ) تصدر وزارة ملكشاه بعد قتل نظام الملك الكبير ، ولكن ما لبث كثيرا إلى أن قتله النظامية (الحرس النظامي) وجماعة من أصحاب النظامي ، لانه كان منهما في اغتيال نظام الملك الكبير . انظر ترجمته ص : 173 .

(5) هو أبو الفضل مجد الملك القمي كان وزيرا لسلطان بركيارق السلجوقي قتله جماعة من الأمراء بحضور السلطان سنة (492هـ) وكان له من العمر (50) سنة (انظر ابن الاثير في وقائع سنة 492 ، ودستور الوزراء للعقيلي .

(6) في (ج) متعلّقا .

(7) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 37 .

فكان لابد أن يعرف « مؤيد الملك » (8) عادة الأيام ، أنه كلما تكرر وصل للغاية فإنه قد تم ثلاث مرّات ، ولكنه أيضا قال مع نفسه : ان القوم ما كانوا يستحقون هذا المنصب مثلي ، ولكن ما مضى من الأيام أظهر من حاله بالبرهان بان هذا كله غرور . والآن دارت النوبة إلى « مجير الدولة » (9) حيث لم يبق في الأقاليم وزير غيره ، وينادونه من حضرة الربوبية : « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك آيات لأولى النهي » (10) ، ويقولون : يا من أنت أعقل الوزراء إياك أن تقطع نسبك من أولى النهي فإن في ذلك آيات ولكن لأولى النهي فإن هذه الطبقة الماضية قطعت هذا النسب ، فتأمل تماما في احوالهم : وانظر « كم تركوا من جنّات وعيون » (11) . وحاسب نفسك حين تمرّ الأيام على ما تريد ، هبهات ما يكون آخرها « أفرأيت ان متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » (12) .

اعلم أنه ما ابتلى وزير بما أنت مبلى به ، ولم يكن في زمان أي وزير مثل هذا الظلم والحراب ، ولو أنك كاره ذلك . جاء في الخبر : ان يوم القيامة يوم يأخذ الله الظالمين وأتباعهم بظلمهم حتى الذين يرى لهم القلم أومدّ لهم الدواة » (13) . وليتيقن أنه لا أحد يهتم بأمره ، فليتدبر نفسه ، وليعلم انه لا تحصل سعادة الدين والدنيا الاّ بالانقطاع عما هو فيه . واذا لم يتيسر هذا ، وفاته سلامة الدنيا ، فليصرف جميع همته في تدبير زاد الآخرة ، ولا يجد زادا أنفع من (دفع) منع الظلم ، وخاصة عن أهل هذه الناحية ، فإن المسلمين قد بلغ جرحهم إلى العظم وأصبحوا مستأصلين ، فكل دينار من الضرائب المفروضة عليهم قد أدته الرعية بأضعاف ولم تصل إلى السلطان بل استبد بها أراذل الاعوان ، وضعفاء الظالمين . وكل من أتى من ذلك الجانب للتعرف والتدارك سبق ظلمه الماضين .

(8) انظر ترجمته في التراجم آخر الكتاب ص : 185 .

(9) انظر (ت) (2) الرسالة (17) اعلاه .

(10) القرآن الكريم سورة طه الآية 128 .

(11) القرآن الكريم سورة الدخان الآية 25 .

(12) القرآن الكريم سورة الشعراء الآيات 205 - 207 .

(13) جاء هذا الحديث في رسالة بنها إلى بعض اهل عصره (قاضي المغرب) كما يلي : « أنه ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة واعيانهم فلا يبقى احد منهم مدّ لهم دواة أو يرى لهم قلما فما فوق ذلك الاّ حضروا ، فيجمعون إلى تابوت من نار ويلقون في جهنم » .

فقد انقطع الأمل لتلافى الماضي ، ولكنه لم تنقطع شفقة « المجيري » وعطفه بأن
يبدل جهدا كاملا في حسم هذه المادة في المستقبل ، وأن يقدم الارشاد الممكن لأهل الناجية
على طريق الاستغاثة والترتيب ، والتمشية لأمر المتظلمين ، ويدّخر لنفسه من هذه السعادة والعناية
حصنا لنفسه من آفات الايام بدعاء المسلمين . والله تعالى ينصره ويؤيده ويرشده إلى طلب
سعادة (14) الدين بالدنيا ويسدده بمنه وفضله ، (والسلام) .

(14) في الأصل: السعادة .

البَابُ الثَّالِثُ

فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي كُتِبَتْهَا لَلْأَمِيرِ وَأَرْكَانِ الدَّوْلَةِ

قال الله تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » (1) . النجاة في الآخرة مرتبطة بشرطين : عدم طلب الاعتلاء ، والبعد عن الفساد . أما من طلب الولاية والإمارة فطلب علوه معلوم ، وكل من اشتغل باللهو ونشاط الشباب والجهال فبالفساد موسوم . وبدون حصول شرط النجاة ، أمل النجاة عين الغرور ، والانكار بأن هذا ليس بشرط النجاة تكذيب للقرآن . واليأس من نجاة الآخرة والرضا بالشقاوة ليس من عمل العقلاء ، فماذا يتصور الذي جمع اليأس من النجاة والاشتغال باللهو والنشاط ؟ قد يقول : إن الله عز وجل كريم رحيم ، هذا صحيح ، وهو أيضاً صادق في إضافة هذه الصفات ، حيث يقول « ان ابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » (2) . او عله يقول سأتوب ، وهو يعلم بأن هذه أمنيته منذ سنين والشيطان كل يوم يمنعه بحيلة الغد ، ويحول بينه وبين التوبة . وهو لاحالة ذاهب في هذا الوعد سنين أخرى ، أكان له سند على العمر المقدر ؟ أم انه يعرف ما بقي من أجله ؟ أم له عهد وميثاق من ملك الموت ؟ أم أنه لم يعرف ان الشيطان كم أحرق الحصاد بعشوة التسويف « هيهات هيهات » . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر صياح أهل النار من سوف .

في آخر العمر تكون مع هذا الخطر ومع ذلك تقضي الأيام في اللهو والفراغ ، فلا سبب لذلك إلا الأمن والغفلة . وهما كيمياء جميع الشقاوات « أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون » (3) . أيقظ الله تعالى الجميع من نوم الغفلة ، وخصص ذلك القلب العزيز ببطائف التنبيه فإن أحد الأولياء (4) في هذه الأيام حكى مناما في حق ذلك المحتشم وكان مشعرا بخطر

(1) القرآن الكريم سورة القصص الآية 83 .

(2) القرآن الكريم سورة الانقطار الآيات 13 - 14 .

(3) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 97 .

(4) في (ج) آدم الله ابنه .

عظيم في أمر الآخرة أشغل قلبي للغاية وليس في يدي (شيئاً) (5) إلا الدّعاء بالقلب والتّنبيه باللسان والنصيحة بالقلم .

فإذا أيقن بأنني أشفق عليه ما لا يشفق هو على نفسه أحكم عليه حكماً واحداً : أن يجنب المسكر ، إذا لم يقدر على رفع يد الظالمين ، فإن حبال الظلم والفسق إذا تآزرت واتحدت قلّ أن تنفك قبل الموت . الشّية البيضاء في شرّبة النّبيذ لا تليق أبداً . إن نظام الملك في مشيه تاب من جميع الكبائر وعرف بأن ظلم الوزارة يكفيه من الفسق والفساد ، وما شرب الخمر ولو شرّبة ، واستمر على التوبة حتى نهاية العمر ، وقد يقول : إن ملك المشرق (6) لم يسمح لي أن أتوب ، فإنّ هذا العذر غير مقبول عند الله تعالى (وعند الخلق) (7) « لو صحّ منك الهوى أرشدت للحيل » فإذا أنت غرست غرساً صادقاً ، يرجى أن يتوب الملك ببركته (8) ، فإنّه قد قيل : كلّ ما كان شرط الصداقة ، والله ولّي التوفيق ، « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » (9) . والسلام (10) .

5 (سقط من (أ) .

6 (في (ج) ملك خراسان . أحد القاب الملك سجر انظر التعاليق آخر الكتاب 156 ت رقم 9 .

7 (سقط من (ج) .

8 (في (ج) بواسطته .

9 (القرآن الكريم سورة الزخرف الآية 67 .

10 (في (ج) وصلى الله على محمد وآله اجمعين .

رسالة كتبها لسعادات خازن

رسالة غريبة بديعة ، مشتملة على طرف وتحف ومعان دقيقة
كانها أم الفضائل وسينة الرسائل (1) .

(بسم الله الرحمن الرحيم) (2) « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » (3) .
خزائن جميع الملوك متناهية وخزائن (4) ملك الملوك لانهاية لها ، واحدى خزائن ملك الملوك
هي السعادة ، ومنها الشقاوة ، وكلتاها في غيب الغيب مستورة ، ولكلتيهما مفتاح يسمى احدهما
الطاعة والآخر المعصية ، وإن هذين المفتاحين خزنتان من خزائن الغيب (5) تسمى احدهما التوفيق
والأخرى الخذلان ، وجوهر التوفيق والخذلان في خزائنين أخريين أخفى من الكل ، تسمى احدهما
الرضا والاخرى السخط ، وجوهر الرضا والسخط في خزائنين تقصر عنهما أوهام العوام وأفهام
الخواص إلا الصديقين والعلماء الراسخين وليس للعبارة اليها طريق ، ولا لاستنباط العلماء
والصديقين مجال ، وأنى لهم بمثل هذا التعبير ، ولقد جاء في السعادة : « ان الذين سبقتم لهم
من الحسنى .. » (6) وجاء في الشقاوة « لقد حق القول على أكثرهم .. » (7) وفي سر المعنى الوارد
في هاتين الآيتين أعجوبة القضاء والقدر ، وكل من وصل معراجا إلى سماوات الخزائن إلى
هذا المقام يقولون له : كن أصم أبكم ، واجلس اللسان لأن « القدر سر الله فلا نقشوه » (8)
ووراء هذا سر الأسرار وخزينة الخزائن التي هي مصدر ومنبع لجميع هذه الخزائن ، والتعبير عنها

1 بين الهالين سقط من (ج) .

2 سقط من (أ) و (ب) .

3 القرآن الكريم سورة الحجر الآية 21 .

4 في (أ) و (ب) خزينة .

5 في (ج) وإن هذين المفتاحين في خريتين من خزائن الغيب .

6 القرآن الكريم سورة الانبياء الآية 101 .

7 القرآن الكريم سورة يس الآية 7 .

8 ويقول الذهبي ، وما أخذ عليه (أي على الغزالي) أنه قال « إن القدر سر » ، نهيا عن إفشائه . فأيسر القدر ؟ فإن كان مدركا
بالنظر وصل اليه ولا بد ، وإن كان مدركا بالخبر فأثبت فيه شيئا ، وإن كان يدرك بالحال والعرفان فهذه دعوى محضة ، فلمله عنى
بإفشائه أن نتمسك في القدر ونبحث فيه . (سيرة الغزالي : عبد الكريم عثمان ص 78 عن سير اعلام النبلاء : للذهبي) .

قد ضاق جدا ، فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - (9) في الترقى إلى هذه المقامات قال : « أعوذ بعفوك من عقابك » ، ثم ترقى وقال « أعوذ برضاك من سخطك » ثم ترقى وقال : « أعوذ بك منك » ؛ فأراد أن يترقى فوجد الطريق إلى حجاب العزة مسدودا فقال : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . وأما العلماء فكان لهم الطريق حتى مقام « أعوذ برضاك من سخطك » أما مقام « أعوذ بك منك » فلا طريق لغير الأنبياء اليه ، ووراء هذا عوالم ليس للأنبياء ولا للعلماء طريق اليها . فجميع الصديقين والأنبياء حين أتوا إلى هذا المقام ما كان نصيبهم إلا الدهشة والحيرة والعجز ، فيذوبون في العجز (10) والشوق ، ويقولون : « سبوح قدّوس » . وسيد الأنبياء - صلوات الله عليه - يؤدّي نوحه عجزه بهذه العبارة « لا أحصي ثناء عليك (11) أنت كما أثنيت على نفسك » وسيد الاوصياء يعرب بهذا اللفظ عن حزنه وعجزه ، وفرحه ودولته مناديا بأتمه بقوله : « العجز عن الادراك إدراك » (12) (فحينئذ) (13) بذوب في مأثم العجز ، وحينئذ يستضي بهذا الفرح بأن هذا العجز تمام الإدراك .

فهذا حال خزائن ملك الملوك والنظارة على تلك الخزائن . وأما الذهب والفضة التي في خزائن ملوك الدنيا فهي مفاتيح جهنم « تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم » يوم القيامة حين ينادي المنادي : افتحوا جريدة خزانة مفاتيح جهنم واحضروهم على صعيد السباسة ؛ فإذا رفع في صدر هذه الجريدة اسم « سعادت خازن » (14) . واأسفاه على العاجز « سعادت » الذي لا يغنيه ملك المشرق ، (15) ولا يأخذ وزيره بيده ، حيث إنهما يحتاجان إلى آلاف المعينين . (والسلام) (16) .

(9) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

(10) في (ج) فيذوبون في ذل العجز .

(11) في (ج) انت كما اثبت .

(12) في (ج) العجز عن درك الادراك ادراك .

(13) سقط من (ج) .

(14) كذا في الأصل (سعادت) بناء مبسوطة برسم الخط الفارسي وحيث أنه اسم علم ضبطه كما في الأصل .

(15) انظر التاليف آخر الكتاب ص : 156 ت رقم 9 .

(16) سقط من (ج) .

رسالة (1) كتبها لأحد الأكابر

في معنى العبادة والحث على انواع الصلوة والعبادة وإشارة إلى صفاء
العقيدة ، وأن الصلوات تدفع الأمراض والأسقام وتزح العلل
والأوجاع (2) .

بسم الله الرحمن الرحيم - يكون للقلب اشتغال تام ، وذلك لعارضة ألم يأتي من حيرة
الأطباء وقصورهم ، ولابد أن يعلم بقينا بأن « الذي أنزل الداء أنزل الدواء » ؛ ولكن الخلق
يظنون إذا أتوا بالدواء من الصيدلاني وجوزه الطبيب أن في ذلك الكفاية ، وهذا خطأ ، لأنه
لا بد قبل أن يلهمو المريض إلى اختيار الطبيب . ويلهموا الطبيب إلى اختيار الدواء ، حتى ينصرف
خاطره إلى الصواب في جنس الدواء ومقداره ووقت استعماله . ففي هذه المعاني الثلاثة الخطأ ملتبس
بالصواب للغاية . فأصل العمل إلهام المريض وإلهام الطبيب ، وهذان الإلهامان لا يوجدان في
دكان أي صيدلاني ، وإنما مفتاحهما في ملكوت السموات وموضوع في خزائن الملائكة ، فإن
أي بداية من الخلق إلى الصواب تأتي من خزانة الملائكة « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
(أو من وراء حجاب) » (3) ، ولا يمكن شراء هذا الإلهام إلا بالهمة ودعاء الأعزة من أهل الدين ،
فإنه كلما انصرف إليه همم أهل الدين وأفكارهم كانت أسبابها مبنولة من جهة الملائكة
« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » (4) ، ولا يمكن تحريك همم أهل
الدين إلا بالإحسان والصدقة . فالصدقات تكون سببا لتحريك الهمم . وحركة الهمم تكون
سببا لفيضان الهداية من خزائن الملكوت إلى قلب المريض والطبيب ، وهما يتبعان سببا
لاستعمال الدواء على قانون الصواب ، واستعمال الدواء يكون سببا للشفاء ، وهذا سر « داووا مرضاكم
بالصدقة » (الحديث) . وأما بأي سبب تكون حركة الهمم وأرواح الأعزة باعثة لروحانيات

(1) في (أ) و (ب) رسالة أخرى .

(2) جاء عنوان هذه الرسالة في (ج) : كتب هذه الرسالة الإمام الغزالي إلى أحد الأكابر في معنى التصديق وطريقه .

(3) القرآن الكريم سورة الشورى الآية 51 . وما بين الحلالين سقط من (أ) و (ب) .

(4) القرآن الكريم سورة الحجر الآية 21 .

الملائكة في إفاضة الهداية ؟ فذلك بسبب المناسبة التي توجد بين الأرواح والروحانيات ويكون استمدادها من هذا البحر . ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » (5) ولهذا البحر غور عميق ، ولا يكشف هذا السر إلا بمقدار ما بين الروح والروحانيات من تناسب وانسجام ، لأن جميع الأمور ربّانية كما قال « قل الروح من أمر ربي » و « لله الخلق والأمر » . وعالم الأمر بعيد عن عالم الخلق ، ولم يبق غواص يطلب هذا النمط من العلم أو يعرف أن هذا يمكن طلبه . والمقصود من هذا هو معرفة ارتباط الشفاء (6) بالدعاء مع الصدقة ، ولهذا قال « الدعاء يردّ البلاء والدعاء والبلاء يتعاجلان » . والهمم والدعوات اذا كانت من جماعة فالغالب أنها تكون ناجحة . وهذا هو سرّ صلاة الاستسقاء والاجتماع بعرفات وصلاة الجماعة .

وصدق الطبعي فيما قاله من أن العلة (المرض) (7) التي تحدثها الحرارة لا بدّ لها من البرودة حتى تهزمها ، وليس للصدقة فيها آية نسبة أو صدق ما ، وذلك بسبب أن الطبيعة حقّ ، ولكن بصيرة الطبعي (8) مقصورة على الطبيعة ، وقاصرة عما هو مسخر للطبيعة ومستعمل لها . ومثاله : كمنلة ترى حدوث خط على ورق إثر جركة القلم فنظنّ أن القلم موجد للخط لأنّ بصرها قاصر عن رؤية يد الكاتب ، وبصيرتها عاجزة عن رؤية قلب الكاتب الذي هو محرّك اليد ؛ ولا يعرف بأيّ حال يمكن صيد القلب حتى يأمر القلم بالكتابة . فالطبيعة كالقلم ، والملائكة كالأصابع ، والملك الأعظم الذي يتبعه جميع الملائكة كاليد . وصاحب اليد والأصابع والقلم وراء الكلّ ، وهو المتفرد بالجبروت و « إتعا قلوب المؤمنين بين أصبعين من أصابع الرحمان » (9) ، فمثال كتابة الإنسان مثال حضرة الربوبية ، فإنّ الله تعالى (10) « خلق آدم على صورته ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه » (11) فكما أن القلب واليد والأصابع فوق القلم فكلّ أسباب الخلقة فوق الطبيعة ، والطبيعة في أسفل السافلين ، ولا بدّ من بصيرة نافذة تصل من الأسفل إلى الأعلى . وأمّا جميع الخلق فنظرهم مقصور على الطبيعيات والجسمانيات ، ولوأنهم أتوا بهما في الأصل من عالم الروحانيات ، ولذلك قال « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه

5 (القرآن الكريم سورة الاسراء الآية 85 .

6 (في (أ) و (ب) ارتباط الدعاء بواسطة الصدقة .

7 (سقط من (أ) و (ب) .

8 (في (ج) ولكن بصر العاد الطبعي .

9 (انظر كشف الاحاديث .

10 (في (أ) و (ب) قال الله تعالى .

11 (في (أ) و (ب) ومن عرف ربه عرف نفسه (والصحيح ما اثبتناه) .

أسفل سافلين » (12) . فلا بدّ من طلب الإعانة في جميع المصالح من عالم الروحانيات ، وهو عالم العلو ، وليس للمال والجاه جناح للصعود إلى ذلك العالم ولكن هذا الصعود للهمة والدعاء « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (13) ورافع هذه الأدعية وحماتها العمل بإخلاص . « والعمل الصالح يرفعه » فجمع المتكلمين وتاركى الصلاة على الباب وتوزيع الخبز واللحم بينهم لايصلح هذه الحمالة ، لأنّ هذه الدواعي تحرك أهل المصطبة لاهمهم أهل الدين فما أعزّ عليه أن يحفظه في قلبه ولا يتركه ويتخلّص من الهوى والشيطان ويبيعه ويصرفه في شأنه ، ويعطي بعضه الذين عرف إقدامهم (14) في الدين ، وليأمر خمسة من أهل الصلاح حتى يصلوا إلى الدراويش المتعفين المعيلين . ويستمد من هذه الهمم حتى يتيسّر من طريق الصواب العلاج (15) للطبيب بالإلهام والتأييد السماوي لأنّ العلة (16) الصعبة والطبيب المتحيّر لا علاج لهما إلّا بهذا ، ولا يصحّ الاعتماد على أقوال الأطباء الغير حاذقين (17) وانما يعتمد على قول الطبيب الحاذق الذي يشير لمناسبة العلة والعلاج (والسلام) (18) .

(12) القرآن الكريم سورة التين الآيات 4 - 5 .

(13) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 10 .

(14) في (ج) اقدارهم .

(15) في (ج) علاج الصورة والمعنى : والظاهر والباطن .

(16) في (ج) المرض الصعب .

(17) في (ج) الجاهلين .

(18) سقط من (ج) .

رسالة أخرى كتبها على الإطلاق لجملة من كبار الدولة (1)
في حق أحد مختلفته.

23

بسم الله الرحمن الرحيم « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (2) . ليس للانسان من القول والفعل والسكون (3) والعطاء والمنع إلاّ انها كنز للسعادة يوضع ، او بذر للشقاوة يزرع ، وهو غافل عنه وموكلو الملائكة يشئون ذرة ذرة « في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها » (4) . فهو ينسى وهم يحفظون « أحصاه الله ونسوه » . (5) وإذا خرج من هذا العالم يعرضون عليه جريدة العمر من أوله إلى آخره في لحظة واحدة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً » (6) . فيضعون ذرات الخير في كفة وذرات الشر في كفة فيعرضون عليه الحساب ، وحينئذ تدهش جميع العقول من الهول (7) ويصيب النفوس الحيرة والخوف إلى أن ترجع إحدى الكفتين « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية » (8) . فحال أرباب الأموال في الصرف والإنفاق يكون هكذا .

فكلّ ما أنفقوا في متابعة الهوى وموافقة الشيطان يكون في كفة الشرور ، وكل ما صرفوا في اطاعة الله تعالى ومتابعة أمره يكون في كفة الخيرات ، فإذا كان أكثر أمواله مصروفاً في الخيرات فقد نجا ، وإلاّ فإلى الهاوية « فأمه هاوية وما أدراك ما هي » (9) . وقد تخلص من هذا الخطر أبو بكر

-
- (1) في (ج) اركان الدولة .
 - (2) القرآن الكريم سورة الزلزلة الآية 7 .
 - (3) في (ج) السكوت .
 - (4) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 49 .
 - (5) القرآن الكريم سورة المجادلة الآية 6 .
 - (6) القرآن الكريم سورة عمران الآية 30 .
 - (7) في الأصل ، حول ، والصحيح ما البتاه .
 - (8) القرآن الكريم سورة القارة الآيات 6 - 9 .
 - (9) القرآن الكريم سورة القارة الآيات 9 - 10 .

الصادق - رضي الله عنه - حيث أتى بجميع ماله للرسول - صلى الله عليه وسلم - (10) . فقال له الرسول - صلى الله عليه - (11) : ماذا أبقيت للعيال والأولاد ؟ قال : الله ورسوله .
ولأجل هذا الخطر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هلك الأغنياء إلا الذي تصدق بماله في الخيرات على اليمين والشمال والأمام والوراء « هلك المكثرون إلا من قال بالمال هكذا (12) عن يمينه وهكذا عن شماله وهكذا بين يديه » .
وان طبع الانسان مجبول على الشح والبخل ولا يسمح بصرف أكثر المال في الخيرات فحينئذ لا بد أن يعطي أولاً لمحل الاستحقاق حتى يضاعف ثوابه ، وقد يسبق الدرهم الالف في يوم القيامة ، وذلك ما حصل لأهل الدين وزمرة العلم من وجه الحلال وطيب النفس دون المنّة ، قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى » (13) . (والسلام) .

(10) في (ج) عليه السلام .

(11) في (ج) عليه السلام .

(12) في (ج) هكذا وهكذا وهكذا .

(13) القرآن الكريم سورة البقرة الآية 264 .

رسالة أخرى كتبها بالعربية لأحد قضاة المغرب وهي غريبة
بديعة مشتملة على أنواع من الوعظ والتحذير (1) .

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين
والصلاة والسلام (2) على خير خلقه محمد وآله أجمعين .
أما بعد فقد أنتج (3) بيني وبين الشيخ الأجل السيد « معتمد الملك » (4) أمين الدولة (5)
- حرس الله تأييده - بواسطة القاضي الجليل الإمام « مروان » - (6) زاده الله توفيقاً - من الوداد
وحسن الاعتقاد ما يجري مجرى القرابة ويقتضي (7) دوام المكاتبة والمواصلة . واني لأصل
بصلة (9) أفضل من نصيحة هي هدية العلماء . وانه لن يهدي التي تحفة أكرم من قبولها (10)
وإصغائه بقلب فارغ من ظلمات الدنيا . واني أحذرّه اذا ميّزت عند ارباب القلوب احزاب (11)
الناس ألاّ يكون إلاّ في زمرة الكرام والأكياس . وقد قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من
أكرم الناس ؟ فقال : أتقاهم . فقيل : من أكيس الناس ؟ (12) ، فقال : أكثرهم ذكراً للموت
وأشدّهم له استعداداً . وقال - عليه الصلاة والسلام - (13) : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله (14) .

-
- 1 (ج) الرسالة التي كتبها بالعربية إلى قضاة المغرب .
 - 2 (ط) على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .
 - 3 أنتج أي اشتبك واتصل في (ط) و (ج) أنتج .
 - 4 (ج) وأمين الدولة .
 - 5 (ع) أمير الدولة غرس الله تأييده .
 - 6 (ج) مروان .
 - 7 ويقتضي .
 - 9 (ج) واني إواصله ، وفي (ط) واني لأصله بصلة هي أفضل نصيحة توصله إلى الله وتقربه لربه زلفى وتحله الفردوس
الأعلى فالنصيحة هي هدية العلماء . وفي (ع) لا أصله بصلة أفضل من نصيحة توصله إلى الله وتقربه إليه زلفى وتحله
الفردوس الأعلى فالنصيحة هي هدية العلماء .
 - 10 (ع) من قبوله لها .
 - 11 (ط) ارباب القلوب احزاب الناس .
 - 12 (ط) الكرام الأكياس فقد قيل ... وهكذا في (ج) .
 - 13 (ط) و (ع) وقال صلى الله عليه وسلم .
 - 14 (ط) المغفرة .

وأشدّ الناس غباوة وجهلا من تهمة أمور دنياه التي تختطفها (15) عند الموت ولا يهمنه ان يعرف انه من اهل الجنة او من اهل النار . وقد عرفه (16) الله تعالى ذلك حيث قال : « إن الأبرار لنفي نعيم . وإن الفجار لنفي جحيم » (17) وقال : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا (فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) » (18) . وقال الله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (19) . وإني (20) أوصيه أن يصرف إلى هذا المهم همته وأن يحاسب نفسه قبل ان يحاسب ، ويراقب سريره وعلايته وقصده (وهتمه وأن يطالع) (21) أفعاله وأقواله وإصداره وإيراده ، أهي مقصورة على ما يقربه (22) إلى الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد ؟ أم هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له اصلاحا منفصا مشوبا بالكدورات (23) مشحونا بالهموم والغموم ، ثم يستبج الشقاوة (24) والعياذ بالله ، فليفتح عين بصيره « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » (25) وليعلم انه لامشقق على نفسه (26) ولا ناظر لها سواه . وليتدبر ما هو بصدده فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فليتنظر كم من قرية أهلكها الله وهي ظلمة ، فهي خاوية على عروشها (27) بعد عمالها (28) ؛ وان كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر فليفتكر (29) كم من بئر معطلة (30) بعد عمالها ؛ وإن كان مهتما بتأسيس بناء فليأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد

(15) في (ط) التي يخلفها ، وفي (ج) التي تحتفرها ، وفي (ع) التي تختطف .

(16) في (ج) وقد عرف الله .

(17) القرآن الكريم سورة الافتطار الآتيان 13 - 14 .

(18) القرآن الكريم سورة النازعات الآيات 37 - 41 وبين الهلالين سقط من (ط) .

(19) القرآن الكريم سورة هود الآتيان 15 - 16 .

(20) في (ج) وإني أحب أن يصرف إلى هذا هم وان يحاسب ويراقب .

(21) سقط من (ج) و (ط) .

(22) في (ط) من الله ويوصله .

(23) في (ع) بالكدورات .

(24) في (ط) و (ع) ثم يختمها بالشقاوة .

(25) القرآن الكريم سورة الحشر الآية 18

(26) في (ط) وليعلم انه لاناظر لنفسه ولا يشفق سواه .

(27) ناظر إلى الآية 45 سورة الحج « وكاين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها » .

(28) في (ج) و (ط) بعد عمالها .

(29) في (ط) فليفتكر .

(30) في (ط) و (ع) وقصر مشيد بعد عمارتها ، وفي (ج) بعد عمالها .

سكانها ؛ وان كان معتنيا (31) بعمارة الحدائق والبساتين (فليعتبر) (32) « كم تركوا من جنات وعبون وزروع ومقام كريم (ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) (33) وليقرأ قوله « أفأريت إن متعنهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » (34) ؛ فإن كان مشغوفاً (35) والعياذ بالله بخدمة سلطان (فليذكر) (36) ما ورد به الخبر : أنه ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأعوانهم ؟ فلا يبقى أحد ممن مدّ لهم دواة أو يرى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضروا (37) ، فيجمعون إلى تابوت من نار فيلقون في جهنم . وعلى الجملة فالناس كلهم إلا من عصمه (38) الله نسوا الله فأعرضوا عن التزوّد للآخرة وأقبلوا على طلب أمرين : الجاه والمال ؛ فإن كان هو في طلب جاه ورياسة فليذكر (39) (ما ورد به) الخبر (40) : الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذرّ تحت أقدام الناس يطؤونهم بأقدامهم (41) . وليقرأ ما قال الله في كل متكبر جباراً (42) . وقال : (الرسول) - صلى الله عليه وسلم - : يكتب الرجل جباراً (43) ولا يملك إلا أهل بيته . أي إذا طلب الرياسة بينهم وتكبر عليهم . وقال (44) - صلى الله عليه وسلم : « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الصرغ والمالك في دين الرجل المسلم » . وإن كان في طلب المال وجمعه فليأتمل قول عيسى - عليه السلام - (45) : يا معشر الحواريين الغنى (46)

(31) في (ع) مقتاً وفي (ج) مفتاً .

(32) سقط من (أ) و (ب) و (ج) .

(33) القرآن الكريم سورة الدخان الآيات 27 - 29 وبين الهالين سقط من (ع) .

(34) القرآن الكريم سورة الشعراء الآيات 205 - 206 .

(35) في (ج) و (ط) و (ع) مشغوفاً .

(36) في (ط) و (ع) فليذكر كما ورد في الخبر أنه ينادي مناد يوم القيامة وفي (ج) فليقرأ ما ورد في الخبر : الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذرّ تحت أقدام الناس يطؤونهم بأقدامهم . وليقرأ ما قال الله تعالى في كل متكبر جباراً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الرجل حياً أو لا يملك أهل بيته أي إذا طلب الرياسة بينهم وتكبر عليهم .

(37) في (ط) الاحضر ، وفي (ع) احضروا .

(38) في (ط) و (ع) إلا من عصم الله .

(39) في (ع) فليذكر وفي (ط) فليذكروا وبين الهالين سقط من (ج) .

(40) في (ع) أن الأمراء .

(41) في (ع) وليقرأ ما قال تعالى .

(42) في (ط) و (ع) وقد قال ، وبين الهالين سقط من (ج) .

(43) في (ط) و (ع) وما يملك .

(44) في (ع) وقال عليه الصلاة والسلام .

(45) بين الهالين سقط من (ط) وفي (ج) عليه الصلاة والسلام .

(46) في (ط) العين . وفي (ع) بامعشر الحواريين سرّة في الدنيا مضرة في الآخرة .

مسرّة في الدنيا مضرّة في الأخرى . أقول حقّاً : لاتدخل الاغنياء ملكوت السماء . (وقد) (47) قال نبينا - صلى الله عليه وسلم - يحشر الاغنياء يوم القيامة أربع فرق (رجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال : اذهبوا به إلى النار) (48) ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال : أوقفوا هذا وأسألوه (49) لعلّه (50) ضيّع بسبب غناه شيئاً ممّا فرضنا عليه أو قصر في الصلاة (51) في وضوئها أو (في) ركوعها أو (في) سجودها أو خشوعها ؛ أو ضيّع شيئاً من الزكاة (52) والحج فيقول الرجل : جمعت المال من حلال وأنفقته في حلال وما ضيّعت شيئاً من حدود الفرائض بل أتيتها (53) بتمامها فيقال : لعلك باهيت بمالك (54) أو اختلت في شيء من ثيابك فيقول (55) : ما باهيت بمال ولا اختلت في ثيابي (56) فيقال : لعلك فرطت فيما أمرناك (به) (57) من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين وقصّرت في التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل ، ويحيط هؤلاء به فيقولون : ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا إليه فقصر في حقنا تقصير (هـ) (58) . ذهب به إلى النار ، وإلاّ قبل له : قف هات الآن شكر كل لقمة (59) وكلّ شربة وكلّ أكلة وكلّ لذة فلا يزال يسأل (ويسأل) (60) . فهذا حال الأغنياء الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله (61) إذ بطول وقوفهم (للحساب) (62) في عرصات القيامة فكيف حال المفرطين

(47) سقط من (ج) .

(48) بين الهالين سقط من (ج) وفي (ط) ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه في الحلال فيقال اذهبوا به إلى النار ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار .

(49) في (ع) وسلوه .

(50) في (ط) و(ع) لعله بسبب غناه تهاون فيما فرضنا عليه أو قصر في صلاته أو في ...

(51) في (ج) أو في .

(52) في (ع) من فرض الزكاة .

(53) في (ع) بل أتيت بتمامها

(54) في (ط) أو اختلت .

(55) في (ط) يارب ما باهيت بسالي (ط) و (ع) .

(56) بين الهالين سقط من (ج) .

(57) سقط من (ط) و(ع) .

(58) الفيسر سقط من (ج) و(ط) و (ع) .

(59) في (ط) و (ع) كلّ نعمة .

(60) سقط من (ج) وفي (ع) فهذه حال الصالحين .

(61) في (ج) و(ط) و(ع) تعالى ان يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال .

(62) سقط من (ع) .

المنهمكين في الحرام (63) والشبهات المكاثرين به المتنعمين بشهواتهم (64) الذين قبل فيهم « أهلكم التكاثر حتى زرتهم المقابر كلا سوف تعلمون » (65) . فهذه المطالب الفاسدة هي التي استولت على قلوب الخلق (66) فسخرها للشيطان فجعلها (67) ضحكة له و (68) عليه . وعلى كلٍّ مستمر في عداوة نفسه ان يتعلم علاج هذا المرض الذي حلّ بالقلوب ، فعلاج مرض القلوب أهم من علاج مرض الأبدان ولا ينجو « إلا من أتى الله بقلب سليم » وله دوائ :

أحدهما : ملازمة ذكر الموت وطول التأمل (فيه) (69) مع الاعتبار بخاتمة الملوك وأرباب الدنيا ، وكيف أنهم جمعوا كثيرا وبنوا قصورا وفرحوا بالدنيا بطرا وغرورا فصارت قصورهم قبورا وأصبح جمعهم هباء منثورا « وكان امر الله قدرا مقدورا » أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون » (70) .

فقصورهم وأماكنهم ومساكنهم صوامت ناطقة تشهد بلسان حالها (على غرور عما لها) (71) فانظر الآن (في) (72) جميعهم « هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا » .

والدواء الثاني : تدبر (73) كتاب الله ففيه شفاء ورحمة للعالمين . وقد أوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بملازمة هذين الواعظين فقال « تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا » الصامت الموت والناطق القرآن . وقد أصبح أكثر الناس أمواتا عن كتاب الله وإن كانوا أحياء في معاشهم ؛ وبكما عن كتاب الله وإن كانوا يتلون به ألستهم ؛ وصمّا عن سماعه وإن كانوا يسمعون به آذانهم ؛ وعميا عن عجائبه وإن كانوا ينظرون إليه (74) في مصاحفهم ؛ وأميين في أسرارهم ومعانيه وإن كانوا يشرحونه في تفاسيرهم . فاحذروا أن تكون منهم وتدبر أمرك وأمر من لم يتدبر (75)

٦٤ في (ج) في الآثام .

٦٥ في (ع) لشهواتهم .

٦٦ القرآن الكريم سورة التكاثر الآيات 1 - 3 .

٦٧ في (ط) تسخرها للشيطان وتجعلها .

٦٨ في (ج) وجعلها .

٦٩ في (ط) له فغلبه وعلى كلٍّ مشر في ... وفي (ع) فغلبه وعلى كلٍّ مستمر .

٧٠ سقط من (ط) .

٧١ القرآن الكريم سورة السجدة الآية 26 .

٧٢ سقط من (ج) .

٧٣ سقط من (ج) .

٧٤ في (ط) تذكر كتاب الله .

٧٥ في (ط) و (ع) و (ج) في صحائفهم ومصاحفهم نائمين عن أسرارهم وإن كانوا يشرحونه .

٧٦ في (ط) لم يتدبر كيف يقوم ويحشر وبين الحلالين سقط من (ع) .

(أمر نفسه) كيف ندم وتحسّر ، وانظر في أمرك و (في) (76) أمر من لم ينظر في أمر نفسه كيف خاب عند الموت وخسر (77) . واتعظ بآية واحدة في كتاب الله ، ففيه مقنع وبلاغ لكلّ ذي بصيرة (78) « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (79) وإياك ثم إياك أن تشغل (80) بجمع المال فإنّ فرحك به ينسبك امر الآخرة ويتزع حلاوة الإيمان من قلبك قال (عيسى صلوات الله عليه) (81) لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإنّ بريق (82) أموالهم يذهب حلاوة إيمانكم .

هذه ثمرة مجرد النظر فكيف عاقبة الجمع والطغيان والبطر (83) .

وامّا القاضي الجليل الإمام « مروان » (84) أكثر الله في أهل العلم أمثاله فهو قرّة العين وقد جمع بين الفضلين (85) : العلم والتقوى ، ولكن الاستتمام (86) بالدوام لا يتم (87) إلاّ بمساعدة من جهته (88) ومعاونة له عليه بما يزيد في رغبته ، ومن أنعم (89) بمثل هذا الولد (90) النجيب فينبغي ان يتخذ ذخرا ووسيلة عند الله تعالى وأن يسعى في فراغه (91) لعبادة الله تعالى ولا يقطع عليه الطريق إلى الله تعالى (92) . وإن الطريق إلى الله تعالى طلب الحلال والقناعة بقدر القوت من المال (93) والتزوع عن رعونات أهل الدنيا التي هي مصائد الشياطين . هذا مع الهرب (94)

(76) سقط من (ج) و (ع) .

(77) في (ج) يلتفت .

(78) في (ط) قال الله تعالى .

(79) القرآن الكريم سورة المنافقون الآية 9 .

(80) في (ج) ان تشغل .

(81) في (ع) عليه السلام وبين الهلالين سقط من (ج) .

(82) في (ط) فإن ثروا أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم وهذه ثمرة حجر النظر .

(83) في (ط) والنظر .

(84) في (ج) الإمام مردان .

(85) في (أ) و (ب) بين الفضيلتين .

(86) في (ج) الانتصام .

(87) في (ط) بانتصام (وليس بصحيح) .

(88) في (ع) من جهة .

(89) في (ط) ومن أنعم الله عليه .

(90) في (ط) هذا لواليد .

(91) في (ط) في فراغ قلبه .

(92) في (ط) واول الطريق إلى الله (ط) و (ع) . وفي (ط) و (ع) وسلك سبيل التواضع .

(93) في (ط) والتمول والتزوع عن رغبات الدنيا التي هي . وفي (ج) والتزوع عن زعومات .

(94) في (ج) مع الذنب .

عن مخالطة الأمراء والسلاطين . ففي الخبر : إن الفقهاء أمّاء الله (95) ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاتهموهم على دينكم . وهذه أمور قد هداه الله تعالى إليها ويسرّها عليه فينبغي أن يمدّه (ببركة الرضا ويمدّه) (96) بالدعاء ، فدعاء الوالد اعظم ذخرا وعدّة في الآخرة (97) والاولى . وينبغي أن يقتدي (98) به فيما يؤثّره (99) من التزويع عن الدنيا ، فالولد وإن كان فرعا فلربما صار لمزيد (100) العمل أصلا ، ولذلك قال ابراهيم عليه السلام (101) يا أبت أيّ قد جاءني من العلم ما لم يأتك (فاتبعني أهدك صراطا سويا) (102) .

وليجهّد أن يجبر (103) تقصيره في القيامة بتوفير ولده الذي هو فلذة كبده ؛ فأعظم حسرة أهل الدنيا (104) فقدّمهم حميما يشفع لهم . قال الله تعالى « فليس له اليوم هاهنا حميم » (105) . أسأل الله تعالى أن يصغّر في عينه (106) الدنيا التي هي صغيرة عند الله تعالى ، وأن يعظم في عينه الدين (107) الذي هو عظيم عنده ، وأن يوفّقنا وإياه لمرضاته ويحلّه الفردوس الأعلى وجنّاته بفضله (108) إن شاء الله .

-
- (95) في (ج) الله تعالى .
(96) سقط من (ط) و (ع) .
(97) في (ع) الدنيا والآخرة وفي (ج) أعظم ذخرا وعدة .
(98) في (ط) أن يقتدي .
(99) في (ع) فيما يأمّره .
(100) في (ط) لمزيد العلم (ط) و (ع) و (ج) .
(101) في (ج) عليه الصلاة والسلام .
(102) القرآن الكريم سورة مريم الآية 42 .
(103) في (ط) أن يجتاز لتقصده في القيمة .
(104) في (ط) و (ع) أهل النار .
(105) القرآن الكريم سورة الحاقة الآية 35 .
(106) في (ع) في عينيه .
(107) في (ع) عينه وفي (ط) الدين الذي هو عظيم عند الله .
(108) في (ع) نعمته وفضله وكرمه .

تعليق جامع فضائل الأنام

سمعت أن القاضي « مروان » قد أتى الى دار السلام لتحصيل منشور دار الخلافة لتولية أبيه منصب القضاء . فتوصل بحشمة حجة الإسلام في عهد كان هو مدرّس بغداد ؛ فإن حجة الإسلام قد أثنى عليه وطلب تفويض منصب القضاء لأبيه (1) .

فرأى العزيز الأشرف الامامي النبوي اقتضى أن يقول : إننا لانفوض منصب القضاء لمن لانعرفه ولم يكن لنا اطلاع على أحواله وصفاته ولكن إجابة للمتمس « حجة الإسلام » نفوض القضاء إلى ابنه الحاضر .

فأبى القاضي « مروان » قبول ذلك لحرمة أبيه ، وطلب من حجة الإسلام أن يكتب شرح الحال لأبيه .

فقال حجة الإسلام : إذا كتبت حقيقة الحال قد يكون غمزا في دار الخلافة ولكن سأكتب مطلقا و(2) أنعرض لهذا المعنى فكتب هذه الرسالة وبعثها اليه . فلما اطلع على حقيقة الحال قال : الشكر لله على عدم تفويضهم لي القضاء حتى كتب لي حجة الإسلام هذه الرسالة .

(1) في (ج) وطلب أن يفوضوا له القضاء .

(2) في (أ) و (ب) ولا أنعرض .

الباب الرابع

في الرسائل التي كتبها للفخهاء وأئمة الدين

رسالة إلى اتلواجة الإمام الزاهد «أحمد الارغباني» الذي كان من مختلفه (1) حجة الإسلام، مشتملة على ذكر طريق السعادة والشقاوة، والحثّ على اتباع منهاج السعادة والتحذير من طريق الشقاوة (2).

بسم الله الرحمن الرحيم إن الرسول «عليه من الصلوات أفضله» قد جمع أصل جميع الوصايا في كلمتين لمن طلب منه الوصية، قال: «قل ربّي الله ثم استقم». وحقيقة «ربّي الله» أن يرى عدم نفسه ويغلب وجود الحقّ تعالى، فيرى انعدام كل شيء سواه، حتى يقتصر الوجود عليه وكتبته الوجود له، فكلمة ازداد انقطاع التفاته من الأغيار يكون هذا الوجود للحقّ مسلماً حتى لا يرى غيره ولا يعتمد قلبه على أي شيء.

و «استقم» هذه الاستقامة في ثلاثة أصول: في القلب، وفي الأخلاق وصفات القلب، وفي الجوارح.

أمّا الاستقامة في الجوارح: فهي أن تكون حركاته وسكناته وفقاً للسنّة. والاستقامة في الأخلاق: هي أن لا يكون انقطاعه عن الشهوات من نفسه، بل يكون إشارة الدين، ولا بدّ أن تكون قوته قاصرة عن تحرّك الجوارح إلّا بأمره وليتظر رجحان العقل في ما يشتهي أكثر، ويعلم مقداره وكيفيته حتى يعرف ما هو الصواب حتى إذا قدر له ولقي فيه أمراً، يكون انبعاثه بذلك المقدار المسموح عقلاً، فإنّ من طبع الشهوة أنّها إذا حصلت على مشتهاها تأخذ بالحيل، وتقول: دعني هذه المرّة حتى أمتنع مرّة أخرى. وعلاجها أن يقول: تأدّب واستقم هذه المرّة حتى أدعك مرّة أخرى، فإذا أتت المرّة الثانية تردها بنحو هذه المجاملة كما تأخذ هي بالحيل لانطلاقها كل مرّة.

وأمّا استقامة القلب أن يكون ملازماً لذكر الحقّ تعالى، ويراقب أن لا يمر عليه شيء آخر (فاذا مرّ - ولا بدّ من مروره -) (3) فليجتهد أن يكون مروره على الحواشي كي لا يتمكن من

(1) اختلف عليه أي تردد عليه. مختلفه أي المترددين عليه.

(2) تفصيل هذا العنوان غير موجود في (ج) وجاء العنوان في (ح) كما يلي: «رسالة كتبها إلى اتلواجة الإمام أحمد الأزعاسي الذي كان من مختلفه»

(3) سقّ من (أ) و (ب).

صميم القلب ، بل يكون صميم القلب مسلماً للذكر وسائر الضرورات يمرّ من ظاهر القلب ولا يعطي تمام القلب لشيء غير ذكر الحقّ تعالى ، وإذا وقعت واقعة بأن يغضب تمام القلب جيش جرّار ، يرده منه بالسرعة ويأخذ بالذكر « واذكر ربك إذا نسيت » (4) . وإذا غلب الذكر على القلب فهو في أكثر الأحوال غالب على الشهوات في أكثر الأمور وتكون حركاته على وفق السنة إلاّ على الندور ، فقد ترجحت كفة الحسنات وحصل بها الاستحقاق والفوز والنجاة إن سلم في دوامه عن هواجم الآفات ، (والسلام) (5) .

(4) القرآن الكريم سورة الكهف الآية 24 .

(5) سقط من (ج) .

جواب رسالة « أبي المحاسن مسعود بن محمد بن غانم »
مشملة على ذكر مراتب العلوم ودرجاتها ، وكيفية الترقى من
العلم النازل إلى العلم الرباني (1) .

26

بسم الله الرحمن الرحيم : وصل عزيز كتابه فلان - حرس الله تأييده وأدام توفيقه وتسديده -
معرباً عن كرم العهد . وغزارة العلم ووفور الفضل ، ومسلية من لوعة الاشتياق .
حيث قد طال العهد بالمشاهدة والمكاتبة ، وكان القلب في جملة الأسفار اليه متحيراً ، ومتسماً
أخباره - خاصة إكبابه على التحصيل - وكان مستبشراً بمشاهدة إقباله ومواظبته على العلم . وتفرست
في مائة ديانات وحسن عقيدته بما رأيته مشاهدة من عقله وكياسته ، وكنت واثقاً بأنه في جملة
الأحوال لا يلزم غير ناحية الاستقامة ، ولا يتشمر إلا لأمر ديني . إن أوائل (2) الأمور تدل
على أواخرها . ففي ذلك الزمان كان هو الوحيد بين الأقوان وما كان له نظير في خصال الخير ، والآن
له درجة الكمال (3) في الفقه والأدب ، فالوقوف على مدارج الفضل من عمل العاجزين ، فلا بد
أن يرقى إلى أقرب علم هو أعلى درجات العلوم ، ويتوجه من « فرض الكفاية » إلى « فرض
العين » ، وينتقل من العلم الذي أكثر اتجاهه إلى الخلق إلى العلم الذي كله متوجه للآخرة .
وليعلم (4) أن حاصل علم المذهب في ما وراء ربيع العباد (5) قانون وساطة بين أهل القرى
والعوام ، حيث اشتغلوا بحكم الجهالة والشهوات بالتنازع والتجاوب للحظوظ الدنيوية ، وأي مناسبة
له مع العلم الذي من ثمراته معرفة أسرار الربوبية ؟

وحاصل علم الخلاف رجم الظن في طلب الصواب في علم نخطئه أجر واحد ولصوابه أجران .
وهذا في حق من يكون له درجة الاجتهاد « فإن أخطأ فله أجر واحد وإن أصاب فله أجران » .
(فأي مناسبة للعلم الذي لا تكون مصارفته بين الصواب والخطأ أكثر من هذا مع) (6) العلم

(1) سقط من (ج) .

(2) في (ج) مبادي الأمور .

(3) في (ج) حصل على درجة الاستقلال .

(4) في (ج) واعلم .

(5) في (ج) في ما وراء العبادات قانون وقسايس بين الراسخين والعوام .

(6) سقط من (أ) و (ب) .

الذي تكون مصارفته بين الخطأ والصواب السعادة الأبدية ، وذلك (7) معرفة أسرار جوهر الإنسان بأن يعرف ما هي صفاته المهلكة وما هي منجياته ومسعداته ، وأي كيمياء لابد أن يوضع على جوهر القلب (8) حتى يوصله من أسفل السافلين إلى الحضرة الإلهية التي تسمى أعلى العالين ؟ وأي طريق يأخذ سلوكه بجوهر الانسان إلى هذه الدرجة وما هو زاده وعقباته ؟
 وإذا سمحوا له بأن يأخذ طرفا من هذا العلم يستصغر في عينه سائر العلوم ، ولكن اذا لم يتلذذ منه لا يعرف عنه .

(شعر فارسي في الأصل - ترجمته) .

(الطير الذي لا يعرف الماء الزلال يضع منقاره دائما في الماء المالح . (ويحكم اعتقادي في كياسته ومعرفتي بصفاء (9) جوهره وقابليته لتعلم كل علم به أسرار الدين كتبت هذا (10) . (والسلام) .

7 (ج) وهذه هي .

8 (ج) واي كيمياء اذا اشرق على القلب .

9 (ج) معرفتي بوصف جوهره .

10 (ج) نتهت بهذه .

رسالة أخرى كتبها في حق بعض مختلفته (1) في معنى العناية والمواظبة ، على وجه الاطلاق إلى كل من تصل إليه .

بسم الله الرحمن الرحيم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله » .

ارتفاع المرتبة والجاه واتساع الثروة والمال كلتها بنور للشقاوة وسبب لوبال الآخرة (2) إلا ما جعل زادا للآخرة وذخيرة ليوم القيامة ، وفي حق هذا المال وصاحبه قال (صاحب الشريعة - عليه السلام -) (3) « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .
فأبهر قرينة وأقبل مبرة وأحق إكرام أن يكون مصيبه أهل الدين والورع (4) والسلام .

(1) مختلفته : من اختلف عليه أي تردد عليه (كننا في الاصل) .

(2) في (ج) وسبب الدمار .

(3) سقط من (أ) و (ب) .

(4) في (ج) أهل العلم والدين .

رسالة أخرى كتبها لخواجه عباس خوارزم (1)
في معنى الاخويات

بسم الله الرحمن الرحيم سلام الله تعالى عليه .
الأخوة في الدين والتقربة في العلم أرسخ الوسائل ولولم يكن في الظاهر تعارف ، ولكن التعارف في الباطن مؤكد « والأرواح جنود مجتده ، (2) والنظر إلى القلوب لا إلى القوالب » .
ومن حين سمعت تفصيل همته وسيرته تقوى القلب وانتعش من جديد ، وأقول شاكرا :
الحمد لله ان وجه الأرض ما زال غير خال ممّن جمع بين علوم (3) الشرع وسيرة التصوف والافتداء بالصحابة . فإن القيام بأحاديثها غريب والجمع بين هذا كله عزيز ، فإذا نهجت طريق دعوة الخلق ، ودعوتهم إلى الرضا وطريق السعادة ما أمهلت حتى يسلّم الناس عليك ، فاقتداؤك بالصحابة تامّ وكان في غاية الكمال « ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » (4) وأسأل الله تعالى أن يبقي إلى الآخرة بركات أنفاسه وحركاته (5) .

-
- (1) في (ج) تلوجه عباس بخوارزم .
 - (2) إشارة إلى الحديث المشهور : « الأرواح جنود مجتده ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » انظر كشف الأحاديث .
 - (3) في (أ) و (ب) علم الشرع .
 - (4) القرآن الكريم سورة فصلت الآية 33 .
 - (5) في (ج) وأسأل الله تعالى . أن لا يحرمانا من بركات أنفاسه وحركاته .

رسالة أخرى كتبها في جواب ابن العربي (1) (مشملة على ذم الدنيا
وتقبيح حال أربابها وهلاك الدين طلبوها بواسطة الدين
وعلم الشريعة) (2) .

29

بسم الله الرحمن الرحيم - (والحمد لله رب العالمين) (3) والصلاة على رسوله محمد وآله
أجمعين . سلام الله تعالى على الشيخ الإمام ورحمة الله وبركاته (ورأفته) (4) . وصلت الرسالة
الكريمة المحشمة ، مشتملة على أنواع التفضل والإكرام ، ومعربة عن غزارة العلم ووفور الفضل
وخلوص الاعتقاد ، وقد حصل بها الاستظهار والاعتداد . « وأسأل الله تعالى أن يكثر في أهل
العلم وزمرة الفضل أمثاله ، وإن يعرفه غوائل (5) العلم وأغواره .

فكلّ علم وفضل أثمر شيئاً غير معرفة الله تعالى (6) ومتابعة رسوله فهو وبال على صاحبه .
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (نعوذ بالله من علم لا ينفع) . ثم بين أن نفع العلم هدايته
فقط وقال أيضاً (7) : « من ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلاّ بعداً » ، العلم الهادي
هو الذي يدعوك من الخلق إلى الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن
الحرص إلى الزهد ، ومن الرياء إلى الاخلاص ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن شره (8) المترفين إلى
سيرة المتقين . وأكثر الخلق يظنون أن كلّ من هو مشغول بعلم الدين هو سالك طريق الدين .
وهيهات فقد روي في المستدرک (9) عن الصحيحين ان النبي - صلى الله عليه وسلم - (10) قال :
« من طلب علماً مما يتغنى به وجه الله تعالى لينال به عرض الدنيا ، لم يجد عرف الجنة » .

- 1 (في (ج) ابن العاصم .
- 2 (بين الهالين سقط من (ج) والمثنى ايضاً مشوش .
- 3 (سقط من (ج) .
- 4 (سقط من (ج) .
- 5 (في (ج) عوالم العلم .
- 6 (في (ج) سوى الله تعالى .
- 7 (سقط من (ج) .
- 8 (في (ج) من أسرة المترفين .
- 9 (في (ج) في السند .
- 10 (في (ج) عليه الصلاة والسلام .

والحق ان هذه المصيبة تكفي ليوقن أهل العلم بأن خطر جمع الفضل والعلم أكثر من خطر جمع المال فإنّ المال للدنيا ويليق أن يطلب به الدنيا ، وأمّا العلم (11) فهو من الدين فإذا جعلوه وسيلة للدنيا يكون من جملة الكبائر .

يقول أحد الكبار (12) « من طلب الدنيا بأقبح ما يطلب به الدنيا كان أعذر ممّن طلب الدنيا بأحسن ما يطلب به الآخرة » . (لأنّه) (13) خلق الدنيا للآخرة لا الآخرة للدنيا ، والدنيا تبع وخادم ، والدين ومخدوم . فكل من جعل المخدم وسيلة للخادم عكس الوضع الإلهي وجعله منكوسا . والوضع الإلهي لا ينعكس بل هو المعكوس والمنكوس بصورته وعلمه حتى في هذا العالم ، لكنّ العيون الظاهرة لا ترى انتكاسه ، حتى اذا غابت وظهر العالم الآخر الذي يعرفون فيه حقائق المعاني من الغطاء والكسوة الصورية ، والصورة تصبح تبعا للصفة . وكل واحد يظهر بصورة تلائم صفته حتى يرى الحريص نفسه بصورة الخنزير ، وصاحب الكبر يرى نفسه بصورة النمر ، وصاحب الغضب يرى نفسه بصورة الذئب ، وصاحب الدنيا (14) يعلم الدين يرى نفسه معكوسا ومنكوسا فيقولون له « فكشفنا عنك غطاءك فيسرك اليوم حديد » (15) « ولو ترى إذ المنجرون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون » (16) . يجاب هكذا : « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » (17) . فهذه مصيبة جميع العلماء .

وأهل الدين على ثلاث فرق : فريق غافلون عن هذه المصيبة وغير مطلّعين عليها وتسميتهم بالعلماء مجاز محض « وأولئك هم الغافلون . لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون » (18) . وفريق مصابون بهذه المصيبة ويعزون أنفسهم ولكنهم لم يتخلصوا منها ، وهذا نادر في أيامنا هذه .

(11) في (ج) وأمّا علم الدين للدين .

(12) في (ج) وقد نقل عن أحد الكبار .

(13) سقط من (أ) و (ب) .

(14) كذا في الاصل والاول طالب الدنيا .

(15) القرآن الكريم سورة ق الآية 22 .

(16) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 12 .

(17) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 37 .

(18) القرآن الكريم سورة النحل الآيتان 108 - 109 .

وفريق تخلصوا من هذه المصيبة وهم « السابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم » (19) ، فطوبى لعين رأتهم ورأت من رآهم وليتنا كنا ممن اكتحلت أبصارهم ببقاياهم « فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله » (20) هم هؤلاء .
 فأسأل الله تعالى أن يجعلنا (21) وأيتاه من المخلصين وأن يعيدنا من غرور الغافلين بكرمه وسعة جوده (ومنته) (22) . والسلام .

(19) القرآن الكريم سورة الواقعة الآيات 10 - 12 .

(20) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

(21) في (ج) أن يجمعنا .

(22) سقط من (ج) .

رسالة أخرى كتبها إلى والد أحد المرددين عليه بأمره أن لا يقطع على ابنه طريق العلم والتحصيل ويمدّه بالرضا (الدعاء) (1) ومواد المعيشة .

بسم الله الرحمن الرحيم : اعلم أن الله قد قدر أن يكون طلاب السعادة من طريق العلم والتتوى أعزة وعظاما ، فقليل من الألو ف من يطلب العلم وينصرف من الأشغال والأعمال الدنيوية إليه ، وقليل من الذين وفقوا لطلب العلم من كانت لهم القريحة والفهم لدرك الغوامض من العلوم ؛ وقليل من هؤلاء من لا يجعل علمه آلة لجمع الدنيا وطلب حطامها . أي يجمع بين العلم والعمل ويلتزم طريق التقوى حتى صلح لهداية الخلق .
وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » (2) وليسوا من الذين قال فيهم ، « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان » (3) .

وهؤلاء القوم القليل الذين استعدت فطنتهم لكمال العلم واستجابت فطرتهم لقبول التقوى . قد قضى التقدير أن يسلط عليهم الشياطين حتى يأتوا بالعوائق فيقطع عليهم الطريق قبل الاستكمال بوجه ممكن ، وأحد هذه العوائق هي القرابة ، ومنها المال والضيعة ، ومنها المنافسة والخصومة . وهذه كلها من الشيطان لقطع الطريق على الطالب . وفلان واحد من هذا القليل حيث له بالفطنة والفطرة استعداد لكمال العلم والتتوى .

فإذا أمكن له (4) أن يهي له أسباب فراغته حتى يصل إلى ذروة الكمال فليهي حيث إن ثمرته تعود إلى الجميع في الدين والدنيا .

(1) سقط من (ج) .

(2) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 24 .

(3) القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 175 .

(4) كذا في الأصل ، والضمير يعود إلى المخاطب (أي صاحب الرسالة) ، والضمير الثاني يعود إلى ابنه .

فأني ساعة التمس الرجوع (إلى الدراسة) وكان له (5) الفتور في تهيئة أسباب فراغته ، يكون هذا عدم الشفقة في عين الشفقة ، وقطع طريقه ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك » .

وإذا ظنَّ أن رجوعه أياماً قليلة لصلة الرحم ليس قطعاً للطريق ، فقد انقطع أكثر طلبه العلم لهذا ، فإنهم قصدوا الوطن بهذه الفكرة ، فعنة البيت عالية ، والوطن عشّ العلائق والعوائق (فقبل الانتهاء من العمل تصادموا بعائق وعدلوا عن الطريق) (6) وتوقفوا عن العمل . هذا وقد قيل : كلّ ما كانت النصيحة « كلّ متيسر لما خلق له » فطوبى لمن خلق للخير والإعانة له » (7) .

(5) بين الهلالين سقط من (أ) و (ب) .

(6) سقط من (أ) و (ب) .

(7) في (ج) والإعانة عليه .

رسالة أخرى كتبها للقاضي الامام الشهيد «عماد الدين محمد الوزان»
في حق شخص على سبيل العناية والتحسين والشفقة عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم : الاعتداد وافر بما يصل من الأخبار وانتظام الأحوال (1) ،
وبحكم شمول الايمان « والمؤمنون كنفس واحدة » ، وقراءة (العلم) (2) . المساهمة في السراء والضراء
واجبة ، فكل حال من احوال اهل العلم ناسبت سيرة علماء السلف وصلحت ان تكون زادا
للآخرة وذخيرة ليوم القيامة واقتداء للأمة فهي نعمة كبرى لا بد أن يفرح الجميع ويهنأوا بها ،
وكلما كانت بخلاف هذه فهي مصيبة كبيرة ، لا بد أن يشترك في مأتمه . وبحكم أن المكاتبه
بغير فائدة تكون (نوعاً) (3) من التصنع والرسم فأمسك القلم إلا في وقت الحاجة . قال الله تعالى
« لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » (4) . والمراسله
ايضا في هذا المعنى كالمشافهه والمناجاة .

فنب تحرير هذه الحروف الدلالة على شرح حال فلان الذي هو من الفضلاء والمبرزين
من أصحاب (5) الرأي والمتحليين بأنواع الفضل ، وقد قصد تلك الناحية في هذا الوقت لمهمة ،
وهو غير مستغن عن عنايته . فكل ما يقدم له من العناية والاكرام وقضاء حقه في الاحترام يقابل
بالثواب الجزيل والدعاء الصالح والشكر والثناء الفائق .

(1) في (ج) وانتظام اهله .

(2) سقط من (أ) و (ب) .

(3) الزيادة من نسخة (ب) .

(4) القرآن الكريم سورة النساء الآية 114 .

(5) أصحاب الرأي والقياس : هم الفقهاء الذين يستخرجون أحكام الفتيان من القرآن والحديث باستعمالهم رأيهم الشخصي يأخذون
في القياس الكبرى من القرآن والحديث والصغرى من وقائع الامور . كان كبيرهم ابو حنيفة النعماني في الكوفة وأصحابه
فقهاء العراق . نقيضهم أصحاب الحديث من الحجاز وهم شديبو التسك بالتقليد وزعيمهم الإمام مالك بن انس وجاء
الإمام الشافعي فمزج بين الطريقتين واختص بمذهب خالف فيه مالكا .

رسالة أخرى كتبها على وجه الاطلاق إلى كل من تصل في حق
بعض المتصوفة على سبيل العناية والشفقة والارشاد بالاعانة والامداد
والتنبيه على درجات التصوف ومراتب القوى (1) .

بسم الله الرحمن الرحيم : ولأنَّ الشعب ومقامات الطريق (2) كثيرة ولكنها كلها لا تعدو
عن ورقتين : الأولى ورقة المعاملة ، والثانية ورقة المعرفة . والمعاملة مقدمة للمعرفة ، وبداية المعاملة
لقمة الحلال ، ونهايتها الإخلاص في جميع الأعمال ؛ فمن سلك حتى هذه النهاية ، وصل إلى
بداية ورقة المعرفة ، وأول سطر من هذه الورقة حقيقة « لا إله إلا الله » ، التي تظهر بصفاتها . قال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أول ما خطه الله في الكتاب الأول لا إله إلا الله أنا سبقت
رحمتي غضبي » . وهذه الكلمة توجد أيضا في ورقة المعاملة ؛ ولكنها عقيدة لاتصل إلى درجة
الصفة ، فإذا أخذت طريقها للظهور في صفة تتبعها جميع العقائد التي هي بالنسبة لها توابع لهذا
الاصل ، فتأخذ في الخروج من قشور الالفاظ وكشف الباب من القشور . وفي ورقة المعرفة قصر
الكلام أولى من تطويله ، فإن كل كلمة من هذه الورقة وصل إليها سالك الطريق مستغنية عن
الشرح ، وكل ما لم يصل إليه فهو منكر ، وثمرة الكلام معه خصومة لا هداية .
وأما ورقة المعاملة ، فشرح الكلام فيه أنفع ، وقلنا بأنَّ أوله لقمة الحلال . والورع في
طلب الحلال على أربع درجات :

الأول : ورع العدول (3) الذي بانعدامه يحصل انخرام (4) عدالة الشهادة والرواية والقضاء ،
وكل ما هو حرام في فتوى علماء الشرع يطل هذا الورع .

والثاني : درجة ورع الصالحين ، فإنَّ الصالحين يحترزون من مواقع الشبهات ، ولولم يكن
في ظاهر الشرع حراما كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبعض أصحابه « استفت قلبك
وإن أفتوك وأفتوك » (5) وقال « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . وهذه من الفضائل لامن القرائض .

1 (ج) جاء عنوان هذه الرسالة في (ج) « ما كتبها في حق بعض مفوضته على سبيل العناية والشفقة » .

2 (ج) ومقامات الدين .

3 (ج) ورع العدل .

4 (ج) لا يحصل عدالة الشهادة .

5 (ج) وإن أفتوك المقتون .

والثالث : ورع المتقين . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا يكون المرء من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس » (6) . ولهذا وضع الصديق (7) - رضي الله عنه - حجراً في فمه حتى لا يتكلم بالمباح حذراً من التكلم بما لا يباح . وعمر (8) - رضي الله عنه - شم رائحة المسك من مقنعة أهله ، التي وزن بها مسك بيت المال ولمس يده المقنعة (9) فكان يغسل تلك المقنعة وينشرها على التراب حتى ذهب كل ما بها من الرائحة ، ولو أن هذا في محل التسامح ولكنه خاف أن يؤدي فتح هذا الطريق إلى أكثر من هذا .

والرابع : درجة ورع الصديقين ، فهم يحرمون على أنفسهم جميع مباحات الخلق إلا ما كانت لله تعالى ، وهؤلاء قوم لا يأكلون إلا لله ، ولا يشربون إلا لله ، ولا ينطقون إلا لله ، ولا يكتبون إلا لله (10) . فيأكلون الطعام ليتقوا على العبادة ، وينامون القيلولة للشهجة ، وأول الليل للصفاء وقت السحر ، فقطعهم ذكر ، وسكوتهم فكر ، ونظرمهم عبرة ، وإغماضهم هيبة وحرمة ، وجميع الأحوال هكذا .

فالذين كانوا مطلعين على ورق المعاملة نزلوا على مقامات ثلاثة ، كما قال الله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » (11) . فالذين اقتصروا على درجة (12) ورع العدول هم من المقتصدين ، والذين لم يوفوا بهذه وقعدوا عن القيام بها هم الظالمون ، والذين لم يقنعوا بهذه الدرجة وارتقوا إلى درجات وراءها فأولئك لهم درجة السابقين التي هي ممتنة في آخر الزمان أو عريضة ومتعذرة . ولكن المأمول للذين قاموا في هذا العصر بورع العدول وأدوا شروطه أن تعطى لهم درجة السابقين .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (13) « سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا » فقيل : ولم ذلك ؟ قال : « لأنكم تجدون على الخير أعوانا » . فالذي يظن أن من اقتنع بمال الدهاقين وأهل السوق فهو من السابقين ، والذي يقبل مال السلاطين فهو ظالم بكل الأحوال ساء ظناً ، بل وكما أن مال السواقة مختلط وله تفصيل فكذلك يكون مال السلاطين .

(6) في (ج) مخافة ما به البأس .

(7) في (ج) الصديق الأكبر .

(8) في (ج) عمر الخطاب .

(9) في (ج) ونظف يده بالمقنعة .

(10) في (ج) لا يكتبون إلا لله .

(11) القرآن الكريم سورة فاطر الآية 32 .

(12) في (أ) و (ب) على أولى درجة .

(13) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

ومال السلاطين على ثلاثة أقسام :

الأول : مال مغضوب بالمصادرة والقسمة والخراج ممن هو معروف ومعين ، فهذا حرام محض . وقابض هذا المال ان لم يرده لصاحبه فهو من الظالمين .
والثاني : مال يكون من ملك اشتروه بالجاه او أحيوه ، أو بذر نشروه ، فقابض هذا المال من المقتصدين لامن الظالمين ، واذا وقعت شبهة في سعر الملك فهذه الشبهة يفوت ورع السابقين لا ورع العدول والمقتصدين .

الثالث : المال الذي يعرفون أنه حرام ومغضوب ولكنه مجهول المالك . ففتوى الشرع في هذا المال أن يأخذوه ويصرفوه (14) في مصالح الدراويش فهذا أولى من إبقائه في أيديهم ليكون آلة الظلم والفساد ، والقابض لابد أن يكون أمّا درويشاً يأخذ بقدر حاجته ، او غنياً يأخذ ليوصله للدراويش ويصرفه في صالحهم دون أن يتصرف في شيء منه . فكل من أخذ للضرورة العيال بقدر الحاجة من هذا المال لا أكثر فهو مقتصد لا ظالم .

وفلان أقام مدة في خانقائها وكانت سيرته محمودة ، فإذا طلب شيئاً من الخيرات الموسعة او الاوقاف او اموال السلاطين للضرورة العيال فقد عرضه اولاً على فتوى الشرع واختصر على محل الرخصة ، وعزى في هذه الايام من يطلب ويعمل على ميزان فتوى الشرع مع الإقلال وكثرة العيال . وهكذا رجل في هذه الأيام يستحق الحمد ولا يستوجب الهجران والانكار ، حتى يعرف فلان أخا كسائر المشايخ - كشر الله في زمرة الدين أمثالهم - هذا المعنى من أحواله ويتقبلونه عن جدّ . (15) والسلام (على سيد المرسلين) (16) .

(14) في (ج) أن يأخذ منهم ويصرف .

(15) في (ج) ويتلقون مقدمه بالقبول والاقبال . -

(16) سقط من (أ) و (ب) .

الباب الخامس

في فصول ومواضيع فالحا وكنها مراً

الفصل الأول

من إنشائه في ذكر آفات العلم والمناظرة والتذكير ، وبيان حظ النفس فيها ، وكيفية استدراج واستغواء إبليس لأهل العلم بواسطة المناظرة . والتذكير بسخط الحق تعالى وبشقاة الأبدية وبيان حيله (1)

33

بسم الله الرحمن الرحيم. طلب النصيحة والنصيحة كلاهما سهل ، ولكن الصعب قبول النصيحة ، وخاصة على الذي يطلب العلم والفضل ، ظناً منه إن العلم سيكون وسيلة له يغنيه عن العمل ، ولكن حاجته إليه أكثر لأن الحجة عليه أشد تأكيداً « وأشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » (2) .

فإذا أردت سعادة الآخرة دون أن يكون العلم عليك حجة ، فاحذر من أربعة أعمال : - الأول : لاتناظر أحداً ، فإنه ليس في المناظرة فائدة سوى إرضاء النفس وكسب قوة في الطبع . وآفاتها كثيرة « فإثمه أكبر من نفعه » حيث إنها منبع لجميع الأخلاق الذميمة كالرياء والحسد والمباهاة وغيرها ، وأما إذا أشكل شيء واحتيج إلى معرفة الحقيقة فهذه النية فقط تصلح (المناظرة) (3) . ولهذه علامتان :

الأولى : أن لا يكون عنده فرق بين أن يكشف الحق على لسانه أو لسان خصمه .

والثانية : أن يفضل البحث في الخلوّة على الملأ .

- الثاني : لاتذكر ، وخف ممّا قالوا لعيسى - عليه السلام - قالوا « يابن مريم عظم نفسك فإن اتعظت فعظم الناس وإلا فاستحي مني » . فإذا ابتليت بالتذكير مراعاة للأقارب فاحترز من شبّهين :

الأوّل : احذر من التفاسح والبارات المتطاولة والأسجاع المتواليّة ، فإنّ الله تعالى يغض المتكلمين ، وخاصة تكلف السجع فإنه إذا صدر من واحد دل على الغفلة وخراب الباطن ، لأنّ

1 هذا التفصيل سقط من (ج) .

2 في (ج) لا ينفع الناس بعلمه .

3 سقط من (أ) و (ب) .

معنى التذكير أن يشعل القلب بنيران خطر الآخرة ، ويجعل الرجل ملتهبا فغليان تلك النار ونباح تلك المصيبة تسمى التذكير . فإذا جرى سيل إلى قرب باب أحد ، ويكون الخوف من خراب الدار في ساعته وهلاك أطفاله ، فالمنادي ينادي بباب الدار : حذار ، الفرار من السيل . ففي هذا الوقت هل يتكلم السجع أو التفاسيح ؟ فهكذا مثال مذكر الخلق أيضا .

والثاني : لا يحب قلبك صراخ المستمعين وتبديل الحال وتقلب المجلس ، حتى يقول الناس : كان نعم المجلس ، فإنّ هذا كله دليل على الرياء والغفلة ، ولكن وليجعل همّة توجيههم من قبله الدنيا إلى الآخرة ، ومن الحرص إلى الزهد ، ومن الغفلة إلى اليقظة ، بحيث إنهم إذا خرجوا خرجوا مع تغيير شيء من صفاتهم الباطنية ، أو يظهر في معاملتهم الظاهرية ، ويصبحون راغبين في الطاعة التي كانوا عنها فاترين ، وخائفين من المعصية التي كانوا عليها متجاسرين . هذا هو التذكير ، والباقي كله وبال على المتكلم والسامع .

ـ الثالث : لا تلتمّ على أي سلطان ولا تخالطهم ، فإنّ فتنة مجالسة السلاطين كبيرة ، وأنّ المبلى برؤيتهم لا بد أن يظن في الثناء والمدح والفضل عليهم وفي حواشيهم ، فإذا دخلوا المجلس كذلك « فإن الله بغضب إذا مدح الفاسق . ومن دعا للظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله في الأرض » .

ـ الرابع : لا تأخذ من أي سلطان شيئا ولو كان حلالا مثلا ؛ لأنّ الطمع في ما لهم وجاههم سبب فساد الذين ويلزم منه المداينة والمراعاة والموافقة على الظلم وغيره . وهذه كلّها عين الهلاك فهذه أربعة محاذير لا بدّ من الاحتراز منها ، فإنّها ممّا يترك .

وأما ما ينبغي أن يفعل فأربعة أصول لا بدّ من ملازمتها :
الأول : أن يعامل الناس معاملة إذا عاملوه بها رضي ، وقيل « فلا يكمل إيمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه » .

الثاني : ليجعل كلّ معاملة تكون بينه وبين خالقه تعالى وتقدّس « بصورة لو أنّ عبدا من عبيده فعل معه قبلها ورضي ، وكل ما لا يعجبه من عمل عبده أو ليس من شأن العبد أن يفعله معه لا يقبل مثله في عبادة الله تعالى .

الثالث : إذا أخذ بترتيب العلم فليأخذ أولا بعلم الوعظ بأنّه سيموت إلى أسبوع آخر لاشتغل به . وهذا العلم لا يكون (4) الشعر ولا الترسل ولا الخلاف في المذهب (ولا الأصول) (5)

4 (سقط من (ا) و (ب) .

5 (الزيادة من (ج) .

ولا الكلام . فإنّ الذي علم بأنّه ستلحقه المنية إلى أسبوع آخر - وكان موفّقاً - لا يشتغل إلاّ بالمراقبة (بمراقبة القلب) (6) ومعرفة صفاته حتى ينظفه من علائق الدنيا وكل علاقة سوى الله تعالى ، ويزيّنّه بمحبة الله تعالى وبالصفات المرضية عند الله .

فإذا بشرّوا أحداً بأنّ السلطان (7) سيأتي لزيارته في هذا الأسبوع ، فإنّه لا يشتغل إلاّ بما يكون موضع نظر السلطان وينظّف الجسم والملابس والبيت من المكروه ويزينها بالمحاسن « وأنّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » .

ويمكن معرفة احوال القلب من ربيع المهلكات والمنجيات من كتاب « إحياء العلوم » (او كيمياء) (8) أو « جواهر القرآن » . فهذا هو العلم المهمّ (9) ، وهذا هو فرض العين « والبقية إما فضل كعلم الخلاف ، أو فضول كالشعر والترسل .

الرابع : أن يكسب مال الدنيا بمقدار ما لو علم بارتحاله إلى ذلك العالم في مسته لكسبه و « ذلك قدر الكفاف » (10) الذي ارتضاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأهل بيته ، إذ قال : اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا . وقال - صلى الله عليه وسلم - (11) « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ بجيفة وهو لا يشعر » (والسلام) (12) .

(6) في (ج) بمراقبة القلب .

(7) في (ج) بأن سلطان الأسلام .

(8) سقط من (أ) و (ب) .

(9) في (ج) هو العلم الاهتم .

(10) في (ج) قدر الكفاف له .

(11) في (ج) عليه الصلاة والسلام .

(12) سقط من (ج) .

الفصل الثاني

ما كتبه في حقّ من (استنسخ) كتاب « بداية الهداية » (2) في الشرائط والأوصاف التي لا بدّ منها للمتعلّم ليتأهل لقراءة « بداية الهداية » .

34

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم :

ما كتبه في (هذا) (3) الكتاب هو بداية الهداية (4) وأما نهاية الهداية (5) أن تكون صاحب النفس الواحدة والهمة الواحدة ، والفكرة الواحدة والرؤية الواحدة .

فوحدة النفس : أن لا يتدبّر ما لم يأت ، بل لا يرعى إلاّ النفس الواحدة الحاضرة ، وأن الماضي هو المعلوم يقيناً ، والمستقبل يمكن أن لا يكون متيقناً ؛ فليس إلاّ هذه النفس يقيناً .

وأما الهمة الواحدة أن لا يكون له أيّة قبلة أو مقصود سوى الله تعالى في هذه النفس الواحدة ، فيتوجه اليه ويلزم ذكره بل شهوده (6) ، ولكلّ من هذا درجة .

وأما الفكرة الواحدة أن يجعل من نفسه عسا ليجرد من القلب كلّ عمل وكلّ شيء ليس لله تعالى ؛ لأنّ « الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلاّ ذاكرا لله وما وآلاه » . وكل ما هو غير الحقّ تعالى منطبق عليه هذا المعنى .

وأما الرؤية الواحدة : أن يرى الحقّ تعالى مع كل ما يرى ، فليس في الوجود سواه في الحقيقة وجميع الأشياء إنما وجودها في الظاهر فقط . ولكلّ واحدة من هذه درجة . « هم درجات عند الله » (7) . فكل من كان صاحب درجة من هذه الدرجات سيصل من بداية الهداية إلى نهاية الهداية .

(1) سقط من (ج) .

(2) انظر التاليف ص : 163 ت رقم 35 .

(3) سقط من (أ) و (ب) .

(4) في (ج) لا النهاية .

(5) في (ج) وأما علامة الهداية .

(6) في (ج) شهوده بل ورؤيته .

(7) القرآن الكريم سورة آل عمران الآية 163 .

الفصل الثالث

في حق الاباحية الزناديق ، ويان غوايتهم وطريق اسيلاء الشيطان
عليهم ويان انهم أسوأ الخلق

35

بسم الله الرحمن الرحيم :

(قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (2) « سترق أمتي على نيف وسبعين فرقة :
الناجية منها واحدة » . وقال : إن أمتي تترق إلى اثنتين وسبعين فرقة ولكن الناجية منها
فرقة واحدة والباقي كلهم يهلكون ، وسب هذا الافتراق أن الأمة صارت ثلاث فرق في الأصل :
الأحسن والأسوأ والوسط .

الأحسن : هم الصوفية الذين جعلوا تمام مرادهم وشهواتهم لمرضاة الحق .
والأسوأ : هم الفساق والذين يظلمون ويشربون الخمر ويزنون ويطرحون عنان الشهوة
فيما يريدون ويتمكن لهم ، ويغرون أنفسهم بأن الله كريم رحيم ، ويعتمدون على هذا .
والوسطهم أهل الصلاح من جملة عوام الخلق .
وكل فرقة من هذه انقسمت إلى أربع وعشرين فرقة واختلطت وصارت اثنتين وسبعين
فرقة .

وأما سبب ازدياد هذه الفرق فإن الشيطان حسد الصوفية الذين هم أحسن الخلق ، وكانوا
غير مبتلين بأية شهوة أو معصية ؛ وحسد الفاسقين وقال : ولو أنتم من أسوأ الخلق إلا أن
باب الأمل مفتوح لهم ، وهو أن يعلموا خطاياهم فينظروا في أنفسهم بعين التقصان ويتوبوا ، فإذا
تابوا فإن الله تعالى يقبل التوبة ، حيث قال « وإني لغفار لمن تاب » (3) .

فلا بد من طريق للتويع هؤلاء الطيبين بالمعاصي ، وتعمية هؤلاء الفاسقين حتى لا يروا
شروعهم وآثامهم . فأراد أن يجمع بين الصوفية والفاسقين ؛ فجاء قائلا للصوفية : لماذا تترجون

(1) سقط من (ج) .

(2) سقط من (ج) .

(3) القرآن الكريم سورة طه الآية 82 .

أنفسكم بلا فائدة ؛ حيث إنَّ الله تعالى لا يحتاج لشيء من طاعتكم ولا يضره شيء من معصيتكم ، وأن الله عزَّ وجلَّ كريمٌ رحيمٌ ، والمقصود من التكاليف ضبط عوام الناس حتى لا يختصموا بسبب أموال الدنيا . والمقصود من الطاعة القربة لله تعالى وأما أنتم فلستم هذه القربة ، فزجر النفس وردع الشهوات ليس إلّا من الحمق .

فلما أثرت في قلوبهم هذه الوسوسة ، وأمدتهم الطبيعة (الحيوانية) (4) لطلب الشهوة أخذت ترسخ وتتحكم حتى أخذوا بالمعاصي وأباحوا النساء والأولاد ، وكانوا في لبس ولباس الصوفية ، وكانوا يقولون الألفاظ الموزونة ، وما علموا أنَّ الله ولو أنه رحيم (5) فإنه شديد العقاب ، وليست قربتهم بأقرب من قربة الأنبياء ودرجتهم ، وما قعد الأنبياء عن الطاعات والعبادات وما غرتهم هذه الشبهة .

فلما زرع الشيطان في قلوبهم هذه الشجرة ، انصرف عنهم وعرف بأنهم سوف لا يصلحون ولا يقبلون العلاج لأنهم أصبحوا أسراء لجميع الشهوات ، وعاشوا في زي المتصوفة ، وظنوا أنهم من المقربين إلى باب حضرة العزة .

وفي الحقيقة (6) إنهم أسوأ الخلق ، وأردأ الأمة . وعلاجهم اليأس ، ولا تفيدهم المناظرة ولا النصيحة فمن الواجب استصالحهم وقمعهم وإزاحة دمائهم ، ولا طريق سوى هذا في إصلاحهم « يفعل الله بالسيف واللسان ما لا يفعل بالبرهان (7) » .

(4) سقط من (أ) و (ب) .

(5) في (ج) إن الله كريم .

(6) في (ج) وبالحق .

(7) في (ج) بالبرهان والقرآن .

الفصل الرابع (1)

في النصيحة - سمعت ان شخصا اتاه من بخارى طالبا النصيحة ،
فصححه حجة الإسلام بهذه النصيحة . (وهذا فصل نادر وغريب) (2)

36

قال الله تعالى : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » (3) فإذا كنت طالبا لطريق السعادة فاعلم أن أصول السعادة ثلاثة : ملازمة ، ومخالفة ، وموافقة .

- ملازمة ذكر الحق تعالى في جميع الأحوال ، بحيث لا يخلو منه أي آن حتى المقدور .
- ومخالفة النفس والهوى حتى ينكسرا وتأسرهما ، فلا يقعدانك عن ملازمة الذكر فإنهما إذا غلبا أسراك وأشغلاك بما هو مرادهما وحجباك عن الحق .

- والموافقة مع حدود الشريعة والسنن والآداب في جميع الحركات والسكنات الظاهرة والتفكرات (4) الباطنية .

فإذا أعطوا توفيق هذه الثلاثة حتى صار القلب ذا كرا والجوارح كلها مطيعة وصفات النفس كلها مقهورة فقد تمت خلعة السعادة ، وحصلت أكبر الكرامات .

فبعد هذه المرحلة إذا رأيت صورة أو ظهر لك شيء أو نور فلا تقطن قلبك بها في البداية ، ولا تلتفت إليها ولا تعتبرها ايضا . وإذا ما رأيت شيئا فلا تشغل قلبك به ، لأن الأصل الذي مر ذكره معمور (والسلام) .

(1) سقط من (ج) .

(2) سقط من (ج) .

(3) القرآن الكريم سورة الذاريات الآية 55 .

(4) في (ج) التفكر والظن .

(1) الفصل الخامس (2)

ما قاله في حق شهاب الإسلام بالمشاهدة وذلك حين تخلص من
قلعة « ترمذ » ونزل بطوس

37

حضر يوم الجمعة في المسجد الجامع ، فلما أدت حجة الإسلام الصلاة قرب منه وتفقدته ، وقال : قال الله تعالى « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » (3) . إنّ ألطف الحقّ تعالى في حق أحبته وافرّة ، وأنواع مكره في حق أعدائه كثيرة : « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون » (4) لم يأخذ الله فرعون اربعمئة سنة حتى وصل في غوايته إلى أن قال : « أنا ربكم الأعلى » (5) . فقلعة ترمذ « وغيرها من ألطف الحقّ » (6) ، حيث يدعو عباده وأحبّاءه « لعلهم يرجعون » ، وبهذا السبب يتنبّهون : ومن الشقاوة الأبدية يتخلّصون . فلما رصد في حقك هذا وظهر أثر التنبيه ، فلا بدّ أن يظهر على جملة الأعضاء ، فإذا (7) ظهر على اللسان فلا يقول الاّ ذكر الحقّ ، وإذا ظهر على السمع فلا يسمع الاّ ذكر الحقّ ، وإذا استولى على القلب فيكون بأجمعه في شهود الحقّ ويعرض عمّا سوى الحقّ ، ولا يلتفت إلى سواه ، وإذا ظهر على القدم لاتكون خطاها الاّ في سبيل الحقّ .

فإذا ظهر شيء من جملة هذه الآثار على أحد الأعضاء فقد حلّ ذلك التنبيه ولا بدّ حينئذ من الاغتنام والاّ فالاستسلام للعقوبة وانتظار العذاب الأدنى « دون العذاب الأكبر » (8) وليست تلك

(1) انظرت (2) الرسالة رقم 17 .

(2) سقط من (ج) .

(3) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 21 .

(4) القرآن الكريم سورة النمل الآية 30 .

(5) القرآن الكريم سورة النازعات الآية 24 .

(6) في (ج) من ألطف الحق تعالى .

(7) في (ج) فإذا ظهر على العين لآ ترى الاّ العبرة وآيات الحق والتوحيد والالهيّة .

(8) القرآن الكريم سورة السجدة الآية 21 .

عقوبة بنار جهنم بل هي عقوبة القلب بالنار الروحاني « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة » (9)
وحجاب عن الحضرة الالهية « كلاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم » (10)
أجرى الله تعالى على اللسان والقلب كل ما هو سبب النجاة من العذابين ، ويكون سبباً
للسعادة الأبدية وقرب الحقّ (تعالى) ورضاه.(والسلام) (11) .

(9) القرآن الكريم سورة الحمزة الآيات 6 - 7 .

(10) القرآن الكريم سورة المطففين الآيات 15 - 16 .

(11) سقط من (ج) .

الفصل السادس (1)

في الحث والتحريض على الإخلاص في دعاء الاستسقاء وصلاته

38

الآفات متركمة والبيات السماوية متواترة ، والخواطر مشوشة ، والههم مشتغلة بأمور الدنيا ، والأفكار مصروفة عن طريق الحق ومقصورة على زخارف الدنيا وتحصيلها ، « ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (2) .

فلما أقبل الناس على الدنيا وأكبوا عليها أدبرت عنهم بالمرّة « كل ممنوع ممنوع والحرص محروق » . فطريق المعالجة هي المواظبة على الطاعة والعبادة ، والاشتغال بها والإعراض عن الدنيا ، فإذا اشتغلوا بالطاعة لا يكون اشتغالهم لخلاص (3) الدنيا وثناء الناس والثواب المرتجى بل يكون للحق تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » (4) . فإذا كان العمل له والطاعة خالصة إليه فيقربون من رضا الله تعالى مستأهلين للحضرة الإلهية وتحقق المناسبة بين الأرواح والروحانيات ، فحينئذ إذا دعوا الله طالبين شيئاً منه يظهر أثر الدعاء بسرعة « ادعوني أستجب لكم » (5) جاء هذا في حق هؤلاء القوم ، والاّ فالدعاء بدون هذه الشرائط تعب (6) بلا فائدة . (والسلام) .

(1) سقط من (ج) .

(2) القرآن الكريم سورة الرعد الآية 11 .

(3) في (ج) لاخلق الدنيا .

(4) القرآن الكريم سورة البينة الآية 3 .

(5) القرآن الكريم سورة غافر الآية 60 .

(6) في (ج) الفاء بلا فائدة .

النفس البين

• جملة من التعليقات الإضافية جمعناها في هذا القسم ولم نشيخها أسفل الرسائل لطولها . تجدون الاحالة اليها في أماكنها .

- 1 - نيسابور المدينة العظيمة التاريخية - واقعة بين الري وخراسان - يقول الحموي في وصفها : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء ، ومنيع العلماء ، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها . فتحها المسلمون في أيام عثمان صلحا سنة 31 هـ . وقد خرج منها من أئمة العلم من لا يحصى . وبالفارسية يقال نيسابور (معجم البلدان : ياقوت حموي ص 857 ج 4) .
- 2 - « المنحول من تعليق الأصول » ألفه في حياة استاذة « امام الحرمين » قال ابن التّجار : قرأه أبوالمعالى فقال « دفتني وأنا حيّ فهلا صبرت » أي أن كتابك غطى على كتابي . ويقول الذهبي « في أواخر المنحول للغزالي : كلام فج من إمام لا أرى نقله هنا » . (سير أعلام النبلاء للذهبي) ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب المصريّة (مؤلفات الغزالي بدوي) .
- 3 - الإمام أبوحنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (٩٠ - 699/150 - 767) . انظر عنه المراجع : مناقب أبي حنيفة للموفق : ج 1/173 - جامع اسانيد أبي حنيفة : ج 1/222 - تذكرة الحفاظ : 157/1 - الخطيب البغدادي : 1/274 - وفيات الاعيان : 5/39 - تلخيص الشافعي : 2/120 - تاريخ بغداد : 323/423 - النجوم الزاهرة : 2/12 - البداية والنهاية : 10/107 - الجواهر المضية : 1/26 - نزهة الجليس للموسري : 2/176 - دائرة المعارف الإسلامية : 1/330 - 332 .
- 4 - الإمام الشافعي : هو محمد بن إدريس (150 - 767/204 - 820) . انظر عنه المراجع : أصول الاستنباط : علي نقي الحيدري ص : 29 - الشيعة وفنون الإسلام (الفصل الخامس) : السيد حسن الصدر العاملي - اعيان الشيعة : ج 1 القسم الثاني ص : 76 : محمد الأمين - تذكرة الحفاظ : 1/329 - التهذيب 9/25 - الوفيات : 1/447 - إرشاد الارب : 6/367 - 398 - غاية النهاية : 2/95 . - صفوة الصفوة : 2/140 - تاريخ بغداد : 2/56 - 73 - حلية الاولياء : 9/63 .
- 5 - الإمام مالك : هو ابو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الاصبحي المدني ؛ (93 - 712/179 - 795) انظر عنه المراجع : - الديباج المذهب : 17 - 30 - الوفيات : 1/439 - تهذيب التهذيب : 10/5 - صفوة الصفوة : 2/99 - حلية الاولياء : 6/316 - الانتقاء : 9/47 - اللباب : 3/86 .
- 6 - المذهب المنسوب إلى زرادشت (حوالي 660 - 583 قبل الميلاد) القائل بمبدأين مبدأ الخير وهو « اهورامزدا » (Ormuzd) ومبدأ الشر وهو « أهريمن » (Ahrimon) أو الثور والظلمة .

- 7 - « مشكاة الأنوار » فيه بحث عن الفلسفة اليونانية من حيث التصوف طبع في مصر ضمن مجموع عام (1343 هـ) ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وسائر المكتبات الدولية في أوروبا وله ترجمة عبرية . وهذا ليس كتاب « مشكاة الأنوار » في لطائف الاخبار . وترجم هذا الكتاب إلى العبرية بإمحق بن يوسف القاسي . ويقول جوش : إنه كان لكتاب « مشكاة الأنوار » أثر كبير عند اليهود لا يقل عن أثره عند المسلمين (جميل صليبا : مقدمة المنقذ من الضلال ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي) .
- 8 - القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المشتهر بالياقلائي البصري المتكلم المشهور . أيد الاعتقاد الأشعري وناصر طريقته وسكن بغداد ، وصنّف تصانيف مشهورة في علم الكلام وكان في علمه واحد زمانه وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه . وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة . توفي في ذي القعدة (403 هـ) ببغداد من مؤلفاته إعجاز القرآن والانتصار وكشف أسرار الباطنية . (ابن خلكان : وفيات الأعيان 400/3 ؛ دائرة المعارف) .
- 9 - ملك المشرق والشرق وناصر الدين من الألقاب « سنجر » في أيام إمارته على خراسان (490 - 511) (تاريخ إسلام عباس اقبال) .
- 10 - جاء هذا البيان في رسالة بعث بها إلى « مجير الدولة » ص 93 الرسالة (17) كذا : لو كانت الدنيا من ذهب لا يبقى والآخرة من خرف يبقى لوجب على العاقل - ~~ابن يونس~~ - أن يذهب لا يبقى فكيف والدنيا من خرف لا يبقى والآخرة من ذهب يبقى .
- 11 - هو الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الإمام الثامن ولد في 11 ذي القعدة سنة 48 هـ في المدينة . كان المأمون قد تزوجه ابنته أم حبيب وجعله ولي عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم . استدعاه من المدينة وهو بمدينة « مرو » فآثره أحسن منزلة وجمع خواص الأولياء واختبرهم أنه نظّر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب (ع) فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا فبأنه أمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام (وكان ذلك شعار العباسيين) ورفع شعار العلويين (الآخضر) . له مناظرات مع علماء جميع الفرق بحضرة المأمون . توفي على أثر رسم دسوه إليه في آخر يوم صفر سنة 103 هـ . بمدينة طوس ودفن بجانب قبر هارون الرشيد وسميت المدينة المبنية حوالي قبره (ع) « مشهد » (ومشهد الرضا) وهي حتى يومنا هذا من أهم المدن الإيرانية ومركز خراسان . وفيه بقول أبو نواس :
- فيل لي انت احسن الناس طرا في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح يشر الدرّ في يدي مجتيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ؟ والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح لإمام كان جريل خادما لأبيه
بضول فيه أيضا :
- مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا -
(إلى آخرها) انظر وفيات الاعيان رقم 396 ؛ وسائر التراجم .

12 - جاء اسم هذه الناحية في نسخة (أ) « فروغ » وفي (ج) « طروق » وفي كتاب المقالات الرابع : للعروضي السمرقندي « فروق » . (ص 65 س 10) وهو موضع يقرب مشهد الرضا - عليه السلام - بفرسخين على طريق طهران . والآن هي قرية معتبرة وتسمى « طرق » بضم الأول والثاني . العلامة القزويني : تعليقات المقالات الرابع ص 195 .

13 - الناموس : صاحب السرّ المطلع على باطن أمرك . ويقال « فلان ناموس الأمير » أي صاحب سرّه . الوحي . الحاذق . الكتّاب . النمام . قنرة الصائد . وهي كالغرفة يمكن فيها الصائد للصيد . بيت الراهب . الشرك المكر والخداع . ماتمسس به من الاحتيال . دوية غبراء كهية الذرة عرين الأسد . ج نواميس والكلمة من السخيل .

14 - نصيحة الملوك : ألفه باللغة الفارسية وله عدة مخطوطات ، وطبع مرات ، طبعه أخيراً الأستاذ جلال هماني في طهران سنة (1315 هـ 1317 هـ ش) وترجمه إلى العربية علي بن مبارك بن موهوب للأتابك ألب فلنج في الموصل (المتوفى 595 هـ - 1199 م) ولهذه الترجمة العربية عدة عناوين أشهرها :

« التبر المسبوك في نصيحة الملوك » و « التبر المسبوك في نقل نصيحة الملوك » و « خريدة السلوك في نصيحة الملوك » طبع بالقاهرة على هامش « سراج الملوك » للطروش سنة 1306 هـ . يقول حاجي خليفة « التبر المسبوك في نصائح الملوك » - فارسي - للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ ألقه للسلطان محمد ابن ملكشاه السلجوقي ثم عرّبه بعضهم .
(مؤلفات الغزالي : بدوي)

15 - يقول الإمام الغزالي في كتابه المتقذ من الضلال ما هو نصه :

سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه :

فترخصت بيني وبين الله تعالى الاستمرار على العزلة وتعللاً بالعجز عن أظهر الحق بالحجة فقدّر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه لابتحريك من خارج . فأمر أمر الزام بالتهوؤ إلى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة وبلغ الالتزام حداً كاد ينتهي لواصررت على الخلاف ، إلى حدّ الوحشة ، فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة والكسل والاستراحة ، وطلب عزّ النفس وصرفها عن أذى الخلق ...

فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات . فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة ، والخروج من الرأوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الناصحين كذيرة متواترة ، تشهد بأنّ هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدرها الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعدنا . سبحانه بإحياء دينه على رأس كلّ مائه ، فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظنّ بسبب هذه الشهادات ، ويسرّ الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهمّ في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بلغت مدّة الغزلة إحدى عشرة سنة .

(الغزالي : المتقذ من الضلال : ص 112 - 117)

16 - المنفذ من الضلال : للغزالي . ألتفه في أواخر أيامه ، وقلّ ما نجد في الآداب العالمية مثله - من ناحية الموضوع - يشرح فيه الإمام الغزالي تطوره الفكري والسعي وراء الحقيقة ، لابل هو يترجم عن حياته الفكرية ويشرح لنا شكوكه ومباحثه في مختلف المذاهب ، قبل الوصول إلى رأى يطمئن إليه يقول « الرافعي » عنه انه كاعترافات الفيلسوف الايطالي « جيوفاني بابيني » ويقول « هماني » انه كاعترافات « جان جاك روسو » . طبع عدة مرات وترجم إلى عدة لغات وله مخطوطات متعددة (مؤلفات الغزالي : بدوي . الغزالي : أحمد فريد الرافعي « ج 1 ص 189 . غزالي نامه : جلال الدين هماني ص 262) .

17 - جاء اسم السائل في كتاب تذكرة الشعراء : دولشاه السمرقندي عند ترجمته الشاعر « الأنوري » ما هذا ترجمته : « أمّا الاستاذ اسعد المهنة فكان من فحول العلماء وناظر في مجلس السلطان محمد بن ملكشاه مع افضل العلماء محمد الغزالي . وكان علماء خراسان يأخذون جانيه ويوقروه . فأول سؤال سأله كان هذا : هل أنت على مذهب الحنفي والشافعي ؟ فأجاب الغزالي : في العقليات لي مذهب البرهان ، وفي الشريعات مذهب القرآن لا لأبي حنيفة علي خطأ ولا للشافعي علي سند فقال الاستاذ أسعد بان هذا الكلام خطأ قال محمد الغزالي : أيها العاجز لو كنت شمت من علم اليقين رائحة ، مانبت كلامي إلى الخطأ ولكنك بقيت في قيد الظاهر فأنت معذور ، ولولا احترام شيخوختك وتقدّمك لناظرتك وهديتك إلى طريق التحقيق . (انتهى) .

وهذا البيان يعارض : أولاً اعتراف الغزالي بأنّه تعهد على مشهد ابراهيم الخليل لترك المناظرة . وثانياً : قول مصنف فضائل الأنام حيث يقول : ان حجة الإسلام رجع مع أئم الاعزاز والاحترام إلى « طوس » فهناك اتاه جماعة وسالوه : أنت على مذهب من ؟ ...

وعلى كل حال بعد الإمام أسعد ألميهني أحد مخالفي الإمام الغزالي بل في رأسهم .

وإما ترجمته : هو أبو الفتح أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهني (على نقل السبكي) واسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل (على نقل ابن خلكان) الميهني النسبة إلى ميهنة القرية الواقعة بين مدينة سرخس وإبيورد . يقول السبكي : « هو الإمام الكبير النظار صاحب الطريقة المتفق على انه الفرد في علم الخلاف . تفقه على الإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني وعلى الموفق الهروي بمرور .

وقال أبو سعد بن السمعي : برع في الفقه وفاق أقرانه في حدة الخاطر والاعتراض وجرى اللسان وقهر الخصوم وكان الولدي استتابه في التدريس بالنظامية « بمرور » فتولى ذلك وتفقه عليه جماعة ثم خرج من مرو إلى غزنة وأكرم مورده وبلغ إلى لوهور (اليوم لاهور) وشاع ذكره بالفضل والنظر في تلك الديار وحصل له مبلغ من الأموال والعبيد والخدم وانصرف منها وقصد العراق فورد العراق ودرس بالنظامية بها مرتين ، فالأولى في سنة 507 هـ ثم عزل في ثامن عشر شعبان سنة 513 ، والمرة الثانية في سنة 517 في شعبان ، وعلق عليه تعليقه في الخلاف وانتشر ذكره في الاقطار ، قال ورجع من خراسان إلى العراق بعد أن أنفذ إليها من جهة السلطان محمود السلجوقي إلى « مرو » ، وكان قد قتر سوقه وما زال حاله يصعد وينزل إلى ان ادركته منيته بهمدان بعد العشرين وخمسائة (520) ، قال السمعي : سمعت ابا بكر الخطيب يقول : سمعت فقيها ملازماً للإمام أسعد الميهني قال : كنت في بيت وقت أن قرب أجله فقال لنا : أخرجوا من ههنا ، فخرجنا ، فوقفت على الباب

وتسمت ، فسمعت يلطم وجهه ويقول : يا حمرنى على ما فرطت في جنب الله ، وجعل يكي ويلطم وجهه ويردّد هذه الكلمة إلى أن مات .

(ابن خلكان : وفیات الاعيان ج 1 ص 187 . السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 203 جلال الدين هماني غزاليّ نامه ص 334 . دولتشاه سمرقندي : تذكرة الشعراء ص 95 - 96 ديوان : انوري ص 6) .

18 - كيميائي سعادت يقول السبكي : « كيمياء السعادة » بالفارسية وهو كتاب كبير يقال : أنه ترجم فيه كتاب « الاحياء » وقد رأيت بمكة .

وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سمّاه كذلك وهو عندي .
فكما أشار اليه السبكي وبشير اليه كثيرا الإمام الغزالي هو كتاب الفقه بالفارسية ولخص فيه كتاب الاحياء فجاء موجزا وافيا منه ، وهو أهم كتب الغزالي بالفارسية ، ويعتبر من أروع نصوص الفارسية في ذلك العهد . طبع مرات في ايران . لخصه الفيلسوف الشاعر افضل الدين الكاشاني (في القرن السابع) ومنها نسخة خطية في مكتبة مجلس النواب الإيراني .

(مؤلفات الغزالي : بدوي رقم 45 سبك شناسي : ملك الشعراء بها ر ج 2 ص 163) .

19 - الاقنوم بمعنى الأصل (في اليونانية) والاقانيم الثلاثة : الأب والابن وروح القدس . والنصارى مجمعون على ان الله تعالى واحد بالذات ويريدون بالاقانيم الصفات مع الذات ويعبرون عن الاقانيم بالأب والابن وروح القدس ، يريدون بالأب الذات مع الوجود والابن الذات مع العلم ويطلقون عليه اسم الكلمة ويريدون بروح القدس الذات مع الحياة (بهاء الدين العاملي : كشكول 9 ص 303) .

20 - 21 - 22 - الحلول : هو ان يكون الشيء حاصلًا في الشيء ومختصًا به بحيث تكون الإشارة إلى احدهما إشارة إلى الآخر تحقيقًا او تقديرًا (كليات ابي البقاء) وحلول الشيء في الشيء : هو ان يكون وجوده في نفسه هو عينه وجوده لذلك الشيء . ويريد به المتصوفة ان الله تعالى يحل في العارفين . (كشف اصطلاحات الفنون : للتهاوي) .

والاتحاد في الأصل : امتزاج الشئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا .

وفي عرف الصوفية : الاتحاد هو شهود الحق واتحاده به . من حيث كون كل شيء موجودًا به معدوما بنفسه ، لا من حيث ان له وجودًا خاصًا اتحد به ، فإنه محال كما يقول الغزالي. وقد جاء تفصيل الاتحاد ذلك في كتابه مشكوة الأنوار ص 115 .

ويقول الاستاذ بدوي في وصفه الشطح عند السوفية : والاتحاد بالله هنا يقصد كاملاً أعني أن بصير المحب والمحبوب شيئًا واحدًا فعلاً . سواء في الجوهر والفعل . أي في الطبيعة والمثبثة والفعل الصادر منها ، فتكون الإشارة إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر ، ثم تختفي الإشارة لانعدام المثير فلا يصير ثمت غير واحد أحد هو الكل في الكل وهنا يفرق بين الاتحاد والحلول على أساس ان الاتحاد هو شهود وجود واحد مطلق من حيث ان لما سوى الله وجودًا خاصًا يصير متحدًا بالحق . أما الحلول فيقتضي شيئين . وينقسم إلى قسمين : حلول سرياني وحلول جرياني .

والاول هو اتحاد جسمين بحيث تكون الاشارة إلى احدهما عين الاشارة إلى الآخرة كحلول ماء الورد فيسمى السارى حالا والمسرى فيه محلا .

أما الحلول الجرياني فهو عبارة عن ان يكون أحد الشبيين طرفا للآخر مثل الماء للكأس .

أما ابن تيمية فيقسم كلا من الاتحاد والحلول إلى قسمين اذ كلاهما اما مطلق او معين في شخص . وهناك من الصوفية من أنكر هذا التوحيد وقالوا بغلبة المشهود على الشاهد واستار وجود الشاهد بنور المشهود مثل استار الكواكب في ضياء الشمس واختفاء صورة الحديد المحماة وكونها في صورة النارية الغالبة عليها . ولكن القائلين بوحدة الوجود يردون هذا القول بما يردون به قول أهل الظاهر ويقولون : هذا ذوق من لم يصل إلى درجة الفناء التام .

ولم يقتصروا على سلوكهم فبقوا قاصرين . ولم يشعروا أن فيما ذهبوا إليه رائحة الحلول ، كما يدل عليه تمثيلهم بالحديدة المحماة فإن التجلي - قبل ان يفنى التعين فناء تاما ويمحى الرسم محوا كاملا - يرى الشاهد انايته باقيا والمشهود قد استولى على وجوده بعض الاستيلاء مع بقاء الانثنية بين الشاهد والمشهود فهذا لا يخلو من الحلول . وأما اذا كمل التجلي ففنى الانانية فناء تاما ثم بقيت بقاء المشهود اذ يرى نفسه في طور آخر ويجد ذاته وجدانا صريحا ساريا في الكل ومحيط بالكل بل يجدها عين الكل (رسالة في الوحدة الوجودية لبهاء الدين محمد ابن حسين بن عبد الصمد العاملي المتوفى سنة 1621/1031 ، ص 320 - 321 طبع في القاهرة في مجموعة الرسائل نشرها محي الدين الكردي سنة 1910/1328 ، شطحات الصوفية : بدوي ص 7 - 14 . مجموعة الرسائل والمسائل : ابن تيمية ص 172 - 177 .

23 - في (ج) أنا الحق وسبحاني ما أعظم شأنى ، فهذا من شطحات الصوفية وينسب إلى عدة : منهم بايزيد البسطان المتوفى 264 هـ كان جده مجوسيا ثم أسلم . وكان يخدم الامام جعفر الصادق عليه السلام . كان يقول لو نظرتهم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة وقد سئل بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ قال « بطن جائع وبدن عار » ويستدل بما جاء عنه انه اول من قال بمذهب الفناء وتاليه الكل .

(مجالس المؤمنين : قاضي نور الله القسري . شطحات الصوفية : بدوي ج 1 ص 22 - 47) .

24 جاء هذا الاستدلال ايضا في كتابه « المتخذ من الضلال » في نقضه اقوال الفلاسفة وبيان ما سرقوه من كلام اهل الحق ومنجوه بكلامهم بقوله : فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان : آفة في حق القابل ، وآفة في حق الراد اما الآفة التي في حق الراد فعظيمة : اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان ذلك الكلام إذا كان مدونا في كتبهم ، وموجبا لباطلهم ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره ، اذ لم يسمعهوا اولاً الا منهم ، فسبق إلى عقولهم الضعيفة انه باطل لأن قائله مبطل . كالذي يسمع من النصراني قول : « لا اله الا الله » عيسى روح الله ؟ فينكره ويقول : هذا كلام النصارى ولا يتوقف ريثما يتأمل ان النصراني كافر باعتبار هذا القول أو اعتبار انكاره نبوة محمد عليه الصلاة والسلام . فإن لم يكن كافرا الا باعتبار انكاره ، ينبغي أن يخالف في غير ما هو به كافر بما هو حث في نفسه ، وان كان ايضا حقا عنه : ص 83 - 84 المتخذ من الضلال .

ويقول أيضا . فلو فتحنا هذا الباب ، وتطرقنا إلى ان يهجر كل "حق" سبق إليه خاطر مبطل لزمنا ان نهجر كثيرا من الحق ، ولزمنا ان نهجر جملة آيات من آيات القرآن واخبار الرسول وحكايات السلف وكلمات الصوفية لأن صاحب كتاب « اخوان الصفاء » اوردها في كتابه مستشهد بها ومستندجا قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله ، ويتدعى ذلك إلى ان يتخرج المبطلون الحق من أيدينا بايديهم أية كتبهم ص 85 المنقذ من الضلال . 25 - هو أبو طالب المكي المتوفى 388 هـ كان صالحا مجتهدا في العبادة قيل « ان رياضته الصوفية كانت عظيمة جدا : اذ أنه هجر الطعام زمنا واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها . واما كتابه « قوت القلوب » فقد قالوا : « انه لم يصنف في الإسلام مثله في دقائق الطريقة الصوفية ، ويمتاز قوت القلوب بحرص مؤلفه واحتياطه فيما يتعلق بمذاهب الصوفية وبجمال لغته . وقد اختصره السيد جمال الدين القاسمي (ولا يزال مخطوطا في الخزانة القاسمية المصرية) وقد اخذ الغزالي عن مؤلفه وكتابه كثيرا كما يعترف في كتابه المنقذ من الضلال : وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي و... حتى أطلعت على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، (ص 97 - 98) .

26 - جرجان : بالضم (معرب كركان) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ولها تاريخ الثقه حمزة بن يزيد السهمي .
وليس بالشرق بعد ان تجاوز العراق مدينة أجمع ولا اظهر حسنا من جرجان على مقدارها وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسقاء منهم البرمكي صاحب المامون . (ص 48 - 54 ج 2 معجم البلدان . نزهة القلوب : حمد الله مستوفى ص 197) .

27 - هؤلاء من قواد جيوش السلاجقة :
برسق كان صاحب السلطان طغرل بك السلجوقي ، ولي شحنة بغداد ثم قيادة الجيوش في حلب . قتله رجل من الاسماعيلية (491 هـ - 1597 م) .

« ارغش » على ضبط عماد الكاتب و « بزغش » على ضبط ابن الاثير و « يرغش » على ضبط جامع التواريخ وزبدة التواريخ . كان صاحب جيش « سنجر السلجوقي » في حربه ضد الامير حبشي في وقعة « بوجكان » سنة 493 هـ . وظفر على الأمير وهزم جيشه . وكان « يرغش » أحد قواده الكبار . (ابن الأثير - وقائع سنة 491 ؛ وزارت درعهد سلاجقه : عباس اقبال ص 284) .

28 - اسفراين : بلدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان واسمها القديم «مهرجان» سماها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها ومهرجان قرية من أعماها . وقال البيهقي : اصلها من أسبرآين واسبر (بالباء الفارسية) هو الترس في الفارسية وآين هو العادة . فكانتهم عرفوا قديما بحمل التراس فسميت مدينتهم بذلك . وتشمل ناحيتها على اربعمائة واحد وخمسين قرية . وتوابعها تقرب من خمسين قرية (حمد الله التتوي . نزهة القلوب ص 183 ؛ معجم البلدان : باقوت الحموي ج 1 ص 247) .

29 - دامغان : بلد كبير بين الري ونيساور وهو قصبه « قوس » وبينها وبين بسطام مرحلتان . كانت قديما من أعمال خراسان والحال هي عمالة « سمنان » وواقعة على الطريق المؤدية من طهران إلى خراسان . (معجم البلدان : يا قوت الحموي ج 2 ص 539) .

30 - جاء في النسخ عنوان هذه الرسالة إلى « فخر الملك » وهذا غلط ظاهر . بل الرسالة كما اثبتناها إلى « ضياء الملك » انظر : تراجم اصحاب الرسائل ص (178) . ويدل على ذلك الالفاظ الموجودة في الرسالة والاشارة الموجودة إلى اسم « فخر الملك » انظر متن الرسالة رقم (8) ص (71) فما بعد .

31 - ذكر في رسالة بعث بها الإمام الغزالي إلى « ضياء الملك » يوصيه في حق هذا الشخص . هو أبو طاهر ابراهيم بن مظهر السبّاك الجرجاني حضر دروس إمام الحرمين الجويني مع الغزالي بنيساور . وصحب الغزالي في سفره إلى العراق والشام والحجاز وعاشه ما يقرب من عشرين سنة ، فرجع إلى موطنه « جرجان » واشتغل بالوعظ والارشاد والتدريس ، وظهر له القبول ، وبنيت له مدرسة ، لكن سرعان ما قتله أحد القذاتيين من الباطنية في سنة 513 هـ .

جاء اسمه في الطبقات الشافعية : ابراهيم بن مطهر السبّاك ويقول الاستاذ إقبال : ان هذا غلط مطبعي حيث ان اسمه جاء في زبدة التواريخ : لأبي القاسم الكاشاني ؛ وتاريخ حافظ ابرو « ما هذا نصه : وكان قتل السبّاك العالم الجرجاني على يد تحسن براخ .

وذكره الرقاعي في اصحاب الغزالي باسم « ابو طاهر ابراهيم بن الطهر الشيباني » (طبقات الشافعية : ج 4 ص 200 ؛ الغزالي : احمد فريد الرقاعي ج 2 ص 172) .

32 - الواجب العيني (او فرض العين) والواجب الكفائي (او فرض الكفاية) : الواجب العيني : ما فرض وجوبه على آحاد المكلفين ولا يسقط عن احد بفعل الآخر إياه كالصلاة . والواجب الكفائي : المكلف فيه واحد من المكلفين على البدلية ويسقط بفعل احد المكلفين وان تركه الجميع عوقبوا كلهم . وما دام لم يتم العمل في الخارج بكامله ينوي المكلف في ادائه الوجوب (كغسل الميت المسلم ودفنه) . (تختلف الأصول : الاستاذ عبده البرحروي ص 31) .

33 - وقد استدل بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - في كتابه « المنقذ من الضلال » بقوله : والعاقل يقتدي بسيد القلاء علي - رضي الله عنه - حيث قال : لاتعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله . (المنقذ من الضلال ص 84) .

34 - الحسن البصري : الامام الفصيح المشهور . كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة وفصاحة وأدب وحكمة . ابوه يسار كان مولى زيد بن ثابت الانصاري . وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ولد بالمدينة لستين بقينا من خلافة عمر . ونشأته في وادي القرى ، وتوفى بالبصرة في رجب سنة 110 .

وحينما اطلق اسم الحسن بلا قيد في كتب الشرع والعلم عرف ان المراد منه الحسن البصري . لقي جماعة كثيرة من الصحابة وسمع منهم واشتهر بفضلهم وغازاة عمله وبراعته في الفقه والأدب وأما الفصاحة فلم يكن من يضاهيه فيها .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف والحسن أفصح منه .
قال محمد بن سعد : كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً .
ومن كلامه : ذهب المعارف وبقيت المناكر . إذا أراد الله خيراً بعبد لم يشغله بأهل وولد (ووفيات
لايمان ، دائرة المعارف)

35 - بداية الهداية في الموعظة . بداية الهداية وتهذيب النفوس بالآداب الشرعية ، الغزالي طبع في سنة 1277
في مطبعة محمد شاهين وأيضاً في سنة 1287 و 1291 في بولاق . وشرحه الشيخ محمد الثوري الحاوي وسمّاه
« مراقي العبودية » وكان يدرس في السنة الأولى والثانية من جامع الأزهر . وتوجد نسخة خطية في المكتبة الوطنية
الجزائرية (معجم المطبوعات العربية ص 1411) .

تراجم
أصحاب الرسايل

أصحاب الرسائل

- الملائين :
- السلطان سنجر السلجوقي
- الوزراء :
- فخر الملك بن نظام الملك
- أحمد بن نظام الملك
- عبد الرزاق شهاب الإسلام
- أبو الفتح مجير الدولة
- الأمراء واران الدولة :
- مؤيد الدين معين الملك
- سعادت خازن
- احد قضاة المغرب
- الفقهاء وائمة الدين :
- الإمام أحمد الارغباني
- الإمام ابو المحاسن مسعود الغانمي
- الإمام عمار الدين محمد الوزان
- الإمام عباس التلوارزي

السلطان سنجر السامجوتي

أيام إمارته على خراسان (490 - 1097/511 - 1118) .
وأيام سلطته (511 - 1118/522 - 1128) .

السلطان معز الدين أبو الحارث « أحمد » سنجر بن ملكشاه . ولد في شهر رجب إحدى سني (471 - 1079/1087) على اختلاف ضبط المؤرخين ، بمدينة « سنجار » (بقر الموصلي) . وذكروا أن ذلك سبب تسميته « سنجر » ، وهذا بعيد عن الواقع فقد ذكر أبو القداء في تاريخه : أن سنجر كلمة تركية معناها « راعي الرمح » (1) . وكان لكل واحد من ولاية السلاجقة اسم قبلي واسم إسلامي ؛ فكان اسمه القبلي « سنجر » واسمه الإسلامي « أحمد » . ولم يتعرض لاسمه الإسلامي أكثر المؤرخين . وذكر في رسالة بعث بها إلى وزير المستظهر العباسي كما جاء في ابن الأثير (2) .

ولدت أمه « تاج الدين خاتون السفري » أو السفريّة للملكشاه محمدا وأخاه سنجر . فكانا شقيقين . وأمّا بركيارق فكان من أم أخرى (زيدة خاتون) وذلك ما جعله يراعي جانب أخيه محمدا ويلازمه حين خرج عليه أخوهما للأُم بركيارق ، وبقي على ولائه له مما جعله يقدمه على أبنائه لولاية العهد .

في سنة (1097/490) بعث بركيارق إلى خراسان واستوزله « كيايجير الدولة » (3) وذلك لدفع فتنة أرسلان أرغو أخيه ملكشاه الذي كان قد استولى على خراسان من سنة (485 إلى 1092/490 - 1097) . وبسطت في الظلم والقتل يده ، ومرت على تلك الناحية في هذه الفترة الوجيزة أصعب الأيام وأقساها في دهرهم ، وزاد في جوره عدم التفات بركيارق إليه لانشغاله بدفع أخيه « محمود » وعمه « تش » المدّعين للعرش .

ولكن قبل وصول سنجر إلى خراسان قتل أرسلان أرغو على يد أحد غلمانه (4) فاستولى سنجر على خراسان بدون حرب وبكل سهولة . فنصبه بركيارق على خراسان ولحق به مع وزيره فخر الملك إلى نيسابور (5) في نفس السنة (1097/490) .

فاختار سنجر لنفسه من هذا التاريخ ألقاب « الملك » و « ملك المشرق » و « ناصر الدين » (6) واتخذ مدينة « مرو » مقراً له . وقد استطاع سنجر أن يوطد نفوذه في هذه الناحية وأن يقوم بفتوحات جديدة استولى

1 (إقبال : وزارت در عهد سلاجقة ص 192)

2 (المصدر السابق ص 302 .)

3 (انظر ترجمته امفله ص : 181 .)

4 (ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 490 وإلراوندي : راحة الصدور ص 221 .)

5 (المصدر السابق حوادث سنة 500 .)

6 (انظر رسائل الغزالي المبعوثة لسنجر .)

بها على بلاد أخرى ، فتمكن من فتح ترمذ وطخارستان في سنة (1097/491) وضمّهما إلى حوزته (7) . وفي سنة (1100/493) وقعت حرب بين بركيارق وأخيه محمد ، فانهزم بركيارق وجيشه أمام أخيه محمد وجاء إلى خراسان . فخرج سنجر لدفعه نصره لأخيه محمد وغلب عليه في وقعة « بوركان » ومن هذا التاريخ خرج سنجر عن طاعة بركيارق وأظهر ولائه لأخيه محمد وقبل ولاية عهده .

وفي ذي الحجة سنة (1101/494) دخلا بغداد معا فخلعا عنها الخليفة المستظهر بالله فأجاب ملتمس محمد ابن ملكشاه وجلس لهما في قبة التاج وحضر أرباب المناصب ، وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد حسب العادة وذلك في سنة (1102/495) فأصبح محمد السلطان الشرعي وسنجر ولي عهده (8) وبقي سنجر يحترم أخاه محمداً مع ما كان له من الاستقلال ، واستطاع بالفتوح الجديدة أن يسيطر نفوذه على أقاليم ما وراء النهر في عام (1101/495) (19) وقد استولى على غزنة ولم يغزها شخص من آل سلجوق قبله (10) .

وفي ذي الحجة سنة (1116/511) توفي أخوه السلطان محمد فتولى عرش السلطنة واختار لنفسه من هذا التاريخ لقب أبيه « معز الدنيا والدين » .

فازدادت قوته وتجلب بانتصاره على ابن أخيه « محمود » (11) فبسط نفوذه على أكثر أجزاء التاريخ لقب أبيه « معز الدنيا والدين » .

فازدادت قوته وتجلت بانتصاره على ابن أخيه « محمود » (11) فبسط نفوذه على أكثر أجزاء إيران والعراق ، وصارت له الكلمة العليا في أقاليم ما وراء النهر وخراسان وطبرستان وكرمان وسجستان وأصفهان ومحمدان والري وأذربيجان وأرمينية وأرانية وبغداد والعراقين والموصل ودبار بكر ودبار ربيعة والشام والحرمين ، وصارت تضرب له السكة في هذه الأقاليم وبلادها ، وتطأ بساطه ملوكها (12) .

غير أن الحوادث والحروب لم تنقطع في عصر سنجر فقد كانت الأقاليم المجاورة له في ما وراء النهر وتركستان تغلي بالأحداث والثورات التي كانت فاتح عهد لظهور دولتين فتيين هما الدولة القره ختائية والدولة الخوارزمية ، فهذا ما شغل باله طوال أيام سلطنته ، وكان له النصر والظفر في جميع حروبه إلا في وقتين هدمتا جلاله وشوكته ، ولم يمض بعد الثانية كثيراً حتى مات .

الاولى معركة قطوان بالقرب من سمرقند في صفر سنة (1141/536) مع كورخان القره ختائي انتهت بهزيمة سنجر ووقعت زوجته أسيرة وقتل كثير من أمراءه واستولى القره ختائيون الكفّار على كثير من البلاد الإسلامية في ما وراء النهر (13) .

(7) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 491 .

(8) الباقعي : مرآة الجنان ج 3 ص 201 .

(9) ابن الأثير : الكامل حوادث 495 .

(10) الراوندي : راحة الصدور (ترجمة) ص 257 .

(11) المصدر السابق ص 258 وابن الأثير حوادث سنة 513 .

(12) الراوندي : راحة الصدور ص 260 .

(13) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 536 هـ . والراوندي : راحة الصدور ص 262 - 264 .

الثانية هي الحرب التي دارت بينه وبين طائفة الغُرّ بقرب بلخ (الدولة الخوارزمية بعد) وذلك في محرم 548 (أفريل 1153) (14) انتهت بهزيمة السلطان وجيشه ووقع سنجر أسيراً في أيديهم (15) فدخلوا بلاد ما وراء النهر وخراسان وفعلوا ما فعلوا من القتل والنهب وإيذاء العلماء وقتلهم وتدمير المنازل والقصور وتغذيب الأسرى (16) . وأما السلطان سنجر فإنه ظل أسيراً في أيدي الغُرّ ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، أي من جمادى الأولى سنة (548 أوت 1153) حتى محرم الحرام (أو رمضان) (17) (سنة 551 مارس أو أكتوبر 1156) ثم تمكن من الهرب من الأسر ووصل إلى دار ملكه « مرو » فاجتمع الناس حوله وجلس على عرشه مرة أخرى ، غير أنه قد صار شيخاً محطماً فلم يقو على تحمل ما رآه في دياره من مظاهر الفقر والتشريد والدمار فمرض ومات كمداً وحزناً بعد سبعة أشهر من خلاصه ، أي في ربيع الأول سنة (552 أفريل 1157) (18) .

وهذه قائمة وزراء سنجر في أيام إمارته وولاية عهده وسلطته

- 1 - كيايجير الدولة أبو الفتح علي بن حسين الأردستاني في سنة 490 -
 - 2 - فخر الملك نظام الدين أبو الفتح المظفر بن خواجيه نظام الملك 490 - 500
 - 3 - قوام الملك صدر الدين محمد بن فخر الملك 500 - 511
 - 4 - نظام الملك شهاب الإسلام عبد الرزاق ابن أخ نظام الملك 511 - 515
 - 5 - فخر الملك شرف الدين أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي 515 - 516
 - 6 - نظام الدين محمد بن سليمان يغوبك معز الدولة الكاشغري 516 - 518
 - 7 - معين الدين مختص الملك أحمد بن فضل بن محمود الكاشي 518 - 521
 - 8 - نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي 521 - 526
 - 9 - قوام الملك أبو القاسم الانس آبادي الدرگزيني 526 - 527
 - 10 - ناصر الدين طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك الطوسي 528 - 548
- ومعلوم ان الغزالي عاصر أربعة من الوزراء - الأولين - وراسلهم كما ان الرسائل التي بعثها لسنجر كانت بين السنوات (500 - 503/1106 - 1109) وتحتوي على كثير من النكات التاريخية حول حياته وآرائه الفلسفية والسياسية كما انها تشتمل على أجوبة وافية على اعتراض الحساد والمخالفين لأفكاره في التصوف والعرفان . وقد ظن بعض المحققين بأن الرسالة الأولى بعثها الامام الغزالي إلى السلطان محمد السلجوقي (19) مستنداً إلى ما ذكره اليافعي وغيره من مخاطبة الغزالي للسلطان السلجوقي بقوله : « وذكر بعضهم أن الامام أبا حامد

(14) الراوندي : راحة الصدور ص 268 .

(15) المصدر السابق ص 271 وابن الاثير حوادث سنة 548 .

(16) الراوندي راحة الصدور ص 273 .

(17) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 551 .

(18) اقبال : وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي ص 194 .

(19) الاستاذ هامي : غزالي نامه ص 125 وبدوي : مؤلفات الغزالي رقم 30 من مؤلفات الغزالي .

الغزالي - رحمه الله تعالى - قال للسلطان محمد بن ملك شاه : اعلم يا سلطان العالم أن بني آدم طائفتان : طائفة عقلاء نظروا إلى مشاهد حال الدنيا وتمسكوا بأمل العمر الطويل ولم ينفكروا في النفس الأخير . وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا ما يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم ، وما الذي يتزل من الدنيا إلى قبورهم وما الذي يتركونه لأقاربهم من بعدهم ويبقى عليهم وبسالة ونكالة » (20) .

ويناقض هذا أولا : رأيي للذهابين إلى أن الغزالي قضى أيام عزله - عشرين - في بلاد الشام (21) فكيف يمكن الجمع بينه وبين سلطان محمد ، وعلى فرض أنه قضى أيام عزله في موطنه طوس فيخالف أيضا ما ذكره الغزالي في رسالته الأولى أنه عاهد نفسه على مشهد إبراهيم (ع) أن لا يدخل على السلاطين .

ثانيا : اتفاق المؤرخين بأن الغزالي - بعد عودته إلى طوس لم يخرج من زاويته ومعرله حتى سنة (1106/499) حيث استأنف التدريس في نيسابور واستمر سنة واحدة وعاد إلى موطنه فكيف جمعوا بينه وبين السلطان للمخاطبة وكان مقر السلطان محمد في أصفهان . ولم يتعرض أحد من المؤرخين إلى أنه سافر إلى خراسان وبالأخص طوس .

ثالثا : أن الغزالي يخاطب الملك في ضمن الرسالة بلقب « ملك المشرق » وكان هذا من ألقاب سنجر في أيام إمارته على خراسان .

ثالثا - أن الغزالي يخاطب الملك في ضمن الرسالة بلقب « ملك المشرق » وكان هذا من ألقاب سنجر في أيام إمارته على خراسان .

رابعا : مضمون الرسالة : « بأن الظلم قد جاوز حده ، وأن أهالي طوس قد أصيبوا بكثير من الفتن واليلايا (22) واستغاثة الملك لبسط العدل وعدم مطالبة الرعية ، وإلى غير ذلك مما يقوى الظن بأن الرسالة ما كانت إلا لسنجر الذي أصبح هو الملك المستقل والمظفر والمقتدر على تلك الناحية . وأخيرا لو صحت مخاطبة الغزالي للسلطان محمد بالمضمون الذي ذكرناه فهو لا يخالف أن تكون الرسالة الأولى لسنجر لأنهما يختلفان في المضمون والموضوع .

(20) الياضي : مرآة الجنان ج 3 ص 201 وفيات الأيسان في ترجمة الغزالي .

(21) وقد كان الأستاذ هاشمي من الذاهبين إلى هذا الرأي كما أسلفنا .

(22) بشير الغزالي هذا إلى ما أحدثها فتنة أرسلان أرغو من الظلم والجور مضاعفا إلى جفاف السنة .

فخر الملك

(434 - 500/1043 - 1107)

نظام الدين قوام الملة والدولة فخر الملك أبو الفتح المظفر ابن نظام الملك الطوسي . كان أرشد أولاد أبيه . ولد سنة (434/1043) وولد بعده بستين أخوه « مؤيد الملك » (سيأتي ذكره) فتربى في حجر أبيه منذ نعومة أظفاره . وكان نظام الملك يومذاك وزيراً للأمير باجری وجغرى يك ما بين (444 - 452/1052 - 1062) . وقلما تشير المراجع إلى أحواله في عهد وزارة أبيه مع أنه أكبر أولاد نظام الملك ، ولا شك أنه كان يشغل منصباً من مناصب الدولة كسائر إخوته ، وهناك أمارات تدل أنه كان أميراً في ناحية « بلخ » (1) كما يشير إلى مدح « معزى » الشاعر المعاصر له بقوله (ما ترجمته) .

كنت أميراً وكنت تليق به فأصحبت وزيراً وأنت أهلاً له

وقتل نظام الملك سنة (485/1092) في غرب إيران وكان فخر الملك لا يزال في خراسان - وبالتخصيص في إمارة بلخ - حتى سنة (487/1094) حيث غلب ارسلان أرغو على بلخ وترمز ونيسابور وعامة خراسان (2) فعزم فخر الملك أن يتصل بالسلطان بركيارق في أصفهان طامعاً في وزارته . ولكن قبل وصوله إلى أصفهان وقع عليه الأمير « قعاج » أحد أمراء محمد بن ملكشاه - الذي كان مدعياً لسلطنة بركيارق أيضاً - وسلبه جميع أمواله ، فهرب فخر الملك منه ونجا بنفسه وجاء إلى همدان وذلك في (487/1094) وكانت همدان تحت حكم تاج الدولة تنش ابن آلب ارسلان أي عم بركيارق ومدعيه الآخر في السلطنة ، فصادفه تنش بها فأراد قتله لميله إلى بركيارق . ولكن بعض الأمراء (باغسيان) شفعوا له عنده وطلبوا من تنش أن يستوزره خرمه أبيه نظام الملك ومكانته عند الناس وميلهم إلى بيته ففعل ، وبعثه إلى بغداد ليطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله ، فجاء إلى بغداد ولزم الخدمة بالديوان وألح في طلبها فأجيب إلى ذلك بعد أن سمعوا أن بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تنش (3) . وبقي فخر الملك في وزارة « تنش » حتى 17 صفر سنة (488/1095) حيث غلب جيش بركيارق مع وزيره « مؤيد الملك » (أخي فخر الملك) على تنش في القرب من « الري » (داشلوا) وقتل تنش في الحرب ووقع فخر الملك أسيراً (4) ولكن ما لبث أن تعلقوا عنه فأقام في الري . وهنا حدث حادث آخر ، ولذكروه لابد أن نرجع قليلاً إلى الوفاء وذلك حين فوّض بركيارق وزارته لمؤيد الملك بن نظام الملك (ذي الحجة

(1) اقبال : وزارت در عهد سلاجقة ص 203 .

(2) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 490 .

(3) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 487 .

(4) المصدر السابق : حوادث سنة 488 .

(487 ديسمبر 1094) فاستعان مؤيد الملك من مجد الملك القمي المستوفى - وكان مقيما في أصفهان - ففوّض إليه كثيرا من أموره . ولكن مجد الملك كان طموحا يضمّر الاستيلاء على الوزارة نفسها فوجد لها بعيدة وصعبة الوصول مع وجود وزير لائق وصاحب كفاءة كؤيد الملك ؛ لأنه كان أكفأ أولاد نظام الملك ، فاختد باستمالة أعدائه وورثائه والتحالّف معهم واستعان من زبيدة خاتون أم بركيارق حيث لم تكن لها علاقة حسنة مع مؤيد الملك . وعرف مجد الملك التنافس الموجود بين مؤيد الملك وفخر الملك على حيازة منصب وزارة بركيارق . والخلاف والتباعد الموجود بينهما في موضوع ما ترك نظام الملك من الإرث فجاء يشوّق فخر الملك لأخذ منصب أخيه ، فقدّم للملك بركيارق الهدايا الضخمة (5) وأعانته أيضا زبيدة خاتون فأخذت توسوس لبركيارق إلى أن أمر السلطان بعزل وحبس مؤيد الملك واستوزر مكانه فخر الملك (6) . واستقل مجد الملك في الظاهر بالاستيلاء ووزارة زبيدة خاتون ولكن غلب في المعنى على الوزارة وبقي فخر الملك صورة بلا معنى وهو أسير تصرفات مجد الملك وتابع رأيه وليس له من رسوم الوزارة إلاّ علامته (7) حتى سنة (1097/490) حيث جاء بركيارق مع وزيره فخر الملك إلى نيسابور - كما مرّ في ترجمة سنجر - فعزل فخر الملك من منصبه وأقام مجد الملك القمي مقامه فنال مجد الملك ما كان يهواه منذ سنين ويوطد له الوسائل والحدائق .

فانزوى فخر الملك في نيسابور (8) ولكن ما لبث كثيرا حتى استوزره سنجر مكان الوزير « مجير الدولة الأردستاني » في نفس السنة (1097/490) فبقي في وزارة سنجر عشر سنين أي حتى عاشوراء سنة (500 سبتمبر 1106) حيث قتل على يد أحد أفراد الباطنية . وكان له من العمر ست وستون سنة وقد ذكر ابن الأثير تفصيل مقتله في حوادث سنة 500 .

الحوادث المهمة في أيام وزارته

- 1 - وقعة « بوزكان » في سنة (1100/493) بين سنجر و « أمير داد الحشي » التي انتهت بغلبة سنجر وقتل الأمير الحشي .
- 2 - الحروب التي وقعت بين بركيارق والأمير إسماعيل الكليكي - أصحاب الباطنية - والتي تمت بهزيمة بركيارق .
- 3 - ومن الوقائع المهمة في زمان وزارته لسنجر هي الحروب التي وقعت بين سنجر والإسماعيلية واضجوم على قلاعهم في قمستان وطبرستان ما بين سنوات (494 - 1101/497 - 1104) وإعطائهم الأمان تحت شرائط خاصة (9) . هذه بعض الحوادث المهمة في زمانه وقلما تثير المراجع إلى دور هذا الوزير في هذه

(5) الراوندي : راحة الصدور ص 220 .

(6) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 488 .

(7) عماد الكاتب : تاريخ آل سلجوق ص 79 - 80 .

(8) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 500 .

(9) اقبال : وزلت در عهد صلاحقة ص 215 .

الحوادث . ولاشك أنه لعب دورا هاما في تلك الوقائع لأنه كان من الركبان وأصحاب السيوف إضافة إلى مقدرته السياسية . ويشير إلى كثير من ذلك الشاعر والمادح له « معزى » في قصائد متعددة . وكذلك نجد أن الامام الغزالي يشير إلى الوضع الراهن في كثير من نواحي خراسان في أيام وزارة فخر الملك ويبحث عليه في رسائله الاربع التي بعثها له في الاقتداء بسيرة نظام الملك في بسط العدل وقمع الظلم والنظر في حال الرعية وتفويض أمر القضاء إلى من له الأهلية ويوصيه في حق زميله وصاحب سفره الإمام إبراهيم بن المطهر السبّاك . وتبين هذه الرسائل مدى الصلة والروابط العميقة بين الغزالي وفخر الملك .

ضياء الملك

وزير السلطان محمد السلجوقي (500 - 504/1107 - 1111) .

ووزير المسترشد بالله العباسي (516 - 517/1122 - 1123) .

أبو النصر أحمد بن نظام الملك ، ولد في بلخ وتربى في خدمة أبيه في أصفهان وانزوى بعد وفاة نظام الملك في همدان . ولم يشغل في أي منصب من مناصب الدولة حتى سنة (500/1107) في هذه السنة أخذ طريقه إلى سلطان محمد ليقدّم له الشكوى عن رئيس همدان (الشريف مرتضى السيد أبوهشام زيد العلوي الحسيني حفيد الصاحب بن عباد) الذي كان يتصدّى منصب الرئاسة في همدان منذ سنة (455/1063) وأصبح ذا مقدرة ومكانة ، وكان السلطان في طريقه إلى أصفهان فرحب بقدم الأمير أبي النصر أحمد بن نظام الملك ورفاء لعهد أبيه وخدماته ونظراً لنفوذ بيت النظامي في المجتمع استوزره ولقبه باللقاب أبيه « قوام الدين » و « صدر الإسلام » و « نظام الملك » (1) . وكان لقبه قبل الوزارة « ضياء الملك » كما جاء في مؤلفات كثير من معاصريه (2) ولكن ابن الأثير وبعض المؤرخين (3) ذكروا لقبه « نظام الملك الثاني » فقط . وسكت بعض المؤرخين عن كلا اللقبين كمؤلف تجارب السلف وزبدة التواريخ وتاريخ بيهق حيث ذكروا اسمه : « أبو النصر قوام الدين أحمد بن نظام الملك » كما هو الحال عند جامع فضائل الانام .

ويرجع سبب اشتهاار هذا الوزير إلى حروبه مع الباطنية أصحاب « قلعة الموت » وشدة بأسه عليهم فقد أرسله السلطان محمد إليهم بعد ما كثرت الشكايات منهم ، وكانوا متهمين أيضا باغتيال نظام الملك . فجاءهم وحاصرهم من الربيع حتى الخريف سنة (503/1109) واشتد عليهم وقتل مواشيهم وأحرق الزرع والأشجار . ولكن لم يتمكن من الاستيلاء على القلعة وهدمها واضطر إلى الرجوع لشدة البرد والأمطار (4) . وهذا القاضي الأرجاني يمدح نظام الملك لمحاربه مع الاسماعيلية بقصيدة غراء مطلعها :

(1) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 500 .

(2) جاء اسمه في مجمل التواريخ القصص (تاريخ تأليفه 520) وفي كتاب نفقة المصنوع : لاثوروان بن خالد المعاصر لهذا الوزير : « ضياء الملك » انظر : اقبال : وزارت درعهد سلاجقة ص 163 .

(3) جبرني : تجهانكشاج 3 ص 11 وزبدة التواريخ : كاشي ص 80 وابن الاثير : الكامل حوادث سنة 503 .

(4) الرواندي : راحة الصدور ص 234 .

قلب المشوق بأن ياعد أجدر
فلذا عصاه فالأحبة أغدر
إلى قوله :

وعلى النظام بن النظام مهابة
وعليه من سيما أيه شواهد
ولئن تأخر في الوزارة عصره
وتيمن السلطان منه بصاحب
لما رأى فصح الدواة بكفه
أو كان ملك محمد بك عامرا
فأفخر فدين محمد بك أعمر (6)

وهذه القصيدة تعتبر من أقدم الوثائق التاريخية في تاريخ حياة حسن الصباح - زعيمهم - وكثير من عقائدهم . وهناك أيضا قصيدة أخرى من الطغرائي الأصقاني (صاحب اللامية) في مدح السلطان محمد لقيامه ومحاربه ضد الباطنية .

ولكن الإسماعيلية دبروا مؤامرة لاغتيال الوزير فبعثوا إليه أحد القدائين (حسين القهستاني) لينتقم لهم عما فعله بهم ، ففي شهر شعبان من نفس السنة حين توجه الوزير إلى الجامع في بغداد وثب عليه الباطني وضربه بالسكين فجرحه في رقبته جرحا بليغا وبقي مريضا مدة ثم برأ (7) ، أو أن الضرب أدى إلى شلل عضو منه (8) .

وبقي في وزارة سلطان محمد حتى سنة (504/1111) حيث أمر بعزله . ويقول عماد الكاتب (9) إنه أصبح مسجوناً حتى سنة (516/1122) أي اثني عشرة سنة ولكن ابن الأثير يذكر بأنه جاء بعد عزله إلى بغداد وأقام في بيت له هناك .

وفي شهر جمادى الأولى من سنة (516/جويلية 1122) أمر الخليفة المسترشد بالله بعزل وزيره - جلال الدين بن صدقة - فأرسل السلطان محمود بن محمد السلجوقي إلى المسترشد بالله في معنى وزارة أحمد بن نظام الملك وكان أخوه عثمان بن نظام الملك وزيرا للسلطان محمود (وكان الطلب بإشارة منه) .

فأجاب الخليفة إلى ذلك واستوزر أحمد بن نظام الملك في شعبان (10) سنة (516/أكتوبر 1122) وبقي في منصبه هذا إلى سنة (517/1123) حيث أمر السلطان محمود بقتل عثمان بن نظام الملك (وذلك سعاية من الوزير أبي طاهر القمي وهو عدو البيت النظامي) فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الملك

5) ديوان : الأرجاني ص 178 - 180 .

6) ديوان : الأرجاني ص 180 - 182 .

7) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 503 .

8) جويني : جهانكشاه ج 3 ص 206 .

9) عماد الكاتب : ص 102 (زبدة النصر ونخبة العصر : البنداري) .

10) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 516 وفي شهر رمضان على حسب نقل صاحب نجارب السلف ص 301 .

أحمد من وزارته وأعاد أبا علي بن صدقة إلى الوزارة (11) فانتزل عن الحياة السياسية . وأقام في زاوية من زوايا المدرسة النظامية ببغداد وكان فيها حتى توفي سنة (544/1149) (12) .

الرسالة التبادلة بين الوزير نظام الملك وأحمد والإمام الغزالي

- الأولى : رسالة بعث بها الإمام الغزالي إلى نظام الملك (الثاني) وجاء عنوانها في فضائل الأنام إلى فخر الملك . وفي ذلك اشتباه صريح حيث إنّ الألقاب الموجودة في الرسالة ليست لأنظام الملك الثاني .

يبدأها الغزالي - كما هي عادته - بالوعظ والتذكير والتنبيه وأخذ العبرة من الماضين مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويختتمها بقوله : إنّما وظيفة العلماء من بعد الدعاء الإرشاد إلى مصالح العباد « فيوصيه في حق الإمام إبراهيم السبّاك الجرجاني زميله في أيام الدراسة وصاحبه في السفر وأيام العزلة .

- الثانية : الرسالة التي بعث بها الوزير نظام الملك أحمد للإمام الغزالي بعد وفاة الإمام كياهراسي الطبري (توفي في مستهل محرم 504/1110) (13) وكان مدرسا في نظامية بغداد يظلمه على طلب الخليفة والسلطان محمد العودة إلى بغداد للاشتغال بالتدريس في المدرسة النظامية .

وفي نفس الوقت بعث برسالتين متابعتين إلى وزير خراسان محمد بن فخر الملك (وزير سنجر) لاستنهاض حجة الإسلام وتدارك وسائل سفره إلى بغداد . (14)

الثالثة : جواب حجة الإسلام عن رسالة الوزير أحمد بن نظام الملك ، وهي من أبلغ رسائله ويعتذر فيها بأعذار شرعية عن قبول هذا الطلب وفيها نكات تاريخية مهمة ، يختتمها بقوله : « حان وقت الوداع لا السفر إلى العراق » .

نجد خلاصة من هذه الرسالة في المراجع الآتية :

- 1 - مجالس المؤمنين : قاضي نور الله التستري .
- 2 - مجمع الانشاء : حيدر بن أبي القاسم .
- 3 - روضات الجنات : ميرزا محمد باقر اصفهاني .
- 4 - تذكرة الشعراء : دولتشاه سمرقندي .

ولكن جاء في هذا الأخير نقلا عن تاريخ المستظهر أن مؤيد الملك دعا الإمام الغزالي للتدريس في نظامية بغداد (15) وهذا غلط صريح وقع فيه بعض المتأخرين أيضا . وقد أورد صبري الكردي في مقدمة نشره لمعيار العلم (16) هذا الجواب مع الترجمة العربية وسماها ترجمة حرفية . وليست كما ادعى ولكنه

(11) المصدر السابق : حوادث سنة 517 .

(12) المصدر السابق : حوادث سنة 544 .

(13) ابن تليكان : الاعيان ج 2 ص 448 .

(14) دولتشاه سمرقندي : تذكرة الشعراء في ترجمة محمود بن آدم الساني ص 111 . انظر في الرسائل .

(15) دولتشاه سمرقندي : تذكرة الشعراء في ترجمة محمود بن آدم الساني ص 111 .

(16) ص 12 طبع القاهرة سنة 1346 هـ . 1927 م .

يتفق في معناه مع النص الفارسي ، خصوصا في القسم الأخير منه الذي يقابل النص الفارسي فعلا . وقد عدّ الأستاذ بدوي هذه الرسالة إحدى مؤلفات الغزالي (كما فعل بويج قبله) ويقول : بعد نقله ترجمة الكردي « لاتعلم من أين نقله الكردي لأنه لم يذكر له مصدرا ولا نعلم بالتالي هل الكتاب الذي كتبه الغزالي بالعربية أو الفارسية » . (17)

يقول بويج : « إنّه لو صحّ هذا الكتاب لوجب وضعه في هذا الموضع من الترتيب الزمني التاريخي لمؤلفات الغزالي لأن مؤيد الملك أسر وقتل في جمادى الآخرة سنة (494 افريل 1107) وهو لم يبلغ المترلة التي تخوله دعوة الغزالي إلاّ بعد انتصار رئيسه بركيارق في رجب سنة (493 ماي 1100) . صحيح أنّه كان قبل ذلك وزيرا لبركيارق من ذي الحجة سنة (487 - 488 ديسمبر 1094 - 1095) لكن الغزالي كان في ذلك الوقت يدرّس فعلا في النظامية ببغداد » (18) .

ولا بد أن نلاحظ في هذا البيان أن مؤيد الملك لم تكن مدة وزارته لبركيارق أكثر من ثلاثة أشهر أي من ذي الحجة (487) إلى صفر 488 ديسمبر 1094 إلى فيفري 1095) فبعد ما عزله بركيارق وأمر بحبه (بتواطؤ من مجد الملك القمي وفخر الملك وزبيدة خاتون) تخلّص بعد مدة قليلة (19) وانعزل في بغداد حتى سنة (490/1097) حيث أخذ بالتأمر ضد بركيارق بتحريكه الأمير « أنر » وخروجه على بركيارق ولم ينجح في هذه المؤامرة حيث قتل أنر على يد أحد افراده (20) فالتحق بمحمد بن ملكشاه وحشّه على طلب الملك وحظي بوزارته . وفي شوال سنة (392 سبتمبر 1099) خرج معه لمقابلة بركيارق (21) وصادف هذا ثورة بعض الأمراء وقواد جيش بركيارق على مجد الملك القمي وزيره وهجموا عليه فالتجأ إلى مخيم السلطان فدخلوا على قاعة السلطان وأخرجوه مسكينين بلحيته وقطعوه إربا إربا (22) ونجا السلطان بنفسه وذهب لجمع الجند إلى خراسان وجرجان ، فسار محمد مع وزيره مؤيد الملك حتى دخلا مدينة الري وكانت زبيدة خاتون أم بركيارق قد تخلّفت فيها فقبض عليها مؤيد الملك وأمر بقتلها (23) ثم توجه إلى همدان وأعلن نفسه سلطانا على الدولة السلجوقية .

وفي جمادى الآخرة سنة (494 افريل 1101) أقبل إليها سلطان بركيارق وقد جمع كثيرا من الجند من خراسان وجرجان فلما تلاقي الجيشان دارت الهزيمة على السلطان محمد ، ووقع مؤيد الملك في الأسر وقطله

(17) بدوي : مؤلفات الغزالي رقم 30 .

(18) BOUYGES: Des œuvres de Al-Ghazali p. 44 n° 30

(19) اقبال : وزارت در عهد سلاجقه ص 128 .

(20) الرواندي : راحة الصدور (ترجمة) ص 223 .

(21) المصدر السابق ص 224 .

(22) المصدر السابق ص 225 .

(23) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة 492 .

بركيارق بيده بعد مدّة قليلة (24) . وقد وقعت بين السلطان محمد والسلطان بركيارق خمس معارك كانت هذه الثانية ، والأخيرة منها انتهت بفوز محمد وهزيمة بركيارق .
فبناء على هذا وعلى فرض انتصار بركيارق على معارضيه في سنة (1100/493) كما يقول بويج نرى أن مؤيد الملك لم يكن وزيرا لبركيارق في هذا التاريخ . فالرسالة لا تكون إلا لأحمد بن نظام الملك كما أثبتتها جامع فضائل الآنام .

(24) الرواندي : راحة المصنوع ص 226 - 228 .

مَجْمَعَةُ الدَّوَلَةِ

كيا مجير الدولة مجير الملك أبو الفتح علي بن حسين الاردستاني. جاء اسمه في صدر الرسائل الثلاث « مجير الدين » ولاشك أنه تحريف عن مجير الدولة . وقد أشار إلى لقبه هذا (مجير الدولة) الإمام الغزالي في ضمن رساليتين من هذه الثلاث ، وأثبت اسمه ابن الأثير في حوادث سنة 497 « المجير أبو الفتح الطغراني » . وعلى كل حال تنطبق الأوصاف على مجير الدولة . ويستفاد من قصائد الشاعر الفارسي المادح له « معزى » بأن كان له لقبان :

1 - « مجير الدولة » كما جاء في هذا البيت :

صبر وخرسندی دهادهایزد « مجير الدولة » را بر دروغ درد فرزند عزیز نامدار (1)
ترجمته :

وإني الله « مجير الدولة » بالصبر والطمأنينة بمصابه وألمه على ابنه العزيز الشهير
وقال :

وزير عالم عادل عميد ملك ملك (مجير دولت) أبو الفتح اصل فتح وظفر
2 - « مجير الملك » كما جاء في هذا البيت :

صاحب الادوات « مجير الملك » أن كز عدل اوست ملك ودولت را ثبات ودين وملست را قرار (2)
الترجمة

الصاحب العادل مجير الملك الذي يعدله توطد الملك ولدولة واستقر الدين والملة .

كان على عهد السلطان ملكشاه نائباً عن الوزير « تاج الملك » في ديوان الطغراء والانشاء وذلك بعد ما توفي في سنة (1083/476) الأديب كمال الملك أبو جعفر محمد بن أحمد المختار الزوزني الطغراني . ويصفه عماد الكاتب بقوله : وصار كاتب الرسائل وكان أوجد عصره ، ونسيج وحده وكان رجلاً سكيناً ، حسن السمات كثير الادوات ، موصوفاً بالثبات ، فغير تاج الملك ببهجته المقبولة ، وأصفى السلطان إليه وأضاع المملكة جميعها وبدد نظامها النظامي « (3) .

وفي سنة (1097/490) بعث السلطان بركيارق أخاه « سنجر » لحكومة خراسان - كما أسلفنا في ترجمته - واستوزر له « مجير الطغراني » (4) فكان بذلك أول وزير لسنجر ولكن لم تكن مدة وزارته أكثر من

(1) اقبال : وزارت در عهد سلاجقة ص 196 نقلاً عن ديوان « معزى » .

(2) المصدر السابق ص 197 .

(3) البتداوي : زبدة التبرير ونخبة العصر ص 58 .

(4) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 490 .

بضعة أشهر ، أي حتى مجي بركيارق ووزيره فخر الملك إلى خراسان حيث أمر بركيارق بعزل فخر الملك في نيشابور كما أسلفنا في ترجمة فخر الملك ، وبعد مدة قليلة عزل سنجر وزيره « مجير الدولة » واستوزر « فخر الملك » ولكن فوّض ديوان الطغراء إلى مجير الدولة ، فبقي في هذه الرئاسة حتى سنة (497/1104) حيث غضب عليه سنجر وعزله وإراد قتله . وكان السبب في ذلك كما يقول ابن الأثير : أن الأمير بزغش « وهو اصفهسلار » العسكر السنجري ألقى إليه مطلقاً فيه : لايتم لك أمر مع هذا السلطان ، ووقع إلى سنجر لايتم لك أمر مع الأمير « بزغش » مع كثرة جموعه ، فجمع بزغش أصحاب العمام وعرض عليهم الملقطين فاتفقوا على كاتب الطغرائي وظهرت عليه وقبض سنجر على الطغرائي وإراد قتله فمنعه بزغش وطلب له حتى خدمته فأبعده إلى غزنة « (5) .

رسائل الامام الغزالي إلى مجير الدولة

- الرسالة الاولى : بعثها لتهنئته بالوزارة وهي من خيرة رسائل الإمام الغزالي ابتدأها بتفسير الآية الشريفة « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك » مبيّناً فيها الذين حرموا من أسرار هذه الآية والذين فازوا وسعدوا بالعمل بها وبين درجات السعادة ، ثم معنى الاعراض عن الدنيا . وأقسام المعارضين عنها والمقصد الأعلى والاشرف لطالبي الحقيقة . ثم يشير على مجير الدولة في التأمل في هذه المطالب الدقيقة العرفانية والدينية بقوله : إن كل فصل من هذا سر من أسرار الدين عين العلماء المعتادة عن ملاحظة مبادئه قاصرة ثم يلفت نظر الوزير إلى الوضع الراهن الموجود في طوس وخراسان وذلك بعد فتنه أرسلان أرغو وغلبلته على خراسان التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات ، ثم يطلب منه إثبات عميد طوس في منصبه وكان هذا العميد من البيت النظامي (ولكن ما سمّاه) كما يشير عليه في تعيين نائبه ، وقد بعث مع الرسالة أحد خواصه لشرح الوضع وطلب أداء ما لم تتضمنه الرسالة .

- الرسالة الثانية ابتدأها كالعادة بالآيات والأحاديث . والحث على تهئية زاد الآخرة وإن بغيت خلق الله لأن الظلم قد جاوز حدّه وأن يغيت نفسه ويتخلّص من الصفات البشرية وخاصة العادة السيئة المنتشرة في ذلك العهد وهي التعشق بالعلماء الترك ، ثم يذكر علل إقبال الناس على الدنيا وإدبارهم عن الآخرة وكيفية علاج كل واحدة منها وبختها بقوله : قد تحقق لنا بالبرهان أن حقيقة الإنسان البقاء الأبدي وليس للعدم إليه سبيل أصلاً ونجاة في التحرر من الصفات البشرية وسعادته في حقيقة المعرفة لحضرة الربوبية .

الرسالة الثالثة : في معنى رعاية الانصاف والعدل وأخذ العبرة من الوزراء الماضين والإشارة إلى أحوالهم وعاقبة أمرهم ، والإشارة بأنّه مبتلى بما لم يتبل به غيره وأنه لم يكن في زمان أي وزير مثل هذا الظلم والخراب ، فعليه لزوماً القيام بقمع الظلم ومنع أيادي الحكام الظالمين والتخفيف من وضع الضرائب على الرعية . ويختتمها بقوله : قد انقطع الأمل من تلافي الماضي ولكن لم ينقطع من شفقة وعطف المجير .

(٥) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة 497 .

شهاب الإسلام

أبو المحاسن . (وقيل ابوالمعالى) (1) شمس الدين ، قوام الدين ، نظام الملك ، شهاب الإسلام عبد الرزاق ابن عبد الله بن علي بن إسماعيل الطوسي . المعروف بالشهاب الوزير ابن أخ نظام الملك الكبير ، كان والده من أشهر فقهاء خراسان وقد تصدر منصب القضاء وشهر « بالفقيه الأجل » وتوفي سنة (1106/499) في مدينة « سرخس » . ولد شهاب الإسلام في سنة (1067/459) بنيسابور ، ودرس وتفقّه على إمام الحرمين الجويني وأخذ يفتي على رأي إمام الحرمين ، وكان إمام نيسابور في عصره ومن مشاهير العلماء والرؤساء وولي التدريس بنظامية نيسابور مدة (2) وارتفع شأنه إلى أن استوزره سلطان سنجر في سنة (1117/511) وذلك بعد ما قتل وزيره محمد بن فخر الملك بن نظام الملك في ذي الحجة من نفس السنة (3) وصادف ذلك أيضا وفاة السلطان محمد ابن ملكشاه فأصبح أول وزير لسلطان سنجر في عهد استقلاله بالسلطنة .

واتخذ لنفسه ألقاب نظام الملك الكبير أي : « قوام الدين » و « نظام الملك » .

هذه خلاصة حياة شهاب الإسلام ، وأما معلوماتنا عن حياته قبل الوزارة وبعدها من حيث شخصيته الاجتماعية والسياسية قليلة جدا وهي تلتخص كما يلي :

1 - جاء ذكره في كتاب المقالات الأربع للعروضي السمرقندي في أحوال « فردوسي » الشاعر الإيراني الكبير . نقل العروضي رواية عن الشاعر « معزى » وهو عن الأمير عبد الرزاق (أي شهاب الإسلام) وفيه سمّاه أميراً (4) .

2 - ما جاء في كتاب « نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري (يرجع تأليفه إلى سنة 586 - 1190/661 - 1263) نقلا عما جاء في كتاب « تمتة صوان الحكمة » مع تصرف قليل وهذا نصه :

« عمر الخيامي النيسابوري الآباء والبلاد وكان تلو أبي علي في أجزاء علوم الحكمة ... وكان عالما بالفقه واللغة والتواريخ .

(1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 254 .

(2) المصدر السابق ج 4 ص 254 .

(3) عماد الكاتب : ص 265 .

(4) عروضي سمرقندي : جهاز مقالة (فارسي) ص 82 .

ودخل الخيام على الوزير عبد الرزاق (أي شهاب الإسلام) وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالي ، وكانا يشكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير : على الخبر سقنا ، فسأل الخيامي ، فذكر اختلاف القراء ، وعلل كل واحد منها وذكر الشواهد وعللها وفضل وجهها واحدا . فقال الغزالي : كثر الله في العلماء مثلك . فأنى ما ظننت ان احدا يحفظ ذلك من القراء فضلا عن واحد من الحكماء (5) .

3 - جاء خبره في رجال ميرزا محمد الاسترابادي (6) وروضاة الجنات لميرزا محمد باقر الخونساري ، (7) فذكره متقدين ومشعين إفتاءه في قتل العالم المتكلم على مذهب الشيعة (الاثني عشرية) أبي علي محمد ابن أحمد بن علي القتال النيسابوري صاحب كتاب « روضة الواعظين » (من أقدم كتب الشيعة في ذكر مصائب آل بيت الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وما جرى عليهم من القتل والسجن والنشريد والمحن) حيث نفذ فتواه في حقه وأعدم في نيسابور وذلك قبل وزارته لسنجر ، ثم لم يلبث طويلا حتى ألقي في السجن بقعدة ترمذ ، ولا تعرف لماذا سجن ومتى سجن وكيف تخلّص وفي أي زمان .

جاء في تاريخ يهقي بأنه كان مسجوناً في قلعة ترمذ حين وفاة أبيه الفقيه الاجل في ذي القعدة سنة (499 جويلية 1106) (8) . وتوجد رسالتان من الإمام الغزالي تختص بتهنئة شهاب الإسلام لتخلّصه من السجن قبل وفاة الغزالي ، أي سنة (505/1112) ، كما ان رسائل الغزالي تخص الفترة التي سبقت وزارته .

رسائل الإمام الغزالي إلى شهاب الإسلام

1 - المقالة الشفاهية التي ألفها يوم الجمعة بعد الصلاة في مسجد الجامع بطوس مخاطبا شهاب الإسلام ومذكرا بأنّ اللّايا.تزل نتيجة للمعاصي ولكنها كفارة للذنوب لقوله تعالى « ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » سجلتها جامع فضائل الأنام في ضمن المواعظ والنصائح المتفرقة .

2 - الرسالة التي بعثها اليه بتهنئة لخلاصه من سجن ترمذ وبتهنئة إلى معرفة قدر النعمة وضرورة الاتكال والاعتماد على فضل الله ونعمته لا على حماية المخلوق وشفاعته .

3 - رسالة بعثها اليه مقفرا فيها الحديث المروي « داووا مرضاكم بالصدقة » ، وتقسم المرض إلى مرض القلب ومرض القلب وعلائم كل واحد منهما واثبات ان مرض القلب أخطر وأكثر من مرض الجسم وطريقة علاج أمراض القلب مستندا بالآيات والأحاديث . وفي اختتام يوصيه في حقّ أحد العرفاء ويشير بأنّه من جملة الأطباء الإلهيين وأرباب القلوب ويطلب منه أن يسعى في طمأنته والقيام بإعانة ماديا .

4 - رسالة مبسوطة يبدأها بذكر حقيقة النعمة ومعرفتها ثم يفسر الآية الشريفة « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » ويقول إنّ المقاعد اثنان : ثم يشير إلى سيرة عمر بن عبد العزيز طالبا من شهاب الإسلام المضي على سيرته ، وخاتما رسالته بتوصيته في حقّ أحد الصوفية ، الذي عرفه عليه الشيخ أبو بكر بن عبد الله الذي هو من جملة أوتاد الأرض .

(5) عبد الوهاب القزويني : تعليقات جهاز مقاله ص 308 - 321 .

(6) ص 280 .

(7) ص 593 - 594 .

(8) اقبال : وزارت در عهد سلاطين سلجوقي ص 243 .

معين الملك

أبو القاسم المعالي مؤيد الدين علي . معين الملك ، ناصح الدولة ابن سعيد العميدي . كان نائباً للوزير فخر الملك في أيام وزارته و كانت ألقابه في هذا العهد « ناصح الدولة » و « مؤيد الدين » . ويستفاد من قصائد أمير الشعراء « معزى » بأنه كان له هذا المنصب (نيابة الوزارة) منذ عهد نظام الملك ، كما أقره عليه فخر الملك واستعان به . ولما قتل فخر الملك سنة (500/ 1107) على يد أحد أفراد الباطنية ، استوزر سنجر ابنه محمد ابن فخر الملك وكان معين الملك ايضاً نائباً له .

وجاء ذكره في تاريخ يهين كما يلي : « معين الملك مؤيد الدين أبو القاسم علي بن سعيد أبي سعد بن أبي منصور أحمد بن محمد العميد . كان نائباً لصدر الدين محمد بن فخر الملك نائباً ذا مقدرة ، وهو من بيت « العميدي » الذي كان رجالهم في خراسان أصحاب المناصب العالية . وقد ألفت كثير من الكتب في فضائلهم ، منها كتاب نظم السلك في مدائح معين الملك القه الغانمي (1) لم يعدّ البيهقي بعض رجال البيت العميدي من الذين كان لهم شأن أو منصب في الدولة منهم ابن أخ « معين الملك » وهو عزّ الملك سعيد ابن العميد أبو علي الحسين بن سعيد الذي كان يشغل على التوالي منصب الأشراف ثم الوالي على طوس (2) أو متولياً للأوقاف على ما ذكر المبكي في الطبقات (3) ويوجد اسمه مرتين في رسائل الإمام الغزالي بعنوان « عميد طوس » .

معين الملك والغزالي

1 - جاء ذكره في تعليق جامع فضائل الأتام على الرسالة التي كتبها الإمام الغزالي لسلطان سنجر ، وذلك بعد ما نقم منه حساد كثيرون نافسوه على مكانته التي اكتسبها في العالم الاسلامي ، ودسّوا عليه وغيروا وبدلوا وأدخلوا في كتبه ليشيروا السلطان عليه فأمر السلطان بإحضاره للعرش وكان السلطان في المعسكر في « طرق » (يقرب مشهد الرضا عليه السلام) ولكن الغزالي بعث برسائه الأولى إليه واعتذر عن المجيء وذلك بسبب العهد الذي قطعته على نفسه بمشهد إبراهيم الخليل (ع) أن لا يدخل على السلاطين وأن لا يأخذ عطاياهم ، وأنه لبث على عهده اثنتي عشرة سنة . (ووصفت هذه الرسالة في ترجمة سنجر) ولقد أثرت الرسالة على الملك أحسن تأثير فتغيرت عقيدته فيه ولكن لم يعفه من المجيء فجاء الغزالي إلى المعسكر - امتثالاً للأمر - ونزل على معين

(1) سيأتي ذكره مستقلاً حيث ان هناك رسالة من الإمام الغزالي اليه .

(2) اقبال : وزارت در عهد سلاجقه ص 222 نقلاً عن تاريخ يهين نسخة لندن ص ب . 49 .

(3) المبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 112 .

الملك. وكان معين الملك هو الواسطة وهزمة الوصل بينه وبين السلطان فأخذه إلى مجلس السلطان حيث ألقى مقالته الارتجالية التي طلب السلطان أن يثبتها ويكتبها لتنتشر في البلاد وهي الرسالة الثانية من التي كتبها الملوك . ويستفاد من مضمون الرسالة أن هذا اللقاء كان بعد سنة (500/1107) أي بعد قتل فخر الملك وعودة الغزالي إلى العزلة مرة ثانية بعد ما تصدى للتدريس في نظامية نيسابور من سنة (499/1106) بطلب ملجأ من الوزير فخر الملك ، ولما قتل الوزير وتشوشت الأوضاع وثارقت الفتن وهاج الحساد ، عاد الغزالي إلى زاويته الآمنة كما يذكر هو في رسائله وبقي حتى طلبه سنجر سنة (503/1110) (4) .

2- جاء ذكر معين الملك مرة أخرى في رسالة بعث بها ضياء الملك وزير السلطان محمد السلجوقي إلى فخر الملك وزير سنجر لاستنهاض حجة الإسلام والزامه قبول العودة إلى نظامية بغداد ، يطلب منه أن يهيئ أسباب سفر الغزالي من الوجه المعين في رسالة « معين الملك » (5) .

3- الرسالة التي كتبها الغزالي لمعين الملك وهي أول رسالة من رسائل الأمراء واركان الدولة . يبدأها بالآية الشريفة « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض » . ويشرح له شروط النجاة في الآخرة ، ثم يطلب منه أن يقبل منه نصيحة واحدة وهي أن يترك الخمر مقتدياً بسلفه نظام الملك حيث قاب عنها في أواخر أيامه توبة نصوحاً ، علماً بكون ذلك سبباً في ترك الملك هذا الإثم أيضاً .

تحريف او اشتباه عند السبكي

4- وقد وقع تحريف أو اشتباه في اسم معين الملك عند السبكي وتبعه المتأخرون حيث جاء ذكره في طبقات الشافعية في ترجمة الغزالي كما يلي : « وقال ابن السمعاني أيضاً سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن علي المقرئ مذاكرة « بمرء » يقول : دخلت على الإمام الغزالي مودعاً فقال لي : أحمل هذا الكتاب إلى المعين الثابت أبي القاسم البيهقي ، ثم قال لي وفيه شكاية بالعزير المتولي للأوقاف بطوس : وكان ابن أخي المعين ، فقلتله : كنت بهرة عند عمه المعين .

وجاء العماد الطوسي بمحضر فيه الثناء على العزيز وعليه خطك ، وكان عمه قد طرده وهجره ، فلماً رأى شكرك وثناءك عليه قربته ورضيه فقال الامام الغزالي : سلم الكتاب إلى المعين ، واقراً عليه هذا البيت وأنشد : ولم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا يساء لنا ثم نوى بالشكر (6)

وهنا حدث اشتباه السبكي أو تحريف في النسخ أو الطبع حيث ضبط اسمه معين الثابت وقد مرّ برأيه معين الثائب .

وقد نقل الرفاعي هذا البيان بنصه إلا أنه أسقط هذه الكلمة ولم يثبتها إلى قوله « إلى المعين أبي القاسم البيهقي » فقط (7) .

(4) متن الرسالة يصرح بأنه كان له من العمر 53 سنة فإذا كانت سنة 503 هـ . انظر ص 33 أعلاه .

(5) انظر متن الرسالة ص 79 أعلاه .

(6) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 114 .

(7) الرفاعي : الغزالي ج 1 ص 131 .

سَعَادَتُ خَازِن

كان من جملة المناصب الهامة في عهد السلاجقة رئاسة ديوان الأشرف . وكان هذا الديوان يشبه الوزارة المالية في الدول الحية (في زماننا هذا) وكان مكتملا لديوان الاستيفاء وجزءا منه وكان يسمى المشرف على هذا الديوان : « مشرف كل مملكة » وله ممثلون في جميع أنحاء البلاد باسم « المشرف النائب » وكان من أهم وظائفهم الإشراف والمراقبة والتفتيش في مداخل ومصارف الحكومة (1) .

فصاحب الترجمة « سعادت خازن » (2) كان له هذا المنصب ، إما الاشراف على الكل أو نيابة الاشراف والأول أقرب إلى الصواب لما جاء في أحواله مع قلة المراجع والأخبار عنه . فجاء في ترجمة الامام مظفر الاسفازي (من معاصري الغزالي) في كتاب تنمية صون الحكمة (3) « ثم في هذه الدولة القاهرة (يعني الدولة السلجوقية) نظر فيه (يعني في وضع ميزان الماء) الإمام أبو حفص عمر الخيام ، وحقق القول فيه وبرهن على صحة رصده والعمل به ماء معين دون ميزان معلم ، وكان معاصره الإمام أبو حاتم المظفر بن إسماعيل الاسفازي ناظر فيه مدة أحسن نظر ومتأملا في صنعه ومتأنقا في حديثه ، وسعى في تسهيل العمل به على من أراده وزاد فيه مقلتين للتمييز بين جوهرين مخلطين وأشار إلى وجود مراكز الفلزات على عموده استقراء ورصدا ماء معين ... وسماه ميزان الحكمة وقدّمه للسلطان سنجر . فسلم السلطان هذا الميزان لسعادت خازن ، وكان لسعادت خازن تصرفات غير مشروعة في خزانة السلطان فخاف اذا استعمل هذا الميزان يكشف عن خيانه وينزل عليه غضب السلطان . فكسره وفرق أجزائه ، فصار سببا لحزن الحكيم الاسفازي ومرضه وموته كندا وحزنا على أثر ذلك (4) هذا كل ما لدينا من أحواله .

وأما رسالة الامام الغزالي اليه فكانت مبدوءة بالآية الشريفة و« إن من شيء إلا عندنا خزائنه » وذكر خزائن الرحمان ومفاتيحها ، ثم يذكر الدرجات والمراتب التي تقصر عنها أفهام الخواص إلا الراغبين في العلم والصدقين ، تمثيلا بالقدر بقوله : وأنه سر الله الذي لا رخصة في إفشائه ، ويختم الرسالة بتحذير سعادت خازن من ادخار الذهب والفضة مستشهدا بالحديث النبوي (ص) تعس عبد الدينار والدرهم .

(1) اقبال : وزارت در عهد سلاجقه ص 31 .

(2) نكتب التاء المربوطة مبسوطة على حسب رسم الخط الفارسي وحيث إن كلمة سعادة هنا اسم علم أثبتناه كما جاء في الأصل .

(3) البيهقي : تنمية صون الحكمة ص 12 طبع الهند .

(4) العلامة القزويني : تعليقات جهمار مقالة ص 369 .

أحد قضاة المغرب

سجّل جامع فضائل الأنام في فصل رسائل الأمراء وأركان الدولة رسالة من الإمام الغزالي إلى أحد قضاة المغرب (هذا في نسخة أباصوفية أمّا في نسخة (ج) إلى قضاة المغرب) .

أصل الرسالة باللغة العربية ونقلها السبكي في طبقاته الكبرى وعنوانها « رسالة الامام حجة الإسلام كتبها إلى بعض أهل عصره ونصها : » (1) ، ثم أورد الرسالة مع اختلاف قليل مع نسخة فضائل الأنام ولم يذكر من أين نقلها. وقد نقل عنه كثير من المحققين منهم الاستاذ الرفاعي حيث أوردتها مصحّحة في كتابه الغزالي (2) ونحن قارنّا الرسالة مع نسخة السبكي والرفاعي ونسخة (ج) وأشرنا إلى مواضع الاختلاف تحت الصفحة . وأمّا جامع فضائل الأنام يقول في التعليق على هذه الرسالة بأن القاضي مروان أتى إلى دار الخلافة لتحصيل مرسوم منصب القضاء لأبيه وتوسّل بحجة الإسلام الغزالي نظراً لحرمة وجاهه فوصّى به الغزالي دار الخلافة فوافق الخليفة العباسي (المقتدي بأمر الله) بتفويض القضاء إلى القاضي مروان نفسه للأبيه وذلك لقوله : « إننا لانفوض منصب القضاء لمن لانعرفه ولا نطلع على أحواله ولكن إجابة للتمسح بحجة الإسلام نفوض القضاء لابنه الحاضر » (3) .

فأبى القاضي مروان قبول ذلك احتراماً لأبيه وطلب من حجة الإسلام ان يكتب شرح الحال لأبيه فكُتب هذه الرسالة .

(1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 132 .

(2) الرفاعي : الغزالي ج 2 ص 140 .

(3) انظر متن الرسائل ص 121 .

القاضي مروان

أبو عبد الله مروان بن علي بن سلامة بن سروان الططري . نسبة إلى ططرة وهي قرية من ديار بكر . ورد بغداد وتفقّه على الغزالي والشاشي وسمع طراد الزينبي ورزق الله التميمي وغيرهما (1) .

ويستفاد من مضمون الرسالة أن أباه طلبه وأمره بالرجوع إلى موطنه قبل انتهاء إقامته ولكنّ الغزالي طلب من أبيه أن يساعده ويستمرّ في استمداده حتى يبلغ الكمال والذروة في علمه حيث أنه من الذين جمعوا بين العلم والتقوى ويصلح أن يتخذ ذخرا ووسيلة عند الله ويأمره أن يتبع سيرة ابنه بقوله : « الولد وإن كان فرعا فلربما صار لمريد العمل أصلا ، ولذلك قال إبراهيم (ع) لأبيه « يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهلك صراطا سويا » (2) .

ولكنّه لم يلبث مدة طويلة على تلك الصفات التي وصفه بها الإمام الغزالي في هذه الرسالة حيث إنه عاد إلى بلده واتصل بالملك زنكي آق سنقر (من أمراء السلاجقة حكم الموصل وولى حكم واسط والبصرة وسنجار وحران وطرطد الصليبيين وفتح حلب وحماة وقتل صاحب الموصل (سنة 1146/541) وصار وزيرا لزنكي وتوفي بعد سنة أربعين وخمسمائة (3) . وجاء اسمه في نسخة (ج) القاضي مردان وهذا غلط صريح .

(1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 308 .

(2) انظر متن الرسائل ص 114 .

(3) باقوت الحموي : معجم البلدان ج 3 ص 552 .

الأرغيباني

في ضمن رسائل حجة الإسلام رسالة إلى الامام الارغيباني ، رتبها جامع فضائل الأنام في عداد رسائل الفقهاء وأئمة الدين وجاء اسمه في نسخة آياصوفيه : « الإمام الزاهد أحمد الأرغيباني » الذي كان من مختلفة حجة الإسلام .

وفي نسخ (ج) « الخواجة الإمام أحمد ازعباسي » الذي كان من مختلفة حجة الإسلام ولا يبعد ان تكون كلمة ازعباسي محرفة كلمة أرغيباني . ولا نعرف هل هو أحمد بن عمر الارغيباني الذي تلمذ على أبي الحسن الواحدي المعروف ، ويعد الظن أن يكون هو صاحب الرسالة لأنه توفي (466 - 1074) كما جاء تنصبل أحواله في شرح الاحياء للزبيدي والغزالي لم يبدأ بعد في هذا التاريخ حياة الترهّد ؟

أم هو أبو بكر أحمد بن مهمل بن محمد بن أحمد بن علي بن حسن الباني الأرغيباني الذي توفي في « البان » (قرية من قرى نيسابور ثم من قرى أرغيان) ذكره صاحب معجم البلدان (1) في مادة الارغيان ؟

أم هو والده أي أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الارغيباني الفقيه الشافعي تفقه على المشايخ بسرو ثم دخل نيسابور وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين الجويني ، ثم عاد إلى ناحية أرغيان وتقلد قضاءها سنين ثم خرج إلى الحج ولقي المشايخ بالعراق والحجاز والجلال وسمع منهم وسمعو منه . ولما رجع من مكة ودخل على الشيخ العارف الصوفي الحسن السمانى شيخ وقته زائراً ، فأشار عليه بترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلك ، وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت والآنزواء وبنى من ماله داراً للصوفية وأقام بها مشغولاً بالتصنيف والمواظبة على العبادة إلى أن توفي في مستهل المحرم سنة (499 سبتمبر 1105) (2) ؟

أم هو أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان الأصولي الذي كان أولاً حنبلياً ثم انتقل وتفقه على الشاشي وأبي حامد الغزالي ، والكياهراسي الطبري ، وتصدّى للتدريس بنظامية بغداد (3) وكان يدرس للطلاب كتاب الاحياء في نصف الليل ، ولد سنة (476/1083) وتوفي سنة (518/1124) (4) او (520/1127) (5) ؟ والرسالة مشتملة على ذكر طريق السعادة والشقاوة مبتدئة بحديث الرسول (ص) « قل ربي الله ثم استقم » ثم معنى الاستقامة وأقسامها وفي الأخير طريق التسلط على النفس والحصول على السعادة الأبدية .

(1) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج 1 ص 485 والسبكي : طبقات الشافعية ج 3 ص 169 .

(2) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 2 ص 152 .

(3) هماني : غزالي نامه ص 151 .

(4) الرفاعي : الغزالي ج 2 ص 170 .

(5) هماني : غزالي نامه ص 151 والسبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 42 .

العنابي

أبو العلاء مسعود بن محمد بن غانم الغانمي ذكره السمعاني في الأنساب . ولد في (1072/464) وتعلم وتربى في نيسابور . وكان موليا لبيت العميدي . وقد ألف كتابا في مدح معين الملك - المار ذكره - وسماه : نظم السلك في مدائح معين الملك ، (1) وكان والده من جلة الأدباء وعاصر وعاشر البخوزي مؤلف دمية القصر المتوفى (1073/465) وتوفى الغانمي سنة (1158/553) (2) .

وللإمام الغزالي رسالة جوابا على رسالة الغانمي مشتملة على ذكر مراتب العلوم ودرجاتها ، وكيفية الارتقاء من العلم النازل إلى العلم العالي (الرباني) يذكر فيها سابق العهد معه ، وأنه لم يكن ينسأه في أسفاره ويطلب منه أن لا يتوقف عن مدارج الفضل بل يتقل إلى علم يكون اتجاهه إلى الآخرة لا إلى الدنيا بوصفه أقسام العلوم وفائدة كل منها وبيان العلم الموصل إلى السعادة الابدية .

(1) اقبال : وزارت در عهد سلاجقه من 223 نقلا عن تاريخ بيهق نسخة لندن ورق 49 أ - ب .

(2) المصدر السابق ص 222 .

ابن العربي

في نسخة أباصوفية : رسالة من الإمام الغزالي في جواب ابن العربي في ذم الدنيا وتقييح حال أرباب الدنيا وهلاك الذين جعلوا الدين والشريعة عرضة لطلب المال والدنيا .
ونسخة (ج) أثبتت الرسالة بعنوان « ابن العامل » . وحيث إن الاسم غير كامل وملتبس ، فلم نترجم له ترجمة مستندة . والرسالة من أروع رسائل الإمام الغزالي يبدأها بشكر ابن العربي (او العامل) في إرساله الرسالة والدعاء له بمزيد التوفيق قائلًا له بأن كل علم وفصل أثمر شيئاً غير معرفة الله ومتابعة رسوله فهو وبال على صاحبه ، ثم يشرح له العلم إلى ثلاث طبقات ... وفي الختام يدعو الله أن يجعله من المخلصين والفائزين .

الفاضي عماد الدين الوزان

هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن طاهر الوزان من كبار فقهاء الشافعية بالري ورؤسائها كآبيه وجده لقي أبا إسحاق الشيرازي وتفقه على والده ثم على أبي بكر الحنجدي بأصفهان ، وسمع ببغداد ابن النور . ومات في حدود سنة (525/1132) بالرّي (1) .

ومن تأليفاته شرح وجيز الغزالي (2) ومن هذا البيت ايضا صدر الدين محمد بن عبد الكريم بن عماد الدين بن محمد بن عبد الكريم الوزان رئيس الشافعية بالري الذي له قصة مشهورة مع السلطان تكش الخوارزمي قتله الملاحدة في (595/1099) (3) .

وأما رسالة الغزالي اليه يذكره بأنه دائم الاطلاع على اخباره . وإمساكه عن المراسلة والمكاتبة ليس إلا لأن المكاتبة كالمشافهة والمناجاة لاتصح إلا بوقت الحاجة والضرورة مستدلا بالآية الشريفة « لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » وفي الختام يوصيه في حق أحد الفضلاء من أصحاب الرأي (أصحاب أبي حنيفة) الذي قصد ناحية الري لمهمة وهو غير مستغن عن إعانة الوزان .

(1) السبكي : طبقات الشافعية ج 4 ص 78 .

(2) هماني : غزالي نامه ص 325 .

(3) العلامة القزويني : تعليقات لباب الالباب ص 618 .

محمد بن أرسلان الخوارزمي

ترجمه السبكي في الطبقات نقلا عن ابنه صاحب الكافي وهذا نص بيانه : « أظن ولد في وصفه في تاريخ خوارزم وقال : قرأ الأصول والفروع على الإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن الحسين الدرعاقي . مهرفي الأصول وصار فريد الزمان في انطلاق اللسان وحسن البيان ، وانتزع البرهان من الأصول العقلية والقرآن ، وأضحى نادرة الأيام في إفحام فحول المجاهدين وقت الخصام بأقطع الالتزام وقرأ شرح المهذب لأبي بكر الصيدلاني في مجلدات وأتى على حفظ جميعه ، وربما كان يسأل عن مائة مسألة في مجله في مواضع مختلفة ويجب عنها على الفور من غير تردد ولا تخبط . ويذكر ما فيها من القولين والوجهين والتنبيه على الجوابين ويذكر عليها . قال : وحفظ تفسير الثعلبي جميعه ، فكان إذا سئل في مجله عن عشرات آيات في مواضع متفاوتة ذكر تفسيرها ، باختلاف أقوال المفسرين من غير غلط ولا خطأ . ثم قال : وتوفى والذي يوم الأربعاء رابع صفر سنة 503 / 2 سبتمبر 1109 ، وهو ابن أربعين وأشهرها (1) .

رسالة الغزالي إلى الخوارزمي : يذكره بأن الأخوة في الدين والقربة في العلم من أوثق وأرسخ الصلات ، والأرواح جنود مجنّدة ، ويؤيده ويريه سيرته وهي الجمع بين علوم الشرع وسيرة التصوف ويدعو الله أن يمدّه بالاستمرار وأن تفيض بركات أنفاسه للعموم .

ملاحظة

توجد رسالة للإمام الغزالي إلى أحد كبار الدولة دون أن يتعرض لاسمه في معنى الصدقة وأنها تدفع البلاء وشرح ذلك . وهي من أروع رسائله . وهناك رسالة أخرى إلى كبار الدولة في حق بعض مختلفته ورسائل أخرى إلى بعض مختلفته وأتباعه دون تسميتهم . وفي فصل المواعظ رسالة في حقّ الاباحية وغايتهم والحكم والافتاء يقتلهم جميعا .

فهرس الاحاديث النبوية .

- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
- 1 - « إذا تقرب الناس إلى الله بأعمال البر فتقرب أنت إلى الله بعقلك » مخاطبا الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (98) .
 - 2 - « الأرواح جنود مجنّدة » (130) وتماه « .. فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . رواه الشيخان وأبو داود .
 - 3 - « استفت قلبك وإن أفنوك وأفتوك » (137) رواه احمد والطبراني وأبو يعلى وأبو نعيم بلفظ « ... وإن افتاك الناس وأفتوك » .
 - 4 - « اشدّ الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » (143) رواه الطبراني في الصغير والبيهقي بلفظ « ... لم ينفعه علمه » .
 - 5 - « أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (108) . رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه بلفظ « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .
 - 6 - « اغتنم خمسا قبل خمس » (90) . وتماه « .. حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك و فراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك » رواه الحاكم وصححه ، والبيهقي عن ابن عباس ، وهو عند احمد في الزهد . والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا .
 - 7 - « أكثر أهل الجنة البهّ وأهل العليين ذوو الالباب » (63) . رواه البيهقي والبخاري والدلمي والخلعي بسند فيه لين عن أنس رفعه - بلفظ « أكثر أهل الجنة البهّ وعليون لذوي الالباب » .
 - 8 - « الالقاب تنزل من السماء » (96) .

• نذكر في هذا الفهرس جملة الاحاديث الواردة في فضائل الاتام حسبما أوردتها حجة الإسلام سواء كانت صحيحة أم موضوعة وبالفاظها التي ذكرت بها . وبلي كل حديث رقم الصفحة المذكور فيها الحديث او الخبر ، ثم نقب عليه بما اهتمينا اليه من تخريج وتصحيح و ... مع ذكر الأصول التي خرجته . وما لم نتمكن من تحقيقه تركناه كما ورد .

- 9 - « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » (145) . أخرجه الإمام البخاري (ج 8/122 دار الشعب . القاهرة) بلفظ « اللهم ارزق آل محمد قوتا » ومسلم في الزهد والزكاة ، والترمذي في الزهد ، وابن ماجه في الزهد واحمد .
- 10 - « الامراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت اقدام الناس يطؤونهم بأقدامهم » (116) . روى عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤون الناس بأقدامهم فيقال : ما بال هؤلاء في صور الذر ؟ فيقال : هؤلاء المتكبرون في الدنيا « رواه البزار . وعن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له يوتس تلوههم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال » رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن .
- 11 - « أنا جليس من ذكرني » (89) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعا . وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال : قال موسى - عليه السلام - « يا رب أقرب أنت فأناجيك اوبعيد فأناديك ؟ فقيل له : يا موسى أنا جليس من ذكرني .
- 12 - « أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف » (61 ، 67) كذا أورده في الإحياء . وروي « أنا والاتقياء من أمتي بريئون من التكلف » ، وأخرجه الدارقطني في الافراد بسند ضعيف عن الزبير بن العوام مرفوعا . وروي « ألا إني برئ من التكلف وصالحوا أمتي » . وروي أحمد والطبراني في معجمه الكبير والاووسط ، وأبو نعيم في الحلية عن سلمان انه قال لمن استضافه « لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم » .
- وهذا حكمه الرفع على الصحيح . وإلى هذا اشار الحافظ ابن حجر بقوله : روي مرفوعا من حديث سلمان ، والصحيح عنه من قوله . وقال عمر - كما في البخاري عن أنس عنه - : « نهينا عن التكلف » وقال ابن حجر في اللآلئ بعد ان نقل عن النووي : إنه ليس بثابت . قلت : روى البخاري عن انس انه قال كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال « نهينا عن التكلف » .
- 13 - « إن الله تعالى خلق آدم على صورته ومن عرف نفسه فقد عرف ربه » (110) . أخرجه البخاري (في كتاب الاستئذان ج 8/62 . دار الشعب . القاهرة) عن أبي هريرة بلفظ خلق الله آدم على صورته « وتماه » .. طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحيه

ذريتك ، قال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوا : ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن .

14 - « ان الفقهاء أثناء الله ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاتهمهم على دينكم » (120) رواه العسكري عن علي مرفوعا بسند ضعيف . وروي « العلماء أثناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان ودخلوا الدنيا فقد خاتوا الرسل فاحذروهم » . وفي رواية للحاكم (فاعترلوهم) . رواه الحسن بن سفيان والعقيلي عن أنس ، وورد بروايات أخر ذكرها المناوي في الكنوز .

15 - « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » (145) . رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

16 - « إن الله يغضب إذا مدح الفاسق » (144) . وروي بلفظ « إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش » ، رواه أبو يعلى والبيهقي عن أنس ورواه ابن عدي عن ابن بريدة .

17 - « إن ساعات الليل والنهار تعرض على كل عبد بصورة أربع وعشرين خزينة » (39) .

18 - « إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد ما بذلوا فهم وكلاء الرحمان ، طوبى لهم وحسن مآب » (73) . رواه الطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر بزيادة .. فإذا منعوها حوّلها عنهم » . كذا في تخريج احاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر .

19 - « إنما قلوب المؤمنين بين أصبعين من أصابع الرحمان » (110) . أخرجه ابن ماجه بلفظ ما من قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمان رب العالمين » ورواه احمد بلفظ « وإنما قلوب العباد بين أصبعي الرحمان إنه إذا أراد ان يقلب قلب عبد قلبه » .

20 - « انه ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة واعوانهم ؟ فلا يبقى احد منهم مدّ لهم دواة أو يرى لهم قلما فما فوق ذلك إلا حصروا ، فيجمعون إلى تابوت من نار فيلقون في جهنم » (116) . وروي بلفظ « الظلمة واعوانهم في النار » ، رواه الديلمي عن حذيفة بأسناد ضعيف .

21 - « اول ما خطه الله في الكتاب الأول : لا إله الا الله أنا سبقت رحمتي غضبي » (137) . رواه البخاري (ج 9/147) . دار الشعب القاهرة) عن أبي هريرة بلفظ « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب عن نفسه وهو وضّع عنده على العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » وفي البخاري ايضا (ج 9/165 الطبعة نفسها) عن أبي هريرة « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » .

- 22 - « أيها الناس كأنّ الموت على غيرنا كتب وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب وكأنّ الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل ألينا راجعون نبؤتهم اجدانهم ونأكل تراثهم كأنّا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنّا كل جانحة » (71) .
- 23 - « تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا : الصامت الموت والناطق القرآن » (38 ، 118) .
- 24 - تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار » (50 ، 82 ، 108) . رواه البخاري (ج 8/115 ، دار الشعب . القاهرة) عن أبي هريرة بلفظ « تعس عبد الدينار والدرهم والتقطيفة والخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض » وفي لفظ العسكري عنه أيضا مرفوعا (لعن) بدل (تعس) . وفي ابن ماجه عنه أيضا « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخلة وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة (1) إن استؤذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع » .
- 25 - (حديث قدسي) قال الله عز وجل « خلقت الخير وخلقت له أهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرت الخير على يديه . وخلقت الشر وخلقت له أهلا فويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه » (69) . في معناه في الموطأ وأبي داود « خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون » .
- 26 - « داووا مرضاكم بالصدقة » (87 ، 109) . رواه الطبراني عن أبي أمامة والديلمي عن ابن عمر بزيادة « .. فإنّها تدفع عنكم الامراض » .
- 27 - « الدعاء يرد البلاء . والدعاء والبلاء يتعالجان » (68 ، 110) . رواه الطبراني عن أبي هريرة وابن عباس مرفوعا ، ورواه الديلمي عنه بلفظ « الدعاء يرد القضاء » في حديث أوله « بر الوالدين يزيد في العمر .. » . وروى الطبراني عن عائشة مرفوعا « لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما نزل وإن الدعاء والبلاء ليتعالجان إلى يوم القيامة » .
- 28 - « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (137) . تمامه « .. فإن الصدق طمأنينة والكذب رية » . رواه ابو داود والبخاري وأحمد وأبو يعلى في مسانيدهم والدارمي والترمذي وفي لفظه « فإن الصدق ينجي » والنسائي . وليس عنده « .. فإن الصدق ... » . ولابن عمر من الزيادة فيه « فانك لن تجد فقد شي تركته لله » .
- 29 - « الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله منها إلا ذكر الله وما وآله » (129 ، 146) . رواه الترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعا ، وعنه أيضا مرفوعا بلفظ « الدنيا ملعونة

وملعون ما فيها الا ذكرا لله وما والاه وعالما ومتعلما » ورواه الطبراني في الاوسط عمن ابن مسعود ، وابن ماجه والبيهقي والترمذي وقال : حديث حسن .

30 - « ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (147) وعن معاوية - رضي الله عنه قال : قام فينا رسول صلى الله عليه وسلم - فقال : الا انّ من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين نثنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة » رواه أحمد وأبو داود وزاد في روايته « وانه سيخرج في امتي أقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يقي منه عرق ولا مفصل الا دخله » .

31 - « سيأتي زمان على الناس من تمسك بعُشْر ما انتم عليهم نجا ، فليل : ولم ذلك ؟ قال : لانكم تجدون على الخير أعوانا » (38) . رواه الترمذي « يأتي على الناس زمان ... » . وفي الموطا والنسائي « ليأتين على الناس زمان ... » .

32 - « العجز عن (درك) الادراك إدراك » (171) .

33 - « قال له جبريل عليه السلام : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه » (93) . هذا طرف من حديث طويل . رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أوله « بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل ... » . رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .

34 - « قل ربّي الله ثم استقم » (125) . رواه ابن ماجه عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بلفظ « قال : قلت : يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال : قل ربّي الله ثم استقم » . ورواه الترمذي وزاد . « قلت : يا رسول الله » قال العلقمي وسببه كما في مسلم : عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك فذكره .

35 - « كلّم راع وكلّمك مسؤول عن رعيته » (23) أخرجه البخاري (في كتاب الاحكام ج 77/9) وتعامه « فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته . والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عن رعيته . والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم . وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه . ألا فكلّمك راع وكلّمك مسؤول عن رعيته » .

36 - « كل ممنوع متبوع والحريص محروم » (152) . في معناه ورد في الاحياء « لومنع الناس

- من فتّ البعر لفتّوه . وفي معناه ايضاً « ان ابن آدم لحريص على ما منع » قال القاري :
ليس بحدّث . وورد بلفظ « كل ممنوع حلو » .
- 37 - « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
المغفرة) » . (96 ، 114) رواه الترمذي وابن ماجه واحمد .
- 38 - « لاتجالسوا الموتى . فقيل : من هم يارسول الله ؟ قال : الاغنياء » (87) . خرجه
الترمذي ... واباك ومجالسة الاغنياء » .
- 39 - « لاتكن عوناً للشيطان على أخيك » (135) رواه البخاري عن ابي هريرة مرفوعاً
بلفظ « لاتكونوا عوناً للشيطان على أخيك » في حديث الذي أني به النبي - صلى الله عليه
وسلم - وهو سكران وقال له رجل من القوم : اللهم ألّعه » .
- 40 - « لاحد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل الله ، ورجل آتاه الله علماً
فهو يعمل به ويدعو الخلق اليه » (68) . رواه أحمد والشيخان بلفظ « لاحد الا في
اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي
بها ويعلمها » . والترمذي ، وابن ماجه عن ابي عمر بلفظ « لاحد الا في اثنتين
رجل علمه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآنا النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه
آناء الليل وآنا النهار » .
- 41 - « لايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتّى أحبه فإذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به » (52) ، جزء من حديث طويل رواه
البخاري (ج 8 / 131) عن ابي هريرة « قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب اليّ عبدي بشيء أحب اليّ
مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا احبته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن
سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي على نفس
المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .
- 42 - « لايزال لا اله الا الله دافعاً عن الخلق عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على صفقة
دينهم فإذا آثروا ثم قالوا : لا إله الا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين » (50) .
رواه أحمد .
- 43 - « لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه » (144) . ولفظ البخاري

« من الإيمان أن يحب لأخيه ما ... » . وفي البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه « ... حتى يحب لأخيه او قال لجاره ما يحب لنفسه » .

44 - « لا يكون المرء من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به البأس » (138) . وفي الترمذي « لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه » .

45 - « لولا ان الشياطين يحرّمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات » (96) .

وفي لفظ احمد « هذه الشياطين يحومون على اعين بني آدم أن لا ينظروا ... » .

46 - « ليس لك من مالك الا ما اكلت فأفنت أو لبست فألبيت وتصدقت فأمضيت » (92) .

رواه مسلم والطيالسي والنسائي والترمذي ، وزاد نجم الدين الغزي في آخره « أو تصدقت فأمضيت » .

47 - « ما ذئبان ضاريان أرسلتا في زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حب الشرف والمال في دين

المرء المسلم » (82، 116) عن كعب بن مالك ، قال العلقمي : بجانبه علامة الصحة .

ورواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وابن حبان في صحيحه .

48 - « من احسن اليكم فكافئوه » (100) . وروي بلفظ « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه

فإن لم تستطيعوا فادعوا له » . رواه ابو داود والنسائي باسناد صحيح بلفظ (من صنع) .

49 - « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ بحيفه وهو لا يشعر » (145) . وروي عن انس

- رضي الله عنه - يرفعه ، قال : ينادي مناد : دعوا الدنيا لأهلها ! دعوا الدنيا لأهلها !

دعوا الدنيا لأهلها ! من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر » .

رواه البزار وقال : لا يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الا من هذا الوجه .

« اتركوا الدنيا لأهلها فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر » .

رواه الديلمي وهو حسن لغيره .

50 - « من ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلاّ بعداً » (131) . رواه الديلمي عن علي

رفعه وسند ضعيف . قال السخاوي : وفي لفظ « ثم ازداد للدنيا حبا ازداد من الله

غضباً » . وقال المناوي : رواه الارزدي في الضعفاء من حديث علي بلفظ « من ازداد بالله

علماً ثم ازداد للدنيا حبا ازداد من الله عليه غضباً » .

51 - « من طلب علماً مما يتغنى به وجد الله تعالى لئال به عرض الدنيا لم يجد عرف

الجنة » (131) ، رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح

على شرط مسلم والبخاري - بلفظ « .. لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد

عرف الجنة يوم القيامة » .

- 52 - « من نظر إلى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه » (84) .
- 53 - « نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » (48) . رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعا . وفي البخاري عن علي موقوفا « حدثنا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله » .
- 54 - « نعم المال الصالح للرجل الصالح » (129) . رواه أحمد وابن منيع عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - .
- 55 - « نعوذ بالله من علم لا ينفع » (131) .
- 56 - « هلك الاغنياء الا الذي تصدق بماله في الخيرات على اليمين والشمال والامام والوراء » (113) « هلك المكثرون الا من قال بالمال هكذا عن يمينه وهكذا عن شماله وهكذا بين يديه » (113) من حديث طويل رواه البخاري (ج 8/117) « قال ابوذر - رضي الله عنه - : كنت أمشي مع النبي - صلى الله عليه وسلم في حرّة المدينة فاستقبلنا أحدٌ فقال : يا أباذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ما يسرني ان عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي علي ثلاثة وعندي منه دينار إلا شيئاً ارصده لدين الا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلقه » ثم مضى فقال « إن الأكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل منهم ... » .
- 57 - « وما ظالم إلا ويبيى بظالم ثم ينتقم الله منهما جميعا » (69) . وروي بلفظ « إن الله ينتقم من الظالم بالظالم » وروى ابن ابي شيبه وابن ابي حاتم عن مالك بن دينار قال : قرأت في الزبور : إني انتقم للمنافق من المنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعا . وذلك معنى ما في كتاب الله تعالى « وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » .
- 58 - « يحشر الاغنياء يوم القيامة اربع فرق : رجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال : اذهبوا به إلى النار . ورجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال : قفوا هذا واسألوه ... » انظر تمامه في (117) .
- 59 - « عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا يزال الرجل يذهب بنفسه (1) حتى يكتب في الجبارين فصيصيه ما أصابهم » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(1) يذهب بنفسه أي يترفع ويكبر .

من كلام عيسى - عليه السلام -

- « بأن من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء » (96) .
- « لا تنظروا إلى أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب حلاوة إيمانكم » (119)
- « يا بن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس والاّ استحي مني » (143) .
- « يامعشر الحواريين الغنى مسرة في الدنيا مضرة في الآخرة بحق أقول لا تدخل الاغنياء ملكوت السماء » . (116) .

من كلام أمير المؤمنين علي - عليه السلام -

- « طلقت الدنيا ثلاثا » (98) .
- « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » . 115

فهرس فضائل الانام من رسائل حجة الإسلام

9	تقديم المحقق
13	المصادر العربية
16	المصادر الفارسية
19	الرموز والاشارات
21	النسخ المخطوطة المعتمدة
25	مقدمة جامع فضائل الانام
27	فهرس الابواب

الباب الأول

في الرسائل التي بعثها إلى الملوك والسلاطين

33	رسالة إلى سنجر
36	جواب سنجر عن هذه الرسالة
38	مقالة القاها لدى حضوره عند الملك
43	تعليق جامع فضائل الانام
44	رجوعه إلى طوس
45	الفصل الذي كتبه لنصيحة الملك على ظهر كتابه « نصيحة الملوك »
46	اجتماع المخالفين وطلبهم الجواب عن الشبهات الموجودة في كتبه وآرائه
47	جواب حجة الإسلام عن هذه الشبهات

الباب الثاني

في الرسائل التي كتبها للوزراء

61	الرسالة الأولى التي بعثها لفخر الملك
65	الرسالة الثانية التي بعثها لفخر الملك
67	الرسالة الثالثة التي بعثها لفخر الملك
71	الرسالة التي بعثها لضيء الملك في حق ابراهيم السباك
73	الرسالة الرابعة التي بعثها لفخر الملك

دعوة وزير العراق أحمد بن نظام الملك الغزالي لمعاودة التدريس في بغداد (على حسب امر دار

76 (الخلافه)
	رسالة وزير العراق أحمد بن نظام الملك إلى وزير خراسان محمد بن فخر الملك لاستنهاض حجة
79 الإسلام لقبول الدعوة
81 رسالة اخرى في هذا الخصوص
82 جواب الغزالي عن هذه الدعوة والرسائل
87 رسالة إلى عبد الرزاق شهاب الإسلام
89 رسالة أخرى لشهاب الإسلام
91 رسالة أخرى بعثها لشهاب الإسلام ليهته بخلاصه من سجن ترمذ
92 الرسالة الأولى التي بعثها لمجير الدولة
96 الرسالة الثانية التي بعثها لمجير الدولة
100 الرسالة الثالثة التي بعثها لمجير الدولة

الباب الثالث

في الرسائل التي كتبها للأُمراء وأركان الدولة

105 رسالة إلى معين الملك
107 رسالة إلى سعادت خازن
109 رسالة إلى احد كبار الدولة
112 رسالة إلى كبار الدولة
114 رسالة عربية بعثها لأحد قضاة المغرب (دياربكر)
121 تعليق جامع فضائل الأتنام على هذه الرسالة

الباب الرابع

في الرسائل التي كتبها للفقهاء وأئمة الدين

125 رسالة إلى الإمام أحمد الأرغواني
127 جواب رسالة الإمام أبو المحاسن مسعود بن محمد الغانمي
129 رسالة في حق بعض مختلفته
130 رسالة كتبها لخواجه عباس خوارزم
131 جواب رسالة ابن العالبي
134 رسالة اخرى إلى أحد مختلفته
136 رسالة إلى القاضي الإمام محمد الوزان
137 رسالة في حق بعض متصوفته (كذا في فهرست الرسائل)

الباب الخامس في فصول ومواعظ مشرقة

143 فصل من إنشائه في ذكر آفات العلم والمناظرة والتذكير
146 فصل حقّ من أخذ يتعلّم بداية الهداية
147 فصل في حقّ الإباحية والإفشاء بوجوب قتلهم
149 فصل في النصيحة
150 فصل في حقّ شهاب الإسلام
152 فصل في الحثّ والتحريض على الإخلاص في الدعاء والصلاة
163 - 155 التعاليف

تراجم أصحاب الرسائل

169 السلطان سنجر
172 الرسالة الاولى هل إلى سلطان سنجر ام إلى سلطان عمّاد ؟
173 فخر الملك (الوزير)
176 ضياء الملك (وزير العراق)
178 الرسائل المتبادلة بين هذا الوزير والغزالي
181 مجير الدولة (أوجير الملك الوزير)
182 رسائل الإمام الغزالي إلى مجير الدولة
183 عبد الرزّاق شهاب الإسلام (شهاب وزير)
184 رسائل الإمام الغزالي إلى شهاب الإسلام
185 معين الملك
185 معين الملك والغزالي
186 تحريف او اشتباه عند السبكي
187 سعادت خازن
188 أحد قضاة المغرب
189 القاضي مروان
190 الارغواني
191 الفانمي
192 ابن العمالي
193 القاضي عماد الدين الوزان
194 محمّد بن عباس الخوارزمي
194 ملاحظة

فهرس الأعلام والبلدان

(أ)

آدم - عليه السلام - :

. 18/96

آلب أرسلان :

. 5/39

أئمة طوس :

. 10، 9/36

إبراهيم الخليل - عليه السلام - :

. 11/85، 17، 14، 10/34

إبراهيم السبائك :

. 15/72، 2/71

إبليس = الشيطان :

. 15، 11/134، 4، 3، 1/46

. 10/148، 15، 2/147

أحمد الارغواني :

. 1/125

أحمد بن صاحب الشهيد نظام

الملك حسن بن علي بن احمق = صدر

الوزراء = نظام الدين .

. 20، 4/72، 12/71، 5/66

. 2/82، 1/76، 7، 1/75

. 4/84

أرغش :

. 19/67

اسفراين :

. 19/68

أصفهان :

. 7/34

أهل طوس = جماعة طوس :

. 3/67، 3/46، 1/42، 1/34

. 9/69

(ب)

برسقي :

. 19/67

بزغش :

. 19/67

بغداد = مدينة السلام :

/75، 17/72، 6/65، 7/34

10/79، 4/77، 3/76، 11، 6

، 14، 8/84، 4/82، 2/81

. 19، 16، 15، 8/85، 16

. 12/94، 4/86

أبو بكر الباقلاني :

. 1/32

أبو بكر الصديق :

. 2/138، 15/112، 8/25

أبو بكر بن عبد الله :
13/90

بيت المقدس :
10/34

(ت)

تاج الملك : أبو الغنائم مرزبان بن نسرو
فيروز القمي = المعروف بابن دارست
7/100 ، 13/71

الترك = الأتراك :
21 ، 10/97

ترمس :
2/91

تروغ :
17/45 ، 3/36

(ج)

جرجان :
6/66

جبريل :
1/93

(ح)

الحجاز :
13/94 ، 17/72

حجة الاسلام = انظر محمد الغزالي .
الحسن البصري :
1/64

حسن بن علي بن إسحاق = نظام الملك =
الوزير السعيد :

9/77 ، 2/76 ، 1/75 ، 13/71
7/100 ، 8/85 ، 13/10 ، 79
11 ، 9

أبو حنيفة النعمان - الإمام - :
45 ، 14 ، 13/42 ، 8 ، 4/31
12/67 ، 5/46 ، 14

الحواريون :
14/116

(خ)

خانقاه :
12/139 ، 3/46

خراسان :
68 ، 10/45 ، 3/43 ، 15/41
5/78 ، 3/75 ، 6

1/79

الخضر - عليه السلام - :
6/48

خوارزم :
1/130

(د)

الداعي = الغزالي : انظر : محمد الغزالي
دامغان :
19/68

داود :

8/73

(س)

السلطان = انظر : سنجر :
سلطان الإسلام = انظر : سنجر .
سنجر (السلطان) :

2/33 ، 3/32 ، 12/8 ، 31
14 ، 2/36 ، 16/34 ، 10
9 ، 1/41 ، 3/1/38 ، 2/37
8 ، 5 ، 4 ، 2/44 ، 19 ، 14

عثمان (بن عفان) :

. 9/25

العراق :

/ 77. 12. 11. 2/75. 3/43

. 13/94. 2/86. 1/81. 15

عرفات :

. 8/110

علي بن أبي طالب = الإمام :

. 11. 7/98. 19/55. 9/25

عمر بن الخطاب :

. 18. 14/40. 8/25

عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموي

العادل) :

. 7/93. 3/90

عميد خراسان :

. 6/68

عميد طوس :

. 1/68

عيسى بن مريم - عليه السلام - :

. 11/96. 15/55. 18/47

16/143. 14/116

(ف)

أبو الفتح علي بن حسين = مجير الدولة

المجيري = مجير الدين :

. 18. 8/94. 1/92

. 1/100. 1/96. 25/95

أبو الفتح المظفر ابن نظام الملك =

فخر الملك = نظام الدين :

. 1/65. 1/61. 6/43. 7/42

. 1/73. 14/71. 1/67

. 15. 12/45. 15. 1/55. 15.

(ش)

الشافعي = الإمام :

. 11/67. 5/46. 7/31

الشم :

. 13/94. 16/85. 17/72

شهاب الإسلام :

. 4. 1/91. 1/89. 2/87

. 2/150

الشرق :

. 17/94

(ص)

صدر الدين = انظر : محمد بن فخر الملك

صدر الوزراء : انظر : احمد بن نظام

الملك

(ط)

ابو طالب :

. 1/57

الطبري = كيا الهراسي :

4/82. 23/79. 12/77. 4/76

طغول :

5/39

طوس :

. 16. 1/42. 10. 9/36. 1/34

. 3/67. 3. 2/46. 3/44

/ 84. 17/72. 9/69. 1/68

. 5/97. 20/85. 16. 8

(ع)

عباس (خواجة بخوارزم) :

. 1/130

، 15 ، 8/80 . 17/79 . 4/75

. 7/81 . 26

محمد بن محمد الغزالي = ابو حامد =

حجة الإسلام :

. 8 ، 1/31 . 13/26 . 11/25

. 10/36 . 1/33 . 5 ، 4/3/32

، 4 ، 2/44 . 1/38 . 5 ، 3/37

، 7 ، 2/46 . 3/45 . 8 ، 7 ، 5

. 9 ، 8 ، 5 ، 3/75 . 1/47 . 10

. 15 ، 11/77 . 12 ، 5 ، 2/76

. 23 ، 20 ، 16 ، 10/80 . 2/79

. 4/86 . 17/84 . 1/82 . 6/81

محمد الوزان (عماد الدين) :

. 1/136

مروان (القاضي) :

. 6/114

المستظهر = الإمام المقدسي النبوي :

. 13/80 . 11/75

المشرق :

. 5/33

مشهد الرضا :

16/45 . 1/37 . 3/36 . 13/34

معتمد الملك :

. 5/114

معين الملك :

22/80 . 2 ، 1/37 . 15/36

المغرب :

. 5/33

المقري الاسعد :

. 4 ، 3/37

فخر الملك = انظر = أبو الفتح المظفر :

القرات :

. 16/40

الفلاسفة :

. 14/55 . 9/31

(ق)

القرآن :

. 6/48 . 4/46 . 1/39 . 4/37

. 10 ، 4/55 . 18 ، 14/54

/ 73 . 2/66 . 17 ، 16 ، 4/56

. 12

قشمش :

. 19/67

(ك)

كركان :

. 14/72

الكعبة :

. 7/65

(م)

ماكنا :

. 5/39

مالك بن انس (الإمام) :

1/32 . 7/31

مجد الملك (ابو الفضل القمي) :

. 11/100

المجوس :

11/31

مجير الدولة المجير = المجيري ، انظر

ابو الفتح علي بن حسين :

محمد بن فخر الملك = صدر الدين

الملحدون :

. 9/31

ملك الإسلام = الملك = ملك المشرق =

انظر سنجر :

ملكشاه :

. 2/41

موسى - عليه السلام -

. 6/48

(ن)

ناصر الدين انظر : سنجر

النصاري :

. 15 ، 14/55 . 2/50 . 5/49

نظام الدين = انظر : أحمد بن

الصاحب الشهيد .

نظام الملك = انظر : حسن بن علي

ابن إسماعيل .

النظامي = انظر حسن بن علي .

نظامية بغداد = مدرسة بغداد :

، 2/81 . 6/77 . 3/76 . 6/75

. 5/86 . 14/84 . 4/82 . 6

نيسابور :

45 6/43 . 16 ، 7/42 . 2/31

. 17/72 . 11 ، 3/

(هـ)

كيا الهراسي = انظر : الطبري :

(و)

الوزير السعيد = نظام الملك : انظر

حسن بن علي بن إسماعيل .

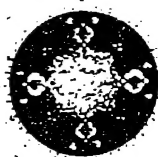
وزير العراق :

. 5 ، 2 ، 1/81

(ي)

اليهود :

. 2/50 . 15/49



سنة ١٢٨٥
 من شهر ربيع الأول
 في يوم الاثنين
 من سنة ١٢٨٥



صورة الغلاف